

THE FALL IN
PALM TOWN

الخريف في باله تاون



ميخائيل عماد



@ART_OF_BOOK

عماد، ميخائيل
الخريف في بالم تاون : رواية / ميخائيل عماد
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2025.
411 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-262-5
أ- القصص العربية
ب- العنوان : 813
رقم الإيداع : 32509 / 2024
الطبعة الأولى : يناير 2025
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©



كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام
محمد جميل صبري
ليفيين التهامي

ع ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأمعالي - الهرم - محافظة الجيزة
هاتف أرضي : 0235918808
هاتف محمول : 01000405450 - 01001872290
بريد إلكتروني : kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي : www.kayanpublishing.com

• إن الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين
جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية
أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه
للمساءلة القانونية.



فرد أمن على وشك أن يُقتل

الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل، مما يعني أن نوبتي لم تقترب حتى من منتصفها. يا للملل.

مراقبة كاميرات المراقبة هي الوظيفة الأكثر مللاً في العالم، حتى لو في مكان يعج بالمشاهير مثل بالم تاون، فعلى الأغلب لا يحدث شيء مثير للاهتمام، فقط الكثير من الثمالة والمشاجرات. ربما ترى ممثلة تخون زوجها في منتصف ليلة ما، أو معركة بين شابين بال(لامبورجيني) وال(تسلا) على شرف مائدة القمار. لقد أخبرني أحد العمال بنادي اليوكر أنهم يتراهنون بالداخل على قرى كاملة من البلد، وربما أحياناً مشاريع خاصة أو قرارات حكومية. وبالتأكيد يجب عليك أن تغض البصر عن كل ذلك تمامًا، وأنا لا أمانع من غض بصري وسد أذني ورتق فمي ما دمت أتناقضى راتبي المحترم.

فقرات ظهري تؤلمني، وعنقي يئن بالوجع. اللعنة على ذلك الكرسي وتلك الغرفة المظلمة الرتيبة المليئة بالشاشات، يكاد الملل أن يبتلعني، خاصة أن رفيقي الباشمهندس شريف، المسئول التقني عن كاميرات المراقبة، تركني لبحث في أمر تشويش غريب أصاب مجموعة كاميرات.

شريف هو ابن الباشا الكبير صاحب الكومباوند،

لكنه شاب متواضع وفي قمة الذوق، ورغم أنه درس في أرقى جامعات أمريكا اختار العمل هنا في وظيفة عادية كتلك كي يتعلم على أرض الواقع ويشاهد ويحتك بنا، لذا فضحبتة كانت مسلية إلى حد كبير، ومغادرته الآن ضربة قاتلة لمحاولتي البقاء مستيقظًا، لكن لم يوجد غيره للفحص، لقد غادر زميله التقني الآخر في إجازة مفتوحة غريبة.

في النهاية لم أجد بُدًا من العبث في جهاز الكمبيوتر هذا علي أجد به بعض الأفلام أو المسلسلات.

بمنتهى الملل بحثت في الملفات على أمل العثور على أي ما يسليني، ومن ملف إلى آخر رحت أتقافز، أدخل في حوارٍ ومताهات من الملفات في الحاسب حتى لفت نظري ملف خاص. ملف مخبأ بعناية شديدة، يحمل تاريخًا قديمًا نسبيًا وتسجيلات تعود إلى ثلاثة أشهر مضت، مما كان غير منطقي، لأن كل التسجيلات تُمحى من الأجهزة بعد أسبوعين من تاريخها، والأغرب أنه كان يحتوي بداخله على ملفات عديدة سُمي كل منها باسم واحد من سكان الكومباوند.

في فضول فتحته وبدأت في فتح تسجيلاته، ومع أول مقطع فيديو ضربتني صدمة عظيمة، ومع الثاني والثالث كدت أفرغ ما في بطني وأتقيأ من هول ما رأيت، وبالنهاية لم أستطع مشاهدة أكثر من ٤ مقاطع. أحد التقنيين هنا أخفى تلك التسجيلات

عن شريف المغفل، وأخفاها جيدًا لسبب وجيه،
فواحد فقط منها كفيل بهد البلد كله.

في التسجيلات رأيت حفنة من سكان الكومباوند،
استطعت التعرف على بعض منهم رغم ارتدائهم
أقنعة حيوانات مختلفة، حيث كانوا في حديقة
الحيوان الخاصة بالكومباوند، ويقومون بأشع ما
رأت عيني أو صورت لي خيالاتي حتى، فرأيتهم
ي...

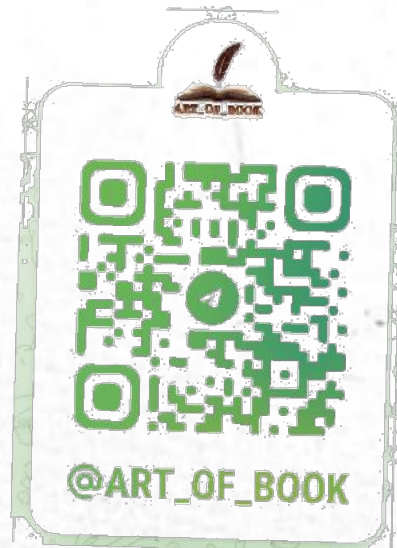
رصاصه.

انتزعني رصاصه من أفكاري، بل انتزعني كلي
من على الكرسي الذي جلست فوقه، لأرتمي بعنف
على لوحة التحكم أمامي وأصطدم بمجموعة
الشاشات أعلاها، ثم أسقط أرضًا. يا له من ألم مبرح!
أشعر بجمرة من نار وقد تم تثبيتها في منتصف
حبلتي الشوكي ليرتحل الألم منه إلى كل خلية
عصبية في جسدي كخيوط من نار. إما أن مطلق
الرصاصه كان يعرف جيدًا ماذا يفعل أو أنه كان
محظوظًا بإطلاق أبشع رصاصه ممكن إطلاقها وهو
لا يعرف.

على الأرض نمت مشلولًا، أواجه السقف
ويعتصرني الألم الهائل، أردت أن أصرخ وأنادي
أو أبلغ الطوارئ ولكن لم يكن في إمكاني فعل أي
شيء سوى التآلم في صمت. داخل حيز بصري دخل
مطلق الرصاصه، رأيتَه بالمقلوب، كان يرتدي قناع

فيل شبيهاً بأقنعة حيوانات الحديقة، لكنني لم أر مثله في المقاطع، ثم قال بصوت خرج مكتوماً من خلف القناع: «الفضول قتل القط.. معلش».

أعرف هذا الصوت، إنه صوت واحد من التقنيين على الأرجح، لكن لم يمكّني وعيي -الآخذ في الذوبان- من تذكره، ربما هو أحد سكان الكومباوند، بسبب القناع؟ لكنه على كل حال أعفاني من تعب التفكير عندما وضع مسدسه على خدي في حنو، ثم ضغط الفيل الزناد.



اليوم الأول في يالم تاون

- ماهر -

كيف تكسب أصدقاء؟

عرفت إجابات كل الأسئلة في حياتي إلا هذا السؤال. أستطيع أن أخبرك كيف تجني مالا لا ينتهي، كيف تحصل على القوة والنفوذ، أستطيع حتى أن أمشي على الماء لو أردت، لكني لا أكسب أبدا أصدقاء، وتلك هي لعنتي الكبرى. على كل حال اليوم ليس يوما مناسبًا لتلك الأسئلة، فاليوم هو يومي الأول في (بالم تاون)، والآن فقط بإمكانني القول أن حياتي بدأت.

بابتسامة لم أستطع إخفاءها بصقت البلغم على الرصيف اللامع المصقول أفضل من صلعة عضو مجلس شعب عجوز، ثم رنت مني نظرة باسممة للنخيل اليافع الذي يزين الطريق على مدد البصر. في أغلى كومباون في العالم، كل شيء مثالي كما تراه في مسلسلات رمضان، بل الأفلام الأمريكياني المكتظة بالخمير والجنس والمال، الفرق الوحيد أننا هنا في القاهرة الكبرى أو (مصر) كما سأظل أسميها مهما أخبروني أنها تسمية فلاحين وصعايدة.

اليوم فقط، أنا متأكد أن والدي يتقلب في قبره مرتاحًا، وأن بقايا عظامه منتشية منتفخة الأوداج

بين بقية العظام الأخرى في التراب ومدافن الصدقة
بأسيوط. أنا هنا يا والدي وسط الباشوات والأكابر،
في أغلى كومباونات البلد وأرقى كومباون بالعالم،
أو كما أخبرتني الحسنة التي باعت لي هذه الفيلا
«كل الوحدات يا فندم مبنية على طراز مدينة
هوليوود الأمريكية وبيفرلي هيلز».

خبطت على كرشي الصغير بضع خبطات في ملل
فتجشأت بصوت عالٍ، ولكن لا مشكلة، فالخصوصية
من المميزات اللا متناهية لتلك الكومباونات.
الشوارع هنا شبه خالية والكل لا يبالي سوى بشأته
الخاص، بإمكانني أن أخلع لباسي وأجري عريانًا كما
ولدتني أمي الحاجة سنية رحمها الله، ولن يرمش
سوى جفنين ثلاثة لمنظر هذا الأربعيني البدين الذي
يهتز كرشه.

استخرجني من أفكاري صوت أشبه بالمواء، ولما
حولت بصري إليه وجدت شابًا سمينًا مصابًا بالعتة
المنغولي كان يركب دراجة فضية قبل أن تنقلب
به بعدما اصطدم بالرصيف. إلى الشاب المقلوب
هرولت وأسندته ليجلس على الرصيف، سألته إن
كان بخير فلم يجبني إلا ببكاء وهو يهز رأسه يمينًا
ويسارًا بعنف، قائلًا كلامًا مثل: (أخرجوني من هنا
- أريد أن أموت - أنا أتألم) لذا أخرجت المنديل
الخاص بنظارتي الشمسية وصرت أنظف جرح
ركبته وأنا أداعبه، حتى ابتسم الولد.

قاطعتني نحنحة من سيدة جميلة ظهرت من

العدم، ترتدي فستانًا أصفر وتحمل صينية تحتوي على بعض الكعك أحمر اللون. انحنت أمام الشاب قائلة بصوت ناعم مصطنع وكأنها شابة في الثانوي: «إنت قاعد فين يا حبيبي؟».

- قاعد مع رضا، قاعد مع رضا.

وجهت كلامها لي: «ثانية واحدة، امسك كده».

كانت امرأة خمسينية برونزية البشرة وإن لم تظهر عليها سنّها الحقيقية، بسبب جسد طرز بكم من عمليات التجميل والشد والنفخ، ظهرُوا بشدة في نهدين كادا يقفزَان خارج فستانها. كما كان لها شعر أشقر متوسط الطول وعينان زرقاوان، هي وجه مألوف لكني لا أستطيع تذكره. بكل وقاحة انزلت عيني إلى صدرها الضخم مباشرة، وجاهدت جهاد الصوفيين حتى أرفعها إلى وجهها ذي الابتسامة العريضة والأسنان ناصعة البياض.

بدون كلمات زائدة منحتني الصينية لأحملها، ثم أخرجت من جيب فستانها جهازًا أسود شبيهًا بريموت التكييف وضغطت بعض الأزرار وهي تعتذر، فحضرت في الحال أمامنا سيارة جولف صغيرة ذاتية القيادة، بلا سائق، أودعت فيها الولد وتأكدت من سلامته، ثم أخذته السيارة من تلقاء نفسها بعيدًا.

التفتت لي السيدة قائلة بابتسامة عريضة: «واضح إنك شاطر في التعامل مع اللي عندهم

داون سندروم»، فقلت وقد فهمت مقصدها: «أخويا
الله يرحمه كان منغولي». وكانت تلك كذبة مُركبة،
فأخي ليس ميثًا، ولا مصابًا بالعتة المنغولي، وليس
لي إخوة من الأساس، ولكن كان عليّ إبهارها. مدت
يدها بالسلام وكأنها تعيد لقاءنا من جديد وقالت
بنفس الصوت المصطنع:

- هاللو.

- صباح الفل.

- أنا مدام نيللي جارتك في الفيلا اللي قدامك.

- أستاذة نيللي الممثلة بتاعة زمان طبقًا، غنية عن
التعريف.

الآن تذكرتها. وضحكت هي ضحكة رفيعة
كالفتيات الصغيرات قبل أن تكمل:

- حبيت أرحب بيك في الكومپاوند معانا.

- منور بأهله والله.

- أنا مش رضيت أشوفك وإنْت واقف مستني في
الشمس كده يا حرام فاقولت لازم أعملك حاجة
تاكلها.

- ست بيت كمان؟

- شوية.. بتحب الريد قيلقت؟

أشارت بسبابة رقيقة نحو الصينية ففهمت أنها
تقصد صنف الكعك، فقلت متصنّعًا عدم الاقتناع

ماظا شفتني: «ماليش فيه أوي الحقيقة، عامل نظام تخسيس». وتلك كذبة أخرى، أنا فقط مُصاب بمرض السكري من النوع الثاني، وهذا ليس جذابًا على الإطلاق. قالت: «إيه اللي موقفك في الشمس بقي؟».

- أنا مرزوع هنا بقالي نص ساعة مستني الموظفة اللي هتديني المفتاح.

- اه... sorry to hear that. تحب أدخلك؟

- تبقي عملتي فيا جميلة.

- طب إديني الكود اللي الكومپاوند بعتهولك على الواتساب.

منحتها تجميعه الأرقام التي لم أفهم منها حرفًا من على الواتس، فأدخلتها كلها إلى ريموت التكييف الأسود الصغير، ثم بضغط زر أخرى على الريموت انفتح الباب ودخلت الفيلا الفخمة خلفها، ببساطة. قالت نيللي:

«زي ما إنت شايف، الباب بيتفتح أتوماتيك بالريموت، هو ده المفتاح بتاعك. Actually هو مش مجرد مفتاح».

كالحواة كانت تشير بذلك الريموت يمينة ويسرة فتزيد إضاءة ما أو تخفي حاجزًا من ديكور الفيلا، تفتح بابًا أو تشغل جهازًا، ولكني لم أسمع حرفًا من كلامها على كل حال لأن تركيزي كله كان منصبًا على

تلك المؤخرة الممتلئة في الفستان. تسألني: «تحب
أفتح لك الستائر؟»، فلا أجيبها، فقط أتابعها وهي
تمارس ألاعيبها بذلك الريموت العجيب، الذي أكدت
أهميته بنفسها عندما عدت لي استخداماته:

«الكومباوند كله ذكي ويعمل بشبكة معقدة من
التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، وهذا الريموت
معجزة تكنولوجية، فهو لا يُشكل مفتاح الفيلا فقط،
بل هو المتحكم الرئيسي بكل أجهزتها، وهاتف
شخصي مع الموظفين والجيران، ويمكنك من خلاله
طلب سيارة جولف مجانية في أي وقت ومكان، أو
طلب النجدة، والحساب على أي مشتريات داخل
الكومباوند».

صدقًا لم أهتم في تلك اللحظة بأي من ذلك، كل
ما أردته هو أن أضاجع برطمان السمن السائل هذا،
فصدق أو لا تصدق، هذا المائل أمامك لم يلمس
امرأة من قبل، وأن سبع سنين في السجن أصابوه
بسعار جنسي على كبر كالمراهقين، والآن أمامه
ممثلة معتزلة كانت رمزًا من رموز الجمال قديمًا.

توقفت نيللي في مكانها بعد أن وضعت الصينية
على السفرة، ثم التفت لتقول: «أنا عملت خمسة
cupcakes عشانك إنت والمدام والأولاد».

- مافيش مدام ولا نيلة.

- أوه. كده أحسن.

أحسن؟ إلام تلمحين يا شقية؟

أكملت كلامها:

- By the way الكومپاوند مش فيه أي أطفال.

- للكبار فقط ولا إيه؟ -دعابة أخرى سمجة ككل
دعاباتي في وجود النساء.

- هي صدفة مش أكثر.

- إزاي يعني؟

- عشان كلنا هنا ناس في قمة الهرم الاجتماعي.
الفيلا اللي قدامك مثلاً تبقى بتاعتي، الفيلا اللي
جنبك بتاعة أكبر محتكر بترول في شرق أوسط
(أسامة عثمان)، والفيلا اللي بعدنا بشارعين تبقى
فيلا (مالك عز).

- الممثل؟

- شطور. زي ما إنت شايف كلنا creme de la
creme والأطفال بالنسبة لنا وجع دماغ وload.
مننا اللي اختار مايخلفش ومنهم اللي بيعت أولاده
مدارس داخلي برة البلد، ومننا اللي ولاده كبروا
وسابوهم أصلاً.

- والمدام أنهي فيهم بقى؟

- أنا مشن أحب أشغل نفسي بمسئولية علشان
شغلي وكده، مع إنني بحب الأطفال أوي. إنت
بتشتغل إيه بقى؟

- حرامي.

ضحكت الجميلة وقهقهت، رغم أنها لم تكن مزحة.
بالتأكيد هي تعرف بخبرتها أنه لا يوجد من يسكن
هنا وهو ليس لصًا من أي نوع، هناك لصوص الأموال
العامة ولصوص الأفكار ولصوص الحقوق، هي
نفسها لصة من نوع ما بالتأكيد. القاعدة تقول أن
المجتهد لا يسكن مثل تلك الكومباونات، ربما سقف
طموحه وحدود مجهوده شقة في مصر الجديدة
والزمالك.

أما أنا فلص من النوع القديم، النوع الذي يفتح
الخزائن ويسطو على البنوك. وقتئذ، كنت شابا
نحيلا وساذجا ملقبا بـ(القفل) كوصمة على
صعيدتي المتجلية بشدة في شارب لم يمسه
موسى منذ نبت وحتى الآن، رافقني نحو ٢٥ عاما
منذ قدمت من أسيوط إلى القاهرة. كنت لصًا
في مجموعة محترفة اشتد نشاطها في أواخر
التسعينيات وبداية الألفية قبل أن يتجه كل
منا لاستثمار ثروته وغسيل أموالها، وأنا اخترت
المقاولات قبل أن أسجن لسبع سنوات -بكامل
إرادتي- عندما كادت ثروتني أن تُكتشف.

سبع سنوات انتهوا منذ عام ونصف، خرجت من
بعدهم وحيدًا أكثر من ذي قبل، خاسرًا نصف شبابي
الذي فقدت نصفه الأول بالفعل في حياة الفقر
والسرقة الخشنة، فاقداً لمواهي البسيطة أصلاً في
تكوين العلاقات والأصدقاء والمعارف.

قالت نيللي بعدما انتهت من الضحك: «أنا لازم

أمشي عشان البيرثداي بارتي بتاعتي بالليل.. إنت معزوم، ها».

- والله هشوف مواعيدي وممكن آجي إن شاء الله.

- تفتكر هتم كام سنة؟

- واحد وعشرين.

ضحكت بشدة على دعابتي المبتذلة حتى أنها مالت للخلف فظهر المزيد من صدرها، ثم قالت وهي تخفي ابتسامتها بيدها: «مش أوي كده يا أستاذ...؟».

- ماهر.

- خلاص هستناك الساعة ٨ بالليل يا ماهر.

قالتها ثم ألصقت بها غمزة خفيفة متبوعة بعبارة على شفتها السفلى، فوسع جسدي سوط الشهوة ووقف الشعر على مؤخرة رأسي، هذه السيدة تريدني بالتأكيد! أنا لست ساذجا ولا مغفلا، يا كرمك يا رب، بعد كل سنوات الحرمان أتاني الثواب على هيئة ٧٠ كيلو من الجمال والرغبة المتأججة.

ودعني نيللي بخفة لا تتناسب مع جسدها الطري وحمولته الأنثوية بعد أن منحني الكعك أحمر اللون، هذا الريد فلفل يبدو شهيا مثل صاحبتة، صاحبتة التي قالت (مدام) يا جحش. ربما هي أرملة، أو ربما مطلقة، هناك العديد من الاحتمالات يا مدام نيللي التي وقعت في حبي من أول نظرة.

صحيح أن الأمر يبدو غير منطقي ولكنها قالت أنها
تراقبني منذ ساعات، بالتأكيد وقعت ضحية لهذا
الشارب الصعيدي الذي ينبض برجولة فائقة -وهنا
برمت شاربي بخيلاء- فحريم تلك الكومباونات لا
يعرفن إلا الرجال البسكويت والنواعم. فكرت وأنا
أتأمل كفي الخشن المتشقق، تذكرت كل تلك المرات
التي حملت فيها الطوب والزلط والعتلات، أن الألوان
لها أن تستريح وتقبض على الحياة من تلايبيها.
حسنًا يا نيللي، استعدي لتذوقي من الغرام أنهارًا
الليلة، ولا تشتكي من غشامة هذا القطار القشاش.

على المنضدة الخشبية الصغيرة التي تتوسط
الصالة لفت نظري باقة ورود ذابلة، مرفق معها
بطاقة تحمل إهداء. لم عساهم أن يهدوني ورودًا
ذابلة؟ إنها تقاليع الأغنياء بالتأكيد. أمسكت البطاقة
التي احتوت على صورة لفيل صغير، وبضع كلمات
قرأتها:

«سبب الفيلا وامشي، مش من مصلحتك تقعد
فيها خالص. خصوصًا الليلة».



(٣)

قاتل على الرصيف

- ريم -

ما الذي يمكن أن يفقده الإنسان فيحوله إلى جثة
غير صالحة للمعيشة؟ هل هو حب حياته، أم مليار
دولار في حسابه البنكي، أم مساحة ١ تيرابايت من
الصور والذكريات على iCloud؟

عينان.

أحجية أخرى: ما الذي يمكن أن يحول الألماس إلى
فحم، وفستان ماركة جوتشي إلى خرقة بالية، ونور
الشمس في السماء إلى دماء لزجة؟

العمى.

من سيجارة بطعم التوت سحبت نفساً بطعم اللا
شيء. أصوات فيلم (أمير البحار) تصدر عن الشاشة
الكبيرة في الصالة، تعرض موقفا يدعو للضحك
لكن ذلك الفيلم لم يعد كوميدياً، وكيف تكون هناك
كوميديا بدون صورة؟ كيف تضحك وخواطرك
تتعثر مع كل فكرة؟ الظلام يدان قويتان تلتفان
حول عنقي بطول الأربعة وعشرين ساعة حتى صار
التنفس في حد ذاته معجزة كبرى، وأمست حياتي
رثاء طويلاً وممتداً على كل ما فقدت.

عاودتني ذكرى الحادث بنقاء ووضوح شاشة

سامسونج سينمائية أحدث موديل، فانتفض جسدي
على الأريكة المريحة ككل مرة أتذكر أصواته التي لا
زالت مطبوعة داخل أذني مثل قرط صدي: صراخي
وصراخ بقية البنات، احتكاك العجل وصريره
كصرخة فزعة، نفير الشاحنة قبل الاصطدام، ثم
سيمفونية الزجاج المكسور، الذي ترك يدي وملابسي
وأفخاذي واختار السكن في عيني، إيجار قانون
قديم أبدي.

(السرعة القصوى ٨٠ كم) - (الرجاء ترك الهاتف أثناء
القيادة) كل تلك اللوحات الإرشادية الغبية على
طريق العين السخنة لم تكن غبية تمامًا في نهاية
الأمر، ولكنك دائمًا تفكر (لا تحدث تلك الأمور معي)،
أليس كذلك؟

المثير للسخرية أن الجميع خرج سالمًا بلا خدش
واحد، انقلبت السيارة الپورش بنا ٤ دورات وكحتت
أسفلت الطريق لمدة من الزمن، لكن حتى شاشات
الهواتف لم تنكسر والملابس لم تتمزق، «حمدًا لله
أنكم سالمين، الخسارة الوحيدة كانت عيون ريم»
همسات سمعتها ذلك اليوم ولم أستطع تمييز قائلها.
عيون ريم ضرر جانبي بسيط، مثله مثل أطراف
محروقة لكعكة مثالية، أو تسريح بضعة موظفين
من عملهم من أجل الحفاظ على أرباح الشركة. إنها
عيوني يا ملاعين!

(العشا جاهز يا ريم).

قالتها (نجاة) خادمتي بصوت خانع مستكين وهي
تقف بجواري، فضاقت صدري أكثر. المستفز في الأمر
أنها لا تكلم أحداً بتلك النبرة سواي، وتلك الشفقة
الخفية هي الأكثر إيلافاً ومرارة في تجربة العمى
حتى الآن، فربما ملامحها متأسية الآن على حال
الشابة التي تجلس على الأريكة بمنظار أسود ولا
تتحرك إلا فيما ندر.

لنجاة ملامح مصرية أصيلة، فهي سمراء وطيبة
ونحيلة، شابة ثلاثينية ألفتها وأحببتها منذ عرفتها،
ورغم مرور عام فقط على الحادث فأنا بالكاد
أتذكر وجهها الآن، ليس لشيء سوى أن عقلي صار
يلعب لعبة كسولاً غبية باستبدال أوجه كل الرجال
بـ(رشيدي أباطة) والنساء بـ(شويكار)، فلو كنت
سأمضي حياتي في هذا العمى الدائم فلأستفيد من
بعض مزاياه، ولأجعل الجميع وُسماء بلا كروش أو
أنوف ضخمة.

ولكن ماذا عن ملامحي أنا؟

حاولت تذكرها كما لو كانت تعود لشخص غريب،
تحسستها بيدي فحلت في رأسي سريعاً: وجهي
الطويل ذو الفك المنحوت، عظام الوجنتين البارزتين
مع شعري الفاحم الطويل الذي كان يتلاءم بشدة
مع أنفي الحادة وشفاهي الرفيعة، وأعين كانت
بنية واسعة قبل أن يحل محلها منظار أسود. كنت
جميلة، أسمع تعليقات دائمة من نوعية أنني يجب
أن أعمل كعارضة وأناي أجمل من ممثلات عالميات،

خاصة أن جسدي يتمتع بتلك الميزة التي تدر
الأموال وتفتح الأبواب للعديد من النساء: معدل
حرق عالٍ يمنعني من اكتساب الوزن.

في مرة من المرات علقت زميلة بالجامعة على
وزني بمزاح ونحن نأكل البيتزا قائلة أن (فيه ناس
بتأخذ كل حاجة)، وتلك جملة لم أفهمها مطلقاً،
أليس هذا هو الطبيعي؟ هل من الطبيعي ألا يولد
أحدهم ابناً لمحام مرموق وسيدة مجتمع شهيرة؟
أن تكون كل طلباته مجابة، أن يأخذه السائق
الخصوصي لأي مكان في أي وقت، أن يأكل ما يشاء
ولا يسمن، أن يسافر، يشتري ويرتدي ما يعجبه،
يذهب للنادي بعد المدرسة ويلعب التنس، أن يسكن
في بالم تاون بصحبة الممثلين والمشاهير؟!

خلال سنيني الماضية كلها كنت أؤمن أنني
الشخصية الرئيسية في هذا الكون وأن الباقيين
أدوار إضافية في خلفية العالم، لا حياة لهم، مجرد
ديكور رخيص ليكتمل المنظر العام، ثم أتت شاحنة
عملاقة لتخبرني أنني خسرت الدور الرئيسي لصالح
ممثلة أخرى، ثم أبعدني القدر إلى خلفية المسرح
ككومبارس يمسك بعصا ويتلمس طريقه كالعميان
في مشهد كوميدي، كومبارس لا يلاحظه أحد من
الأساس. الآن أنا على نفس المستوى من الأهمية
مع جامع القمامة بالخارج، وصابر السائق، وكل
تلك الشخصيات الثانوية التي لا يُكتب اسمها على
أفيش أو تتر.

بمرارة أخبرت نجاة أنني لا أريد أن آكل، ثم وضعت السماعات في أذني لأسمع كتابًا كنت بدأتُه منذ أيام، مجموعة قصص قصيرة لأنطون تشيخوف. منذ عام كنت لأظن أن هذا التشيخوف لاعب كرة قدم أو (ريستوبار) في الساحل الشمالي، ولكن سماعي لكل تلك الكتب جاء عرضًا جانبيًا لفقداني البصر، أدركت بعده تدريجيًا كم كنت حمقاء ومجوفة، وكم كانت حياتي وأفكاري كلها مجرد إفرازات لزجة لغدد المجتمع الغني المخملي.

ربتات على كتفي من أصابعها الرفيعة أجبرتني على انتزاع السماعة لأصرخ بعصبية: «فيه إيه يا نجاة؟!». لطالما أخبرتها أن تلك الحركة تستفز أسوأ شياطيني! فقالت بحنو: «أسفة والله يا حبيبتي بس الأكل هيبرد وسلوى هانم أكدت عليا أأكلك».

- لا شكرًا مش عايزة.

- مانفسكيش تروحي العيد ميلاد طيب؟

- عيد ميلاد إيه؟

- العيد ميلاد بتاع نيللي، دي عاملة حفلة كبيرة موت شغالة من بدري أوي، مش سامعة المزيكا؟

أصغيت سمعي إلى أنغام أغاني (عمرو دياب) المكتومة السابحة في الأجواء، ثم قلت متململة في جلستي: «ده تالت عيد ميلاد تعمله السنة دي، الست دي اتهيلت».

ضحكت نجاة مشجعة إياي على مواصلة الحديث
وقالت بخبث: «ما إنتي عارفة اللي فيها»، ولكني
سكت ولم ألتقط الطعم الذي ألقته إليّ به، فنجاة
خبيرة نميمة من الطراز الأول، ونيللي مادة دسمة
لأن جميع سكان الكومباوند يعلمون بأمر إدمانها
المرضي للجنس، وأنها لا تستطيع الصيام عنه ثلاثة
أيام متواصلة على أقصى تقدير، الجميع يعلم، حتى
زوجها الأهطل.

كدت أشاركها الحديث، إلا أن جدران العمى
الوهمية ضاقت عليّ فجأة وشعرت بالهواء في
صدري يتصلب. أحيانًا تمر بي ثوانٍ أمقت فيها
العالم بمن عليه وما فيه، تنتابني رغبة في الصراخ
حتى تتمزق أحبال الصوتية، كما أوتار كمان لعبت
لحنًا عنيفًا. فقلت لنجاة هاربة من رغبة الصراخ،
بصوت قطعه سكين المرارة: «أنا هخرج أتمشى
شوية».

- طب آجي معاكي؟

• لا أنا هاخذ شلبي.

بالطبع لم تجرؤ على مناقشتي، كانت تعرف أن
كلمة إضافية منها في هذا الصدد هي بمثابة دعة
للفانوس الذي يحتوي مارد غضبي، فلم أسمع سوى
صوت لعبها المزرد ببطء وهي تشاهدني أتحمس
الأريكة حتى أعثر على العصا الخاصة بي، ثم أصدر
بفمي صوت الـ (بسبسبس) فيأتيني قطي

العزیز شلبي لیقف أمامی وقفة جندي تم استدعاؤه
لمعركة.

شلبي هو صديقي الوحيد في عمای الذي بقي،
فلم یبق لی بعد مجامیع الأصدقاء العديدة سوى
القط الرمادي كثير المواء والحركة، الذي فهم بمخه
الصغير أنني لم أعد أرى فتطوع حتى یصیر عیني
بكل براءة، فیحضر لی هاتفی أو جهاز تحکمی
عندما أمد یدی بحثًا عنهما، ویقود خطواتي التائهة
كلما خرجنا سويًا، وها هو یحمل الريموت بین
أسنانه كالعادة عندما فهم أننا سنخرج.

في جیبی وضعت مفتاحي، أو الريموت الخاص
بی، وتحسست بالعصا طریقني نحو الباب، ثم فتحته
وخرجت شاعرة بإنجاز مر. أنا ریم فريد، بعد أن
كانت قائمة إنجازاتي وطموحاتي لا نهائية وتدور
حول السفر والعمل، صرت كالأطفال، أكافئ نفسي
كلما فتحت بابًا أو قضيت حاجتي بمفردي، ألا لعنة
الله على البصر والمبصرين والوجود بأكمله!

كان الجو جميلًا بطقس خريفی مسالم حمل بقايا
من حر نهاية الصيف، مما شجعني أكثر على المشي
برفقة شلبي. لم أسمع في الطريق سوى الأغاني
الصيفية المنبعثة من فيلا نیللي، لا خطوات في
الجوار ولا أصوات سيارة تمشي، فقط أنا وقطي
وعصاي في الشوارع المنسوخة من الضواحي
الأمريكية.

شهيق. اشتممت رائحة الليل، والزرع المبتلة،
ومعطر صناعي برائحة الخوخ يرشه عمال النظافة
في شوارع الكومباوند يوميًا. كلما مشيت كانت
تقترب مني أصوات الأغاني حتى فكرت في دخول
الحفل لكنني عدلت عن الفكرة على الفور، لن أسمح
لنفسي بأن أكون فقرة الحفل وموضوع الأحاديث
الجانبية ومصمصة الشفاه. أنا حتى لا أعلم ما الذي
أرتديه، ولا أعلم إن كان شعري مصفًا أم لا.

وقبل أن أغوص أكثر في أفكاري السوداوية
سمعت صرخة من الجانب الآخر للشارع، صرخة
نسائية حادة أوقفتني عن المشي، وأوقفت الشعر
على جسدي، وأوقفت شلبي عن الهرولة لينطلق في
مواء فزع. صرخة من النوع الذي يقول: (لقد رأيت
جثة) أو (أنا الجثة).

رغم الأغاني العالية التي كانت تخرج من فيلا
نيللي فأنا سمعت الصرخة بوضوح، وأدركت بغريزة
ما أنها صرخة شخص يُقتل، بالتحديد صرخة امرأة
تفارق نفسها جسدها.

تجمدت مكاني لا يدري عقلي بما يخبر عضلاتي،
رسمت علامة الصليب في رعب غير عالمة أي اتجاه
أسلك، ثم سمعت بابًا يُفتح ويُغلق بقوة على مسافة
قريبة مني، وبلا جهد رسم خيالي المشهد. هذا هو
القاتل، وتلك الخطوات العالية التي تقترب مني هي
خطواته، إنه يلهث، إنه يقترب مني، ولكن لماذا لا
أجري؟ قدمي مغروستان في الأسفلت، مصنوعتان

من الإسمنت، لا أقوى على أي نوع من الحراك،
ورائحة القاتل تقترب مني، خمر قوي يغزو المساحة
حولي وأنفاس ساخنة تلفح وجهي. إنه أمامي الآن،
وجسدي لا يقوى على شيء إلا الارتجاف، والإتيان
بضربات القلب المتسارعة المجنونة، فحتى الصراخ
لا أقوى عليه.. سأموت الآن، على هذا الرصيف.



(٤)

عيد ميلاد وجثة في البانيو

- ماهر -

على البطاقة الخائبة ذات وجه الفيل أقيت نظرة كسولاً ثم أقيتها في سلة القمامة الفارغة. لم يخفني المقلب نهائياً ولكنه أثار تحفظي ناحية السكان هنا، وزاد من قلقي حول إمكانية الاندماج معهم. ولكن غطى على قلقي وصول الموظفة التي سلمتني المفتاح واعتذرت لي عن التأخير، ثم أخذتني في جولة داخل الفيلا.

فيلتي فخمة من الداخل ومن الخارج ككل الفيلات هنا، بلون واجهتها الأزرق والأبيض، وقمتها الهرمية الخاصة ببيوت الحلم الأمريكي، «الأمريكان دريم». لا تستغرب، فهي كلمة حفظتها عن ظهر قلب رغم أن حصيلة كلماتي الإنجليزية أقل من الأطفال في الحضانة، وأنا بالكد تخلصت من لهجتي الصعيدية القديمة ذات الـ (ج) المعطشة، فبذلت في سنين شبابي أشد الجهد حتى أطمس اللهجة بهزاتها من قاموسي وأتحدث كمواطن قاهري. بالطبع لم أكلف نفسي عناء تعلم الإنجليزية بعد كل هذا الكفاح، ولكن لكلمة «الأمريكان دريم» بالتحديد قصة.

كان (حازم بك) رئيس تشكيلنا الإجرامي يردها

أمامي ليل نهار منذ عملت معه في شبابي، هي عنده مرادف لكلمات مثل (المستقبل - الطموح) كلما احتاج لتحفيزنا، فكان قبل كل اجتماع يشير إلى تلك الصورة للمنزل هرمي الشكل التي تزين مكتبه ثم يذكرنا بـ«الأمريكان دريم» الخاص بكل منا: أرض في البلد؟ صالون الحلاقة الذي تحلم بافتتاحه؟ مليون جنيه في البنك؟ ركز على «الأمريكان دريم» الخاص بك. وكان الحلم الأمريكي خاصتي هو بيت مثل الموجود في الصورة خلف مكتبه، كان حلمي بالأحرى أن أتصل من جذوري كلها، أن أخرج من شرنقة الفقر فراش ملون بأجنحة أولاد الناس، وها أنا هنا، وسط صفوة المجتمع، وقرية سأسير واحدًا منهم.

بعد رحيل الموظفة المثيرة -التي وددت لو ظفرت منها بقبلة- قررت حضور عيد ميلاد الفنانة نيللي، كخطوة أولى للاندماج مع السكان هنا. لم تكن المسافة بين فيلتها وفيلتي كبيرة، بالأحرى لم تكن هناك مسافة أصلاً، فقط كان عليّ أن أعبر الشارع الواسع الهادئ وسأصل، وها صوت الأغاني المائعة التي يسمعها ملاك اليخوت يأتيني عبر الهواء بيننا. على الأرجح بدأ الحفل منذ قليل، في التاسعة كما قالت.

كل ما أحताجه لسرقة الأضواء هو قميصي المشجر السماوي، وحذائي الفيرنييه، وكولونيا من المستوردة التي اشتراها لي مرقس. تذكرت مرقس فأخرجت

هاتفني وقررت الاتصال به، فما نفع مساعد يتقاضى
آلاف الجنيهات إن لم يكن هنا وأنا أشعر بالملل؟
مرقس ولد طيب، يتحمل كثيرًا ولا يشكو مهما
ضغطت عليه، ودليل آخر على عيني المدربة في
قراءة البشر وصيد الكنوز من بين النفايات. بعد
خروجي من السجن اكتشفته وتبنيته ثم أوكلت له
مهمة إعادة تشغيل شركة المقاولات ثم كل شيء
آخر، وهو من تولى أمر شراء تلك الفيلا (اللُقطة)
بعدما صارحته برغبتي في السكن هنا، وفي غضون
أسابيع كان قد تصرف ووجدها ودفع ثمنها، ولم يكن
عليّ سوى معاينتها وتوقيع العقود فقط.

اتصلت به فأتاني على الفور صوته الذي يتوتر كلما
رأى رقمي. قال: «أيوة يا حاج، فيه حاجة؟».

- يا ض يا جايف مش كل ما أكلمك تقول لي فيه
حاجة!

- معلش يا حاج مش ق...

- وبلاش حاج دي، ماتحسسنيش إني قد أبوك.

- معلش يا عم ماهر.

- فينك كده؟

أثناء المكالمة سرت أتفقد بيتي الجديد بنصف
وعى ونصف مبالاة، أتلمس الأثاث الناعم الذي غلب
عليه اللون البني الفاتح، والخشب الفخم، وأتشمم
الزروع الباهظة. من الغرف للمطبخ للصالة سرت

أستكشف أهم إنجازاتي، بينما يحدثني مرقس
عن سير العمل والمهندسين والصناعاتية ويسرد
أرقامًا وتفاصيل لم تهمني حقًا بقدر ما أردت أن أملأ
وحدتي بصوت وحياة بدلًا من أن يصدح هذا البيت
بخطواتي الثقيلة التي تشعرني بوحدة مفاجئة،
ولكن ما الجديد؟ أنا والوحدة صديقان جيدان،
بل أفضل أصدقاء. اتخذت علاقتنا عدة منحنيات
في الواقع، من عدم تقبل إلى قبول ثم حب، أنا
رجل نبذني العالم منذ ولدت لعدة أسباب وجيهة:
صعدي، يتيم، أمي، لص، مصاب بالسكري، سوابق.
باختصار أنا كيس قمامة متحرك في أعين الجميع،
ولم أكتسب الرونق ولا حب الناس إلا بالمال.

المال هالة من هالات الملائكة ومِسك يغطي على
الروائح النتنة، المال هو الغطاء الذي سترت به كل
عوراتي فلم أصبح يتيما ولا أميا، بل بيه ومستتر
وحاج رغم أنني لم أحج ولا أركعها، ولكن ذلك
الورق المستطيل يمنحك ما يمنحه الإله والأولياء
والقديسون.

سألته وأنا أتبول في الحمام الرخامي بعدما ألح
عليّ السكري: «والبت بنتك عاملة إيه؟».

- الحمد لله أحسن، بس الحضانة بتشفط فلوس
كثير أوي.

- إنت عبيط ياض؟ إوعى أسمعك تتكلم في فلوس
وعمك ماهر موجود.

- لا يمكن أبدًا يا عم ماهر. خيرك سابق.

- إنت هتمشي كلامك عليا ولا إيه يا جلنف؟

- ربنا يخليك لينا يا رب.

- عملتلي إيه في موضوع الشغالة صحيح؟

- اسكت، الشغالة اللي اتفقت لك عليها ولعت.

- قول والله!

- آه صدقني، البيت اتحرق بيها هي وأمها وخرجوا

فحمة، ولا حجر المعسل.

- يا بنت الحرام. يلا أهى خدت الشر وراحت.

- بتفق لك على واحدة تانية في أسرع وقت.

- طب بقولك إيه، أنا عايز بوكيه ورد بلدي حلو كده

ييجي على الفيلا كمان نص ساعة. تتصرف وتشيع

تطلبهولي.

وبعد ساعة من تلك المكالمة كنت أقف أمام فيلا

نيللي بكامل أناقتي، أمسد صلعتي وأصفف بقايا

شعري بكفي. أخذت نفسًا عميقًا وألقيت نظرة

على باقة الورود الحمراء التي طلبها لي مرقس،

ثم رسمت ابتسامة وأنا أشق الطريق إلى الباحة

الخلفية للفيلا التي بزغ منها ضوء ذهبي وأغانٍ،

وروائح شواء. في الطريق للداخل لمحت حبالًا

من نور معلقة في الحديقة المعتنى بها بشدة التي

توسطتها مائدتان طويلتان تغطتا بملاءات بيضاء

وحملتنا أصنافاً من الطعام والشراب.

أما أول ما وقع بصري عليه في المكان فكان منظرًا غريبًا بحق، أشعرنى لوهلة أنني في حلم عجيب: كان الحضور كلهم يرتدون أقنعة حيوانات: رؤوس ثيران وأسود وثعابين، فوق الملابس الباهظة سواء من بدلات أو تي شيرتات وشورتات، منظر يشبه آلهة الفراعنة كما لو أنهم هبطوا إلى زمننا، واحتاج مخي بعض الوقت لترجم أن الحفل تنكري.

بعض التوتّر تخشبت في مكاني أبحث عن نيللي في غابة الحيوانات تلك، لكن كيف أجدها خلف كل تلك الأقنعة؟ بعيني فرزت الحضور والأجساد، وفي نهاية الأمر لم يكن العثور عليها صعبًا لأنها كانت طويلة نسبيًا مقارنة بامرأة عادية، ولأنني لما فقدت أعصابي ناديتها (بحمورية) كمن ينادي جاره في الدور الرابع بحارة كرم السروجي: «يا مدام نيللي».

خلعت الطويلة قناع اللبوة الذي ترتديه وقد أشرق وجهها ما أن التفتت ورأتني، ثم أتت تجاهي فاتحة ذراعيها على اتساعهما ممسكة بكأس من مشروب ذهبي اللون وهي تقول بمرح قائلة: «ماهر! إيه المفائجة الحلوة دي؟» -تعمدت نطقها بتلك الطريقة- فخطوت إليها حاملاً ابتسامة تزن نصف طن على وجهي، وبدون مقدمات احتضنتني فانتفض جسدي الغبي كمن قرصه عقرب.

أعلم أن هذا «سلو بلدهم» ولكني لم أتوقع ولا

أستوعب أن تحتضني حرمة بعد أُمي رحمها الله،
فحاولت السيطرة على تلك الرجفة التي سرت في
جسدي بأن ضممتها أكثر لصدري وكأنني معتاد على
هذا، ثم أهديتها الورود قائلاً الجملة التي تمرنت
عليها: «هابي بارزاي تو يو»، فضحكت مجدداً ومالت
للخلف ثم قالت جملة بالإنجليزية لم أفهمها تبعثها
بقولها: «كيوت خالص. تعالى أعرفك على الناس».

سحبتي من يدي بكل سلاسة فانتفض جسدي
مجدداً لكني تركتها تقودني كالبهيمة طواعية، ثم
أوقفتني وسط مجموعة من الجيران -أو الحيوانات
بالأحرى: دب، وأسد، وغزالة، وبدأت تعرفني بهم
بعدما طلبت منهم أن يخلعوا أقنعتهم: «أستاذ ماهر
جارنا الجديد يا جماعة.. أعرفك، ولو إنهم مش
محتاجين يعني: هشام جابر الفيتنس كوتش، (مالك
عز) الممثل غني عن التعريف، والمدام بتاعته سارة
المنزلاوي اللي بدأت تخطف منه الأضواء».

ضحك ثلاثتهم على دعابتها بمجاملة ثم تركتنا
حتى تحضر مشروباً، فكسرت حائط الصمت قائلاً:
«مالك باشا أشهر من نار على علم طبعا، باشا السينما
المصرية». فابتسم (مالك) صاحب قناع الأسد
نصف ابتسامة ردًا على إطرائي وهو يهز رأسه هزة
خفيفة. لم يختلف نهائياً عن التليفزيون، فكان يتسم
بالبرود في كل شيء، بالضبط كما يظهر في الأفلام
والإعلانات، ذلك النوع من الأشخاص الذي كلما
رأيتَه تظنه استيقظ لتوه من النوم، بأعينه نصف

المفتوحة وصوته العميق وطريقة كلامه البطيئة جدًا، وكأنه مصاب بالإمساك، لكنه والحق يقال وسيم للغاية، له طابع حسن مميز في ذقنه وشعر ناعم جعلاً منه نجم شباك بلا مجهود، فضلاً عن جسد رجولي انتفخ بالهرمونات بعد أن كان يعاني الأنيميا، ووجه صار حاداً بعدما طاله سكين معجون جراحات التجميل.

ثم سألني صاحب قناع الدب بمرح، مدرب اللياقة (هشام)، الذي لم يكن يحتاج لقناع لأنه بالفعل كان يشبه الدب في كل شيء: «وانت البيزنس بتاعك إيه بقى يا أستاذ ماهر؟».

بالطبع لن أقول مقاولاً. في وسط ممثل ومدرب لياقة ومذيعين ورجال أعمال كلمة مقاول لها وقع باهت، فقلت الكلمة الأولى الوجهية التي أضأت في فراغ عقلي: «دكتور». فقال (مالك) وهو يلف ذراعه حول امرأته: «مالك كمان كان دكتور أسنان قبل ما يمثل على فكرة».

- مالك مين؟

- مالك.. أنا.

- آآ... زمايل في المهنة يعني.

هذا العبيط يتحدث عن نفسه بضمير الغائب؟! رائع. وبينما أخذ يخوض في التفاصيل الطبية صرخ عقلي (كفى وتوقف عن الاندماج في الكذبة الله يخربيتك) لكن قالت نيللي التي عادت حاملة كأساً

إضافية من البيرة: «دكتور؟ واو! اعتبرني أول زبونة
في الكومپاوند. عندي برد فظيع، مش أعرف أنا
منه». فما كان مني إلا أن قلت بنبرة الخبير:

- ألف سلامة يا مدام. هي نومة التكييف بنت
الحرام.

- آخذ له إيه ده يا دكتور بقى؟

- هكتب لك واحد أنتيبايوتك فيه الشفا.

ما الفارق بيني وبين الطبيب على كل حال؟ لا
يوجد فارق واحد حتى، فالخواتم السبعة التي تزين
كفي تشكل قمة الوجاهة والفخامة (ولا أجدعها
دكتور) كما أنني أطيل ظافر خنصري مؤكدًا هييتي
في المكان، أكثر من أي طبيب حتى. الطب في
العموم أسهل من الطبخ والحياسة، قل (أنتيبايوتك)
و(بانادول) وأؤكد لك أنها الإجابة الصحيحة بنسبة
٦٠٪ على الأقل، فمعظم الأمهات أطباء أفضل من
خريجي الطب ويحفظون الأدوية ويرشحونها
كرئيس قسم متمرس، فقط بالملاحظة والتعود.
مدت نيللي يدها لي بالكأس وقالت: «درينك؟»،
فقلت رافعًا كفي: «ما بشربش خمرة.. لزمًا إنتي كمان
تبطلي عشان صحتك».

- هتطلع الطب بتاعك علينا بقى؟

وقبل أن تتطرق للمزيد من التفاصيل الطبية
أنقذني (مالك) الذي كان يعيد لف ذراعه حول
امراته مرارًا وتكرارًا في ثمالة جلية، فكانت تبعد

بضيق في كل مرة. خلافات زوجية واضحة
اتضح أكثر في حاجبيها المعقودين، مما تسبب
في إطلاق (مالك) زفرة ملولاً واضحة دفعت امرأته
للقول: «أنا عايذة أروح»، فقال: «سارة، مالك زهق
على فكرة.. إنتي بقيتي نكدية من ساعة الجنينة».

اندلع بينهما شجار بارد، حاولت نيللي إخماده
بلطف لكنه اشتعل أكثر، ورحل الزوجان في صمت
مخرج. اعتذرت المدام الطويلة عن هذا الموقف
ثم عرفتني لباقي الحضور بصفتي (دكتور ماهر)
بعد أن طلبت منهم كلهم خلع الأقنعة، ولكن كانت
الأسامي والناس أكثر من استيعابي، فربطت كل
واحد منهم بقناعه، خاصة وأن الأقنعة كانت مشابهة
لأصحابها بطريقة ما:

صاحب قناع القرش كان المتحكم الأول في تجارة
السيارات حالياً (محسن سكر)، الأسمر الممتلئ
صاحب العينين الخضراوين، قرش بالفعل في
التجارة وكل ما يتعلق بها.

والثعلب كان رجل أعمال شاباً يمتلك شركات
تطبيقات حديثة مثل أوبر وكل تلك الأشياء، اسمه
(ياسر الحسيني) وله وجه هادئ وشعر مصفف
كذيل حصان نسائي ويرتدي منظاراً طبياً سميكاً
وملابس بيضاء فضفاضة.

أما قناع العصفور الكاريبي فارتدته عارضة أزياء
شهيرة أرى صورها على المحور في الكثير من

الإعلانات تدعى (خديجة التهامي)، وهي لا تمت للعصافير بصلة، فلها جسد سمين حقًا حتى أنني فكرت أن قناع بقرة سيكون أكثر ملاءمة، لكن كان لها وجه مقبول بشعر بني طويل وأعين عسلية جميلة، وكانت متعلقة بذراع شاب مائع في غرام واضح، حتى أنهما ارتديا نفس قناع العصفور الكاريبي في إشارة لكونهما عصافير حب على الأرجح.

قناع الثور كان من نصيب (طارق عبده) لاعب الكرة السابق الشهير والإداري الحالي لأحد الأندية التجارية، الذي لُقّب بالفعل باسم (الثور) مع ألقاب حيوانات عديدة عندما كان مهاجمًا محترفًا في الدوري الإسباني، مثل (جودزيلا - الفيل). له رأس حليق شهير وتحت أعينه أسود بشدة، ويقوم بحركة عصبية كل بضع دقائق يدعك بها أنفه. هو مدمن كوكايين على الأرجح.

والغوريلا كان (جميل العناني)، الأسمر ذو الشارب الكث والذي كان رئيسًا لاتحاد الكرة في وقت من الأوقات قبل أن يتجه للبرامج الرياضية. هل اختياريه للغوريلا عائد لكون اتحاد الكرة مسمى بالجبلاية أم لأنه كان دميماً؟

أما قناع الثعبان أو الحية فكان لمذيعه قصيرة ذات شفاه منتفخة وجسد ممتلئ ورموش طويلة اسمها (ريهام رزق)، لم أكن سمعت بها من قبل -لحظي السيئ- ولكن اتضح أنها متخصصة

في برامج فضائح المشاهير، حيث تستضيفهم وتواجههم بأسرارهم السوداء، فاشلة لكنها تزوجت من منتج شهير أجلسها على عرش الإعلام سريعًا. ربما اختارت قناع الحية بسبب مهنتها تلك.

كل هؤلاء -بالإضافة إلى الدب والأسد والغزالة- عرفتني عليهم نيلى، يا له من كم كبير من البشر يصعب على عقلي استيعابه! لو كان كل هؤلاء شخصيات في كتاب أو رواية أقرأها لكنت على الأرجح لعنت الكاتب ونعته بالفاشل لأنني سأعود إلى تلك الصفحة مرارًا حتى أحفظهم وأتذكرهم.

كانوا واقفين في مجموعات صغيرة متحمسة، كل مجموعة منغمسة في الحديث عن أمر ما وفي أياديهم إما كنوس المشاريب أو قطع الجاتوه القزمية والفظائر في حجم عقلة الإصبع، وبشكل عام كان الخمر قد نال من أغلب الحاضرين فتباسطوا معي ومرت الليلة خفيفة رغم عوائق اللغة ومفردات الأثرياء، وأنزلهم الويسكي من أعلى سلمهم إلى حيث أنا، ولهت البيرة بأفكارهم فخرجت غير مرتبة ودخلت المعلومات رؤوسهم مشوهة حتى أنهم قبلوا بكل منطقية فكرة كوني طبيبًا، بل إن المذيعة -الحية- التي أفرطت في الشراب أخذت تضحك كثيرًا ضحكة رقيقة عالية على أي ما أقوله كما لو كنت إسماعيل يس في أوج مجده.

قبل نهاية الليلة أتت الخادمة الخاصة بنيلى بصينية تحتوي كعكة عيد ميلاد ضخمة باللون

الوردي والكثير من الأشكال الخاصة بدمية (باربي)،
 واجتمع الحضور حولها يغنون أغاني أعياد الميلاد
 في نشاز معتاد لكن محبب، وعمومًا كانت الأجواء
 حميمية ففوجئت بمحسن سكر -قرش السيارات-
 يربت على ظهري وهو يغني مع جمال العناني
 -غوريلا اتحاد كرة - مكونين كورالًا صغيرًا وقد
 ألصق وجهه بالقرب من وجهي.

بنهاية الأمسية كنت قد شعرت براحة مضاعفة
 وأكلت كالجحش ما يزيد على ربع الكعكة التي
 تمكن سكرها من مزاجي حتى انتهى بي الأمر
 غاطسًا في الكريمة البيضاء ملطخًا الشارب والوجه،
 مذكرًا نفسي بأني سأضطر لتناول ضعف جرعات
 الأنسولين.

في النهاية، ودعت حضور الحفل وخرجت من
 الحديقة بروح خفيفة وعقل ناعس تجاوز ميعاد
 نومه، بابتسامة لمس صاحبها مخمل الهاي كلاس
 وتشبعت أنفه بعطوره الغالية. صحيح لم تسنح لي
 الفرصة لمضاجعة نيللي ولكني اكتفيت بالكعكة
 الشهية وبنشلي لجيوب اثنين من الضيوف، وفي
 صبر أقنعت نفسي أن هؤلاء النسوة الأغنياء لن
 يمتثلن لي بين يوم وليلة، وأن العملية تحتاج لبعض
 المثابرة ليس إلا حتى يدركن كم أن العرق الصعيدي
 أقوى وأفضل من كل هؤلاء المخنثين.

عدت إلى فيلتي ثملًا من خمر النشوة الوهمي،
 وكأن ثمالتهم مُعدية كالإنفلونزا، فواجهتني بعض

المتاعب في فتح الفيلا بالريموت الغريب إياه،
خصوصًا أن مثانتني تذكرت امتلاءها بالبول ما أن
لمحت باب الفيلا، وبعد عدة ضغطات على مختلف
الأزرار انفتح الباب فجريت على دورة المياه، وفي
ثوان كنت أقف هناك أتبول كملك منتصر عاد من
فتح عكا.

وفي أثناء التبول، لفت نظري خيوط حمراء تسيل
من المغطس على أرضية رخام الحمام الأبيض،
فرفعت بصري لمنبعه لأجد جثة لامرأة فليبينية
مستلقية بالمغطس، غارقة في الدماء تمامًا وكأنها
تستحم بها، فكانت شاحبة اللون كثمرة طماطم غير
ناضجة، والدماء تملأ المغطس بالكامل فتصل حتى
أذنيها: جثة مذبوحة في البانيو الخاص بي.

أصابني المنظر بصدمة بالغة، حتى أنني ابتعدت
متعثرًا في سروالي المتكوم حول كاحلي فسقطت
أرضًا ورسمت ببولي خطأ على الحائط، وعلى
الأرض بجوار المغطس وجدت ميدالية مفاتيح
تحتوي على تمثال صغير لفيل لم يذكرني إلا ببطاقة
التهديد. بسرعة قمت فزغًا وخلعت السروال، ثم
خرجت في هلع وكدت أصرخ طلبًا للنجدة، قبل أن
يلفت انتباهي منظر أشد رعبًا.

الخزانة الكبيرة في ركن الصالون، التي تحتوي
على قطعة من روعي، على كنزي الأهم في الحياة،
وما يوازي ٤١٣ ثروتي، مهشمة ومكسورة الأقفال،
ومسروقة.



(٥)

الخريف في يالم تاون

-الفيل-

أنا السرطان الذي سيأكل جسد هذا المكان.

أنا طوفان نوح من جديد، أنا النار والكبريت، أنا
الضربات العشر على الفرعون الذي تجبر والشعب
الذي تكبر.

أنا العقاب الإلهي، مثل الفيضان آتي، أول غيثي
قطرة، ونهايتي إعصار وحشي يأكل كل ما في
طريقه بدون أن يترك أثراً.

شششششش، اسمع.. على كتفي الأيمن ملاك يبكي
وعلى الأيسر شيطان يقهقه، لكن كليهما اتفق على
أن النهاية حتمية، وأنا تجاوزنا نقطة الغفران
بأميال. لسنا (نينوى) أخرى، ولن نحصل على خلاص
إلا بسفك الدم، كما قال الناموس القديم.

الصيف انتهى ومعه دُفنت الأسرار، ومع دخول
الخريف يموت العدل رسمياً وتُلف أحبال المشانق
حول رؤوس الحق. ولكن ليس هذا الخريف، وليس
تلك الليلة.

في هذا الخريف سأشد الخيط الأول فيسحب معه
كل الخيوط، ستتساقط قطع الدومينو الواحدة تلو
الأخرى.

الجنون بدأ من الليلة، وبعد الجريمة الأولى
ستتوالى الجرائم، ستسيل الدماء بغزارة حتى ترسم
الصورة الكبيرة في ذهني.

صورة العدل.



(٦)

تهديد

-ريم-

لم أمت.

لسبب ما توقف القاتل أمامي، بغرابة شديدة وبعد
ثوانٍ من السكوت المرعب سمعت زفرة واضحة،
قبل أن تبتعد رائحة الخمر والحرارة، وأسمعه
بوضوح يجري في الاتجاه المعاكس. ربما لم يرد
إضافة جثة جديدة بعدما أدرك أنني كفيفة.

فيما بعد، أخبرتني نجاة بالقصة والدموع تملأ
عينها، وهي تتلعثم وتنهنه كطفل صغير. كانت
المقتولة هي (أنجيلا) الخادمة الفلبينية الخاصة
بالمذبة (ريهام رزق)، التي وجدوها مذبوحة
في مغطس ساكن جديد لم يكمل يومه الأول في
الكومپاوند، يا للمنحوس!

لم تتوقف المسكينة عن البكاء ولا ذرف الدموع
للحظة على صديقتها، فنجاة صديقة لكل خادمت
الكومپاوند تقريبًا، يكوّن فيما بينهن ما يشبه جمعية
سرية يتبادلن فيها النميمة والأسرار والوصفات
والسلفات، فانطلقت نجاة تحكي لي حكايات لا دخل
لي بها عن أنجيلا وتطرزها بجمل مثل (كيف هذا؟
لقد كانت معي يوم أمس تشرب الشاي) و(لي فترة
أشعر بملاك الموت يطوف حولها). بكل صراحة لم

أكن أحب أنجيلا قبل أن أفقد بصري، ولم أحبها
أكثر بعد أن فقدته بسبب صوتها الحاد المزعج
وكلماتها المتلاحقة كلما زارت نجاة هنا، ولكنها
قطعا لا تستحق القتل.

تركته تبكي في حضني وربت عليها بأخوية
وحب، أنا لا أحب التعامل مع نجاة على أنها
خادمتي، هي صديقة لي بغض النظر عن طبقتها
الاجتماعية المتوسطة سابقا والفقيرة حاليا، التي
تحاول أن تترقى أعلى منها جاهدة، فرغم الضائقة
المالية التي ضربت عائلتها أصرت على إكمال
تعليمها بكلية تجارة، خاصة وأنها كانت تنوي العمل
في أحد البنوك، ولم تكن لتعمل كمديرة منازل إلا
بسبب الاحتياج لعلاج والدها، وأمام إغراء الراتب
الضخم الذي يضاهاى رواتب مديري شركات
محترمة بالدولار تعلمت كل ما يمكن تعليمه في
مجال التدبير المنزلي الاحترافي من طهي وتنظيف
وكل تلك المهام، كما أن لغتها الإنجليزية جيدة،
وتقرأ العديد من الكتب والروايات في وقت فراغها.

السؤال هو: من الذي قد يقتل في پالم تاون؟ كل
هؤلاء الأغنياء الهشين أكسل من أن يحملوا سكينًا،
ناهيك عن عدم وجود أي دوافع للقتل، فأنجيلا
خادمة فقيرة وقبيحة -عذرا عزيزتي- لن تكون
مطمعا لأي من الساكنين هنا سواء ماديا أو جنسيا.
هل القاتل من العاملين بالكومپاوند إذا؟

لا أدري لماذا أشعرنى اللقاء الخاطف مع القاتل

بالأمس بالحماس، وفي صدري اشتعلت جذوة أضاء
لهبها بعضًا من الظلام الذي يكتنفني، ناهيك عن
حقيقة أنني للحظات اقتربت من الموت وجهًا لوجه
وشعرت بأنفاسه الساخنة تلفح عنقي. حتى تلك
اللحظة لم أخبر أحدًا بما حدث معي ليلة الأمس، ولا
أنتوي إخبار أحد لأنهم سيتعاملون معي كالحيوانات
الأليفة فاقدة الأهلية ولن يتركوني أخرج من المنزل
وحدي مجددًا.

بخبت تولد عن حماسي رحت أحاور نجاة وأنا
أمسد ظهرها الضعيف الطويل:

- هي كانت في علاقة مع حد؟

- علاقة إيه بالضبط؟

- مصاحبة حد من اللي شغالين في الكومپاوند؟
بتنام معاه يعني؟

- أستغفر الله العظيم، لا يا ريم طبعا دي كانت
فيرچن وعذراء في نفسها جدًا.

- طب كان عندها أعداء؟

- ومين ماعندوش؟ فيه مقولة بتقول إذا لم يكن
لديك أعداء اعلم أنك فاشل جدًا.

- اخلصني، أعداءها مين؟

- هي من قريب اتخانقت مع أم صبحي اللي كانت
شغالة في فيلا عبد العزيز بيه، مكانوش يطيقوا
بعض أبدًا وكانت بتسرِّقها في المنظف بتاع الإزاز

على طول.

أم صبحي؟ أغلقت الحوار مع نجاة ثم عدت في إحباط لسماع الكتاب وأنا متمددة على الأريكة، إلا أن الحوار لم يغلق نفسه. أنا أعلم أن القاتل سيمسك بحلول الغد على أقصى تقدير بعد تفريغ كاميرات المراقبة، وسيكون على الأرجح بستانيا مدمنا أو خادمة غيورة، لكنني أردت البحث في المسألة أكثر وأن أسبق أمن الكومپاوند، فبعد سماع ما يزيد على ٥٣ رواية جريمة أنا صرت متمرسة في الأمر إلى حد كبير. ثم؟ ثم لا شيء.

هكذا هي حياتي في آخر عام ونصف، أصاب بخبطة حماس ملتهبة سرعان ما تخمد عندما يبرز السؤال القاتم في ذهني: كيف؟ أنت كيفية يا ريم، أنت تسكنين عالقا منفردا لا يراه سواك، كيف ستخرجين من البيت؟ كيف ستأخذين طريقك حتى البيوت؟ كيف ستراقبين المشتبه فيهم بلا عينين؟ مع كل نفس أخذه ألعن الحروف الثلاث (ك ي ف)، الحياة صارت لعبة غميضة بلا نهاية، مع العلم أنني في صفري كنت أحب دوما الاختباء لا البحث، والآن أبحث عن الجميع ولا أجد أحدا.

هذا الظلام مقرف ومقزز، ديدان تزحف في عقلي. عندما فقدت بصري أخبروني أنني سأعتاده بسهولة، ولكن ما أسهل الكلام! لا زالوا يمدونني يوميا بمسكنات الوعود، بطبيب متميز في بلجيكا أو عملية احتمالية نجاحها عالية، وبسذاجة أبتلع تلك

المسكنات رغم يقيني التام أنني فقدت بصري بلا رجعة، وعلى هذا الأمل لا زلت أستيقظ، على رجاء أنني سأرى الألوان والناس والطيور.

ثم رن جرس الباب معلناً قدوم والدتي العزيزة.

كيف عرفت؟ لها دائماً تلك الرنة المميزة على الجرس، ثلاث مرات متواصلة ثم ينفتح الباب فيدق كعنها العالي في خطوات سريعة، (طق طق طق)، مصحوباً بخربشة أكياس بلاستيكية وكارتونية معتادة، عازفة بكل تلك النغمات لحنًا يحمل عنوان (مدمنة تسوق). لا تشعر سلوى هانم بالحياة إلا عن طريق الشراء، وهو مرض كنت قد ورثته منها قبل أن أفقد بصري. حياتها مجموعة من الماركات العالمية والأحذية والفساتين، تشتري، تكس، تطارد نوافذ العرض بلا هوادة، ويثيرها صوت سحب الرصيد من الكارت الائتماني أكثر من الجنس نفسه، إنها الحياة بخلاصة معانيها، القوة في الاستهلاك.

من جديد يلعب اللحن الذي أحفظه جيدًا: الكعب العالي، خربشة الأكياس متبوعة بالصوت المكتوم لإلقائها على أقرب كرسي.. بوم، خبطة اصطدام الحذاء بالباركيه بعد خلعه، صليل حلي ذهبية وفضية أثناء خطواتها ناحيتي قبل أن تجلس على الأريكة بجواري وتحتضني: «عاملة إيه يا حبيبتي؟

- كويسة يا مامي.

- إيه اللي مصحيكي بدري كده؟

- ماشوفتيش اللي حصل؟ أنجيلا ماتت.

- أنجيلا مين؟ دي ممثلة؟

نجاة: «أنجيلا يا مدام سلوى اللي بتشتغل عند مدام ريهام المذيعه».

- مش فاكراها لأ. بس ما تموت ولا تولع يعني إحنا مالنا؟

- ماتت مقتولة.

صدرت عن أمي شهقة خافتة. الآن اكرثت لفكرة الموت، والتف القلق على صوتها وهي تسأل: «مقتولة إزاي؟ في الكومپاوند؟»، فأجابت نجاة وقد بدأت أحبالها الصوتية ترتعش من جديد منتهزة الفرصة لاستعراض قدراتها على البكاء: «في الفيلا اللي لسه ساكنة.. C16».

- واللي قتلها اتمسك؟

- لا لسه.

- يا خبر! أنا لازم أكلم اللوا ثروت يشوف الموضوع ده.

صلصلت حليها، وانفتح سحاب حقيبتها بالصوت المميز قبل أن أسمع الصافرة الرتيبة لمكالمة هاتف لم يجب عليها المستقبل، وأخبرتني أصوات الحركة البطيئة على القماش أنها تتلمل في مكانها قلقة. قلت: «أكيد مسحول في التحقيقات والكلام ده دلوقتي».

- ماعرفش أنا كومباوند بمليارات زي ده أي حد
يدخل يخرج فيه عادي كده إزاي!

- ما يمكن اللي قتلها حد من الكومباوند نفسه.

- مافيش ملياردير بيقتل.

- هم أنبيا ولا إيه؟ angels؟

استفزها ما قلته حقًا. لم تظهر أي علامة على
ذلك، ولكن انتصب الهواء في المكان كما يقشعر
الجلد، فكررت وهي تضحك ضحكة مصطنعة: «لا يا
حبيبتي، بس مافيش ملياردير بيقتل».

انتماؤها للمال وأصحابه انتماء طائفي، هوس
يقارب الهوس الديني، وتتعامل مع المليارديرات
معاملة الإخوة في عقيدة واحدة، وما يمس
سمعتهم يمس سمعتها بشكل شخصي.

لم تكن العلاقة بيني وبين أُمي مثالية قبل
الحادث، ولكنها ساءت بعده بكثير، أو بالأحرى
تداعت. تتعامل معي وكأنني شخص آخر، وكأنني
كلب مسعور لا يمكنك أن تربت عليه سوى بسرعة
ومن بعيد حتى لا يفترسها. هي ليست الخبيرة
الأقوى بالتواصل البشري، سعة مشاعرها أقل من أن
تملأ فنجان قهوة صغيّرًا. أعلم أنها تحبني نوعًا ما،
وربما حزنت لإصابتي بعض أيام، ثم انتهى الحزن
سريعًا وبدأت تلومني على كل تلك الدراما والمبالغة،
أنا في عينيها مجرد طفلة تتمارض لتحصل على

بعض الانتباه. وما المشكلة إذا فقدت بصرك؟ انظري
إلى كل هؤلاء العميان الذين حققوا نجاحات -والذين
لا تتذكر أسماءهم- ولا تيأسي.

حاولت الاتصال بـ«أونكل» ثروت مرتين لكنه
لم يرد عليها، فبدأت أصوات أقدامها المتوترة
المهتزة تتزايد وتتعالى مع أسئلتها التي وجهتها
لنا: كيف ومتى ومن يسكن تلك الفيلا، ثم دخلت
لتنام كالأطفال وكأن شيئاً لم يكن، وخرجت نجاة
لتعد الطعام، وتركتاني على الأريكة وحدي، تأكلني
الأفكار مع الأسئلة: كيف ومتى ومن؟ وكأنها قضيتي
أنا.

بعد قليل دق هاتفي، رقم خاص يتصل بي، وهو
أمر غير معتاد في عالمي الحديث، رفع من توتري
مائة درجة! أجبت المكالمة بترقب قائلة: «ألو؟»،
ليأتيني الصوت من الطرف الآخر معدنياً بارداً
بعد أن تم تعديله بأحد برامج تعديل الأصوات
وتشويهاها، ليجيب ببرود وقسوة:

«لو حاولتي تشغلي دماغك وفتحتي بـقك بأي
حاجة حصلت إمبراح الدور هايبقى عليك قبلهم».

(٧)

حارة جورمية

- ماهر -

قبل دخولي السجن، كنت أعي جيدًا أن سنوات
سبغًا ستخفض من قيمة ملاييني المدخرة، وأن
الاستثمار أمر لا مفر منه حتى لا تضيع ثروتني بعد
خروجي، لذا لم تجد دماغي الصعيدية فكرة أفضل
من الآثار. فالبعض يستثمر في الذهب والبعض
الآخر في العقارات، وأنا قررت استثمار أموالني في
التاريخ. اشتريت بما يزيد على نصف ثروتني تمثالاً
فرعونياً ثقيلاً للملك خوفو ينام على عجل، وبين
قرنيه قرص الشمس. تمثال لا مثيل له في العالم
أحسنت إخفائه قبل السجن، ٦ كيلوجرامات من
الذهب الخالص والأحجار الكريمة، ويشكل ما يفوق
نصف ثروتني.

في خزانتي كان يقبع بأمان، بداخل صندوق
قرمزي اللون باهت الطلاء، تقشرت بعض أجزائه
حتى بان الخشب من أسفله، صندوق أحمل فيه
أجزاء من حياتني على مدار السنوات السابقة:
الشيشب الأخضر الذي جئت به للقاهرة، لعبة جعران
قديمة رافقتني في أيام الطفولة الوحيدة، رزمة
نقود من أول عملية سرقة ناجحة (وش السعد كما
أسميها)، وكراسة مهترئة تعلمت بها القراءة والكتابة
في عشريناتي، مليئة بالحروف غير المنتظمة،

والتمثال.

والآن هُشم الصندوق وسُرق تمثالي، سُرقت نصف ثروتني في غمضة عين، والألعن من كل ذلك أنني بالفعل قبضت مُقدم ثمنه وبعته بعد خروجي مباشرة، فأنا لم أجد صعوبة على الإطلاق في إيجاد مشترٍ من داخل شبكة اللصوص والنصابين الذين عملت وكبرت معهم.

(أنيس) هو اسمه، وسيط مخضرم يصل بين تجار الآثار والزبائن، ناعم كالمخنثين وهش كفقاعة صابون، لكنه يستغل انحداره من سلالة إقطاعية ملكية مكنته من التعرف على أباطرة مشترين الآثار حول العالم. لأنيس شارب ذهبي وعينان زرقاوان يؤكدان أصوله الشركسية، وخنصر سمين كثيرًا ما يشير به في أوقات السعادة أو الغضب، وفي حالات الإشارة بتنفيذ عمليات القتل والتصفية -التي رأيت الكثير منها- في أوقات عدم الرضا.

المصيبة هي أن (أنيس) توسط لبيع التمثال لملياردير مجهول الهوية لا يلقيه سوى باسم (الباشا) حيث أكد لي مائة مرة نفوذ وثقل هذا الباشا، وأنه أهم زبائنه على الإطلاق، والمصيبة الأكبر منها هي أن ميعاد تسليم التمثال من المفترض أن يكون بعد أسابيع قليلة، وأن عدم وجوده يعني، ببساطة، موتني أشنع ميتة على الإطلاق.

لماذا لم آخذ بطاقة التهديد تلك على محمل الجد؟

بعد نوبة من الذعر والانهيار العصبي كنت أقف أمام فيلتي، أتصعب عرقًا وأمسح جبهتي بمنديل للمرة العاشرة رغم اعتدال الجو في ساعات الصباح الأولى، وفي رأسي تطوف جميع السيناريوهات حول قتلي وكوني وجبة غداء لبعض النمرور.

أمام فيلتي كانت تربض ٣ سيارات من قوات أمن الكومباون الذين وقف أفرادها يتفحصون الفيلا أو يحرسونني، بلا قصد منهم يبعثون القلق الغريزي إياه بداخلي، فمنذ زمن وأنا لا أحب رجال الشرطة، منذ بدأت ممارسة السرقة بالتحديد صرت أمتلك في وجودهم توترًا غريزيًا، مثل خوف الفريسة في حضرة المفترس، حتى الآن أمام أفراد أمن الكومباون الذين لا صلة لهم بالحكومة. قلت لنفسني (بلاش خيبة) وارتديت من جديد قناع المكاول الباشا، وبعصبية قلت لرئيس أفراد الأمن الواقف أمامي: «مش هنخلص بقى ولا إيه؟».

- آسفين جدًا يا معالي الباشا، مستنيين ثروت بيه بس.

كان ضخفًا كعمود خرساني، يكاد زي الأمن الكحلي الذي يرتديه ينفجر ويتشقق من على عضلات صدره وذراعه المنتفخة. قلت له بأكثر نبرات صوتي تعاليًا وغطرسة وأنا أشعل سيجارًا من البني المستورد الشبيه بأصبع الكفتة: «أنا مش فاضي للكلام ده. وبعدين يعني إيه لسه أول يوم في بيتي وبقول يا هادي ادخل الأقي جتة غرقانة في دمها وبتستحمي

في البانيون؟».

لا أعرف على ماذا ضحك الجلف، لكنه على العموم أحنى رأسه معتذراً فبدا كبرج آيل للسقوط وقال بأدب جم: «إحنا بنعتذر جدًا لمعاليك، ده كله عشان أمنك». أمني! أي أمن يا ابن الأفاعي ومستقبلي كله على كف عفريت؟! وددت لو صرخت فيهم أن يكفوا عن البرود وأن يتحركوا ليبحثوا عن التمثال، ولكن قد يُقبض عليّ حالاً بتهمة الاتجار في الآثار. لذا لم أجد بُدًا من تنفيس غضبي في دخان السجائر.

من بعيد أقبلت علينا سيارة جولف آلية القيادة يمتطيها رجل أسمر بدين، أكثر ما ميزه هو صلعة ذات بقايا شعر قطني وحواجب كثيفة، هذا وجه أعلم أنني أعرفه ولكني لا أتذكره حاليًا، كل ما أعرفه أن مرآه أرسل رعشة غير محببة في جسدي. توقفت السيارة أمامنا ومنها نزل البطريق الأنيق ذو البدة بابتسامة من حضر لظهور آخر العنقود وليس جريمة قتل في فيلتي. وقال وهو يصافحني بيد سمت من أكل المحمر والمشمز: «مساء الخير يا ماهر بيه. ثروت سالم، مسئول أمن الكومباوند».

الآن تذكرت من هو وعرفت تمامًا سبب الرعشة. ابن الكلب هذا كان صاحب إحدى الشركات الأمنية الشهيرة، إنها الغريزة! صافحته بثقة بعد أن أزالته نبرته المستعطفة وكلمة (بيه) أي حواجز بيننا وساوت بين كل الدرجات، وأكمل هو قائلاً: «أؤكد

لحضرتك إن اللي عمل ده هيتجاب في خلال
٢٤ ساعة. دي حاجة أول مرة تحصل عندنا في
الكومباوند، وآخر مرة طبعا».

- أنا عايز أفهم هي الحكومة كل ده ماجتش ليه؟

- البوليس قصدك؟ وييجي ليه يا فندم، إحنا
هنتولى أمر اللي عمل كده ونجيب القاتل.

- مش لسه فيه سين وجيم ومحاضر؟ ولا إنتو
عايزين تغفلوني تكفوا عالخير ماجورا!

- بوليس الكومباوند عنده سلطة يعمل كل ده.
مافيش أي تدخل خارجي هنا حتى من الداخلية.

- نعم ياخويا؟

- أنا هفهم حضرتك. السكان هنا مش أي حد،
حضرتك مش أي حد، زي ما سفارة أي بلد هي اللي
بتتحكم في أمنها ومافيش تدخل من برة، اعتبرنا
زي السفارة كده. خصوصاً إن عندنا أجنب كثير.

- والحكومة عندها علم بالموضوع ده؟

- عايش هنا اللي أتقل من أي حكومة في العالم
يا ماهر باشا، لو الكومباوند ده بسكانه كان موجود
في لوس انجلوس أؤكد لك أن البوليس الأمريكي
ماكنش هيتدخل، بناءً على ثقل السكان ورغباتهم.
وبعدين هو أمن الكومباوند قُصّر معاك في حاجة؟

- اسأل الجثة اللي ملقحة في البانيون جوة.

رغم غضبي راقني ما قاله نوعًا ما، لا حكومة ولا بدلات بدباير ولا رتب، رجال أمن مرتزقة فقط، إنها الجنة، الجنة لكن زائد جثة. قال: «بأكّد لك ثاني يا ماهر باشا إنها حالة شاذة. رجال الأمن عندنا معظمهم واخدين دورات برة، أنا اختارتهم بنفسى. مش هبقى ببالغ لو قلت إن نظام الأمن هنا أكفأ من أي شرطة في العالم».

- عليّا النعمة ما هعرف أناام في المخروبة دي بعد اللي شوفته.

كذبة من أكاذيبي طبقًا، ولكن يجب التفوه بها حتى يسرعوا في بحثهم. في الصعيد ولدت معتاذًا على مشاهد الجثث والدماء، أنا ابن لنباش قبور وعشت في قرية تحتفل كل أسبوع بثار جديد وكأنه مولد النبي، فاعتدت القتل والدماء كشرب الماء، ولكني رغم هذا لم أقتل في حياتي مرة. قد أسرق وأنصب وأكذب ولكن القتل بالنسبة لي تذكرة زهاب بلا عودة. كل الأخطاء في هذا العالم بإمكانك تعديلها عدا القتل. فأخذ الروح حق إلهي لا يمكن لبشر اكتسابه.

قال مسئول الأمن:

- مسألة وقت لحد ما نفرغ الكاميرات ونجيب اللي عملها. اتفضل خد قهوتك يا ماهر باشا وال...

- بلا باشا بلا بيه. أنا عايز أخلص من الموال ده حالًا!

سكت قليلاً لا يدري ماذا يفعل، حتى أنقذه
سمين آخر كان يمر بسيارته، (محسن سكر) قرش
تجارة السيارات. كان مختلفاً عن ليلة أمس بدرجة
ليست بالهينة، فخلع قناع القرش وارتدى ملابس
كلاسيكية قديمة وقبعة تشبه قبعات الخواجات،
وركب سيارة كاديلاك بُنية كابورليه، يعود موديلها
للاثينيات على أقصى تقدير، لكنها تلمع تحت
الشمس كالجديدة تماماً. حيّانا بمرح عندما رأنا،
وبكياسة حل المعضلة شخصياً عندما اعتذر لي
وسحبني من زراعي في دعوة لجولة حول المكان
بسيارته، مؤكداً أن المسألة سٌحل في غضون
ساعات، وأنه اختبر بنفسه كفاءة جهاز الأمن هنا.

لم أستطع رفض العرض، فالرجل ملياردير معروف
له وجه (سمح)، بالإضافة إلى طلته المرححة التي تعد
بوقت ممتع، فركبت سيارته وانطلقنا وأنا أحاول
طمأنة نفسي بكلامهم. من سماعات السيارة كانت
تصدح أغاني أجنبية كثيرة الساكسفون، رفع محسن
من صوتها وقال باسفاً: «روق كده. أنا بحب سيناترا
جداً، لازم أبدأ يومي بيه»، ثم راح يلف الشوارع
ويعرفني بالأماكن والأركان، فانشرححت روحي
وابتهجت وتناسيت كارثتي عندما رأيت الكومباون
في ضوء الصباح.

الشوارع نظيفة والأشجار برتقالية كثيفة ضُبت من
بينها أشعة الشمس الذهبية كالعسل، بالإضافة إلى
واجهات البيوت بالألوان البيضاء والزرقاء. كل شيء

هنا يشبه الحلم، بل هو الجنة نفسها وقد افتتحت
فرغاً لها على الأرض.

في سعادة تابعت المشهد حولي وأنا أتحسس
في جيبتي المحفظة التي نسلتها من فرد الأمن، في
حين راح محسن يشير لي ناحية بعض الأشخاص
ويعرفني بهم، كل لقب وتعريف مبهر أكثر من الذي
يسبقه، ناهيك عن مناظرهم اللامعة وملابسهم
الزاهية: هذا أشهر جراح في الشرق الأوسط، وهذه
السيدة العجوز تملك واحداً من أكبر ماركات الحلوى
في العالم. كلهم جيراني وكلهم يومنون لنا ويشيرون
بالتحية لسيارة محسن المفتوحة. هداً غضبي وحل
محله نشوة، أنا جزء منهم الآن ولن يغير أي شيء
من تلك الحقيقة.

كان محسن يقول أشياء مثل: هذا الرجل يملك
أكبر مزرعة مواشي في إفريقيا، هذا الشاب لديه
أضخم تشكيلة سيارات فارهة في العالم، وتلك
الشابة اشترت ثاني أغلى لوحة في العالم: ورقة
بيضاء لا تحتوي إلا على آثار قاعدة كوب متسخ.
هناك هوس هنا بالصفات على وزن (أفعل)، أكبر
وأطول وأغلى، هوس قد يبدو أحرق من الخارج
لكنه لا يلبث أن ينتقل إليك ما أن تعيش هنا وتحاط
به، فالكل يملك كل شيء، كيف سيتميز عن الآخر
إلا بذلك؟ ربما سأشتري أنا أيضاً أوسع كنكة بُن في
العالم، ولكن بعد أن تنتهي أزمة الخادمة.

ثم قال محسن بمرح وهو يضبط قبعته الإفرنجية:

«مانفسكش في فطار مصري جميل كده؟ شوية فول كده وبتنجان بطعم مصر». فأجبتة أن نعم، وفي تغيير للخطّة عرج بالسيارة في الاتجاه المعاكس قائلاً أنه سيريني مفاجأة، وبالفعل كانت مفاجأة. فوسط الكومباون الأنيق الزاهي وجدتني أمام حارة شعبية! وهو ما فسرّه ضاحكاً لما رأى النظرة غير الفاهمة على وجهي وقال: «فكرة تحفة، ها؟ بدل ما تضطر تخرج برة الكومباوند عشان تشوف أهالينا الجمال، جابوهم لحد عندك».

- أهاليكم الجمال مين؟

قهقه قائلاً: «الفقرا يعني، بس دي كلمة صعبة أوي على إنك توصف بيها شخص. بنقول عليهم هنا أهالينا الجمال».

وكان المشهد عجيباً، فبعد بوابة حديدية اجتزناها -داخل الكومباون نفسه- كانت السيارة تمشي في حارة ضيقة نسبياً لا تختلف كثيراً عن المساكن الشعبية، وإن كانت بيوتها جديدة نسبياً ونظيفة كما لو دخلت موقفاً لتصوير مسلسل تدور أحداثه في حارة بمدينة الإنتاج الإعلامي. بيوت ضيقة من ثلاثة وأربعة طوابق تتلاصق، محلات للعطارة والحلاقة والبقالة، وعربة للفول مبتذلة المنظر تحتل ناصية شارع امتلأ بحركة تبدو طبيعية تماماً للوهلة الأولى، فترى الناس في ذهاب وعودة من وإلى كل مكان، بوجوه متجههم أغلبها أو فلتت بعض الابتسامات من القليل منها.

مأخوذاً بما رأيت أجلسني محسن على مقهى صغير يقع أمام ورشة للميكانيكا، عمل صاحبها في تصليح إحدى سيارات الجولف الخاصة بالكومباون بصورة طبيعية تمامًا، فسألت مرافقي رغم الإحساس المزعج بعدم الراحة -أو ربما القرف- الذي كان يعتمل بداخلي: «هم دول عايشين هنا؟».

- ٢٤ ساعة، دي بيوتهم.

- ما بيخرجوش؟!

- لا يا دكتور، دي حياتهم وده شغلهم من أيام الجنينة.

- جنينة إيه؟

- قصة كده هحكيها لك بعدين. بس فكرة تحفة، ها؟

- طب بتعملوا إيه في اللي عايز يرجع لأهله، يشوف عياله.

- هفهمك. تشرب إيه الأول؟

- عنب.

- قصدك wine؟ ولا عصير عنب؟

- لأ عنب، كركريه يعني.

- آها.. ولد يا بندق. وعندك واحد عنب وواحد قهوة مانو سادة على الريحه، وصلحه.

قالها وصفق بيديه كالمسلسلات الساذجة، مما أثار قليلاً من امتعاض، والكثير من السخرية بداخلي. يحاول جاهداً أن يكون (ابن بلد) على حد تعبيره، فحكى لي كيف أنه كلما افتقد مصر الحقيقية الأصلية و«أهالينا الجمال» يزور هذا المكان الذي تم تصميمه خصيصاً لهذا الغرض، تصميمات مأخوذة ومستلهمة من شارع المعز وخان الخليلي، تم تنفيذها بواقعية إلى درجة أنه يوجد هنا ضريح خاص لـ(سيدي المصراوي)، وهو ولي من الأولياء في قرية نائية بدمياط تم نقل ضريحه خصيصاً مقابل مبلغ معتبر من المال لأسرته.

بعد رشفة من القهوة قال شارحاً قصده: «كل الناس هنا ناس كانوا ضايعين وإحنا أنقذناهم، مساجين في قضايا ديون أو غرامات، أو أيتام عايشين في الشارع مالهومش بيوت، جيبناهم نضفناهم وعلمناهم صنعة وبنديهم مرتب شهري، مقابل إنهم يفضلوا عايشين هنا».

لم أقتنع بما قال تماماً لكنني ارتشفت من العناب مانحاً إياه إيماءة خفيفة، وتابعت بعيني وجوه الناس التي طغى عليها شعور عام بالكدر، ربما هو الطابع الدائم للفقراء في حمل الهموم دائماً، إلا أن غريزة ما أنبأتني أن هناك همًا أعمق يوحدهم كلهم. رأيت ميكانيكي سيارات وحلاقاً وبائع عرقسوس، كلهم يمارسون أعمالهم بطبيعية تماماً، يتبادلون النقود أو يحيون بعضهم بعضاً، ومجموعة من

الصبية المصابين بالعتة المغولي يلعبون في الركن،
وكأنه العالم الحقيقي تمامًا.

وقبل أن نسترسل في كلامنا ونأكل جاءتني
مكالمة من (أنيس) وسيط التمثال، مكالمة جذبتني
من سماء الأحلام والباشوية لثلقي بي في وحل
الواقع وتذكرني بفصيتي. شعرتُ بقلبي يُعتَصِر
في صدري، وقررت تجاهل المكالمة، ثم طلبت من
محسن العودة لبيتي حتى أرى ما توصلوا إليه إلا
أن الملعون الأشقر ظل يواصل الاتصال بي وكأنه
يعلم بما حدث، فلم أملك إلا تجاهل مكالماته برعب.
شاكزا أقلني محسن حتى بيتي وهو لا زال يدندن
أغانيه الأجنبية الرائقة ويحدثني عن فرانك سيطرة
هذا، ولكني لم أكن في مزاج لأي شيء سوى إيجاد
اللص.

هناك، وجدت أفراد الأمن متناثرين كالبق في
أرجاء الفيلا، وبنفاد صبر رحت أصرخ فيهم وأعنفهم
متسائلًا عن هوية القاتل، إلا أنني فوجئت بمدير
الأمن يخرج من مطبخي وعلى وجهه ملامح باردة
متجهمة، ثم بابتسامة صفراء سحبني من مرفقي
عائدًا بي للمطبخ من جديد. قبل أن أواصل صراخي
فيه، قال بهدوء: «ماهر باشا، إحنا عندنا مشكلة
صغيرة».

- خير؟

- حضرتك.. عليك سوابق؟ خارج من السجن؟

لم أرد. شعرت بوخز في صدري.

- بصماتك في كل مكان جوة، ودي مش حاجة
كويسة بالنظر لـ. لخلفيتك الإجرامية.

- عايز إيه يعني؟ هو مش إنتو فرغتوا دين أم
الكامرات؟

- الكاميرات مكانتش شغالة يا فندم وقت حدوث
الجريمة، لا كاميرات الفيلا ولا الكاميرات المحيطة.

- يعني إيه؟

- يعني حضرتك المشتبه فيه حتى الآن.



(٨)

رفيق في التحقيقات

- ريم -

لدينا في المسيحية تلك القصة الشهيرة عن امرأة تدعى (السامرية) كانت تخرج في أوقات الظهيرة الحارة لتملأ الماء من البئر الوحيدة في المدينة حتى لا يراها أي من السكان، لأنها كانت امرأة ذات سمعة سيئة، ثم تغير كل شيء عندما قابلها المسيح عند البئر. دائمًا ما أتذكر السامرية في تمشيأتي المنفردة بالكومياوند برفقة شلبي، عندما أخرج في مواعي الثابت بعد منتصف الليل كي لا يراني أحد، ولكني أبدا لم أقابل مسيحي بعد.

بتلك التمشيات البسيطة المسروقة كنت أكسر روتيني المظلم، أختلس لحظات من حياة طبيعية يداعب فيها الهواء جلدي وأتظاهر بكوني على قيد الحياة حتى لا ينسى هذا الجسد أنه يعيش. وبعد منتصف الليل موعد مثالي، فالظلام يوحد بين رؤيتي والسماء حتى لا أشعر بالغرابة، وأيضًا لأن سمعتي هي كل ما تبقى لي من حياتي السابقة، ولن أسمح للعمى بسلبها مني أيضًا.

فيما مضى كنت ريم فريد صاحبة الوجه الإعلانى والجسد الحاد المرسوم بالمسطرة، والنظرات اللا مبالية التي تدفع نيرون نفسه لمحاولة لفت انتباهها.

لم تكن ريم تخرج قبل أن تتأكد أنها في أفضل أحوالها، وجهها نضر ومساحيق تجميلها مضبوطة وملابسها متناسقة وجديدة، أما الآن فلا ارتدي إلا الملابس الرياضية الواسعة وقبعة تداري شعراً أشعث ووجهها شاحباً. ستغدو مجرد رؤيتي في تلك الحالة تدميراً كاملاً لحياة سابقة وصنم أمضيت سنوات في نحته بمثالية.

لكن منذ وقوع جريمة القتل صارت تمشيأتي أكثر إثارة، وبعد مكالمة الهاتف الغريبة لم أترجع، بل على العكس كثفت من تمشيأتي وأخذت في أثنائها أصغي سماعي لأدق الأصوات متوقعة خطوات قاتل هنا أو هناك، راسمة في رأسي تحركات خفية خفيفة في الأرجاء، بل توقفت عن ارتداء سماعة الأذن والاستماع للأغاني أثناء التمشية حتى لا تفوتني تفصيلة.

والليلة قررت العودة إلى الفيلا التي شهدت جريمة القتل لعلني أسمع شيئاً بالمصادفة، فتتبعث اللافتات التي كُتب عليها بطريقة برايل -مع الكتابة العادية- والتي تم تعديلها من بعد حادثتي، بطلب من أمي سيدة المجتمع. وجدتها إدارة الكومباوند فرصة طيبة لتلميع صورتها أكثر في إعلانات رمضان وبين الكومباوندات الأخرى ك(أول كومباوند صديق للمكفوفين في مصر)، ولم يكن هناك مانع من إضافة حارة مخصصة للعميان على الأرصفة، ولكني لا أستخدمها أبداً. أنا أمشي على الرصيف العادي، أو

حتى في منتصف الشارع أحيانًا، ولو قررت الحياة
معاملتي على أني عمياء سأبصق في وجهها، سأضع
إصبعي في عينها حتى تصاب بالعمى هي الأخرى.

كالعادة صحبني في رحلتي رفيق أسفاري المحترم
شلبي، الذي راح يتمسح في قدمي ويموء بين
الحين والآخر، يسبح معي بشجاعة يحسد عليها
وسط أصوات الليل المكتومة، التي لا تبعث سوى
على الملل أو الخوف، الخوف من مقابلة القاتل مرة
أخرى لو غير رأيه.

بعد القليل من المشي حملت شلبي على ذراعي
مداعبة شعره البرتقالي الناعم الذي يشعرني فورًا
بنوع من الطمأنينة لا أحظى بها في سجني الأسود
إلا نادرًا، فترتاح أعصابي وتلين عضلاتي ولا يواصل
تنفسي سرعته المعهودة، كل هذا الهدوء بسبب كرة
الفرو تلك التي لا تعلم أنها صديقي الوحيد الآن،
وأفضل ما في حياتي حاليًا.

أخيرًا وصلت إلى الفيلا التي شهدت جريمة القتل،
رقم C16 كما قالت نجاة، ثم ضربني من جديد
السؤال: وماذا بعد؟ شعرت بصدري يضيق وبرئتي
تلتف على نفسها، فقربت ساعتى الذكية من فمي
وبدأت في تسجيل الملحوظات بصوتي: «أول يوم
investigations. الفيلا موجودة في C16 يعني
قريبة من ٣ فيلل فاضيين وفيلة الدكتور اللي مش
فاكرة اسمه ونيللي و...».

هنا سمعت أصوات خطوات خلفي جعلتني أجفل
والتفت، نوع الأصوات التي تعرف أن صاحبها قادم
باتجاهك، إليك، ومن أجلك خصيصًا. لقد جاء القاتل
من أجلي كما تنبأ الصوت المتشائم داخلي.

- «محتاجة مساعدة؟».

كان صوته لطيفًا ورقيقًا، ناعمًا كمرطب الأيدي
على جلدي، دخل أذني بسلاسة الهواء وسكنها،
والأهم أنه لم يرجح أن صاحبه قاتل على الإطلاق.
لم أجبه فوزًا، تجمدت مكاني فقال: «أسف جدًا،
مكانش قصدي أخضك»، وبلا سيطرة مني خرج
السؤال الأول الذي يخرج دوماً، سلاحه الأبيض
الذي أحمي نفسي به ضد المجهول والعمى: «إنت
مين؟».

- أنا محمود، محمود عثمان.

- مش عارفك.

- ساكن معاكي هنا في الكومباوند، في A.

منطقة (A) هي منطقة الصفوة في الكومباوند،
وهذا لا يعني أن سكان (C) من محدودي الدخل أو
أن (B) يأكلون من التموين، فالقوارق هنا بسيطة
جدًا بعدما عبر الجميع بوابة الملايين، لكن سكان A
يتمتعون بدرجة من النفوذ السياسي أو الحساس،
على سبيل المثال، يسكن هناك مالك الكومباوند
ورئيس وزراء أجنبي وثلاثة أو أربعة رجال أعمال
أجانب من الأغنى في العالم، مع بعض أمراء

الخليج. كانت فكرة كونه من سكان A مريحة وجذابة في الوقت نفسه، ولكنني اخترت الشك فيما قال فقلت: «بس مافيش حد ساكن في A بالاسم ده».

- ابن عثمان التركي، عرفتيني كده؟

- آه، باباك بتاع الأسلاك؟

- طريقة غريبة شوية عشان تشرحي بيها البيزنس بتاعه، بس هو آه.

قالها ضاحكًا، ومع ضحكته هب نسيم غريب على قلبي. على الفور رآه عقلي رشدي أباطة آخر، بشارب جذاب وشعر ناعم لامع، يتلون بالأبيض والأسود وسط الكومپاند كثيف الألوان، فصدرت عني ابتسامة حمقاء لتلك الخاطرة العبثية. ولما سكتنا قليلًا قال: «بتعملي إيه لوحدك هنا؟».

- بتمشى عادي.

- مش عارفة إن المنطقة دي بقت خطر؟

- طب ما تقول لنفسك برضه، ولا عشان أنا مابشوفش يعني يبقى خطر ليا؟

- sorry أنا مش قصدي حاجة.

- وإنت إيه أصلًا اللي جايبك عندنا في C يا بتاع A؟

- عشان أبص على الفيلا إياها.

شعرت بنوع من الحماس، لست المخبولة الوحيدة. قلت: «إنت كمان جاي تعمل فيها True detective؟»، فأجابني وهو يقترب مني: «ده معناه إن إنتي جاية تشوفي اللي حصل؟».

- أشوف؟ قصدك أسمع يمكن.

- sorry تاني والله ما أقصد.

ضحكت مجددًا، لسبب ما وجدت متعة في إيقاعه المتكرر بفخ الشعور بالذنب، لكنني سريعًا ما عدلت عن أسلوبتي عندما تملكني الحماس وقلت: «تفتكر مين اللي قتلها؟». قلتها وأخذت أمشي على الرصيف متيقنة من أنه سيتبعني، وهو ما فعله عندما قال: «صعب أوي نعرف».

- ممكن نخمن.

- ممممم. مالك عز.

- ليه يعني؟

- وليه لأ؟

- إنت كمان مقتنع إن الأغنيا ممكن يقتلوا واحدة فقيرة كده عادي؟

- هو أنا مابحبوش كده لوحدي، بس فيه حاجتين يخلوني أشك فيه.

- إيه بقى يا مستر شيرلوك هولمز؟

- أولًا هو عامل فيلم اسمه (الفيل) قبل كده..

وبيقولوا لقوا جنب الbody ميدالية على شكل
فيل، وإنها مقصودة تتساب كده.

- مميمم، طب ما نيللي عملت أغنية زمان للأطفال
اسمها فيل بزلومة باين، وهشام بتاع الجيم عنده
براند هوديز اسمها elephant.

- أوه، تصدقي عندك حق!

- طيب وإيه الحاجة الثانية؟

- هي تمشي عليهم كلهم برضه. إن الكاميرات أما
اتفرغت اكتشفوا إن حد لعب فيها وقت الجريمة
وفصلها.

- واو! يعني حد عنده authority كفاية تخليه
يدخل على السيستم، أو يدفع للي شغالين هناك.
- بالظبط، حد من سكان الكومپاوند يعني.

فيل وكاميرات لا تعمل وقت الجريمة! هكذا
ازدادت سخونة الحادث ومعها ارتفعت حرارة عقلي،
الآن تحولت اللعبة إلى لغز فعلي! قفز تفكيري بين
وجوه جميع سكان الكومپاوند التي أتذكرها، كلهم
أغبياء ضعفاء لا يقوون على حمل قلم أو تدبير
خطة بدون اللجوء لشركات متخصصة، لكن في
الوقت نفسه كلهم خنازير لا يكثرثون لروح بشرية
مقتولة، وبالنسبة لهم فالخدم والعاملون في منزلة
الذباب، ولا ضير ولا جرم في اصطياد ذبابة بحذائك
لو أزعجتك، وكانت أنجيلا مزعجة بحق.

هل الخمر التي شمتها ليلتها السبب؟ أم رغبة
جنسية منحرفة ما؟ ربما هو أحد أفراد الأمن من
الذين يستطيعون تعطيل كاميرات المراقبة. كنت
أتمشى غارقة في أفكاري لا أعي المحيطات بي،
حتى شعرت بيد تنتشلني من كفي برفق قبل أن
يقول محمود: «خلي بالك، كنتي هتتخططي»، ثم
يعيدني للرصيف.

لم أشكره، وإنما قلت: «إنت شوفت صاحب
الفيلا؟».

- أيوة.

- ممكن توصفهمولي؟

- تخين وأقرع، شكله فلاح كده.

- يمكن يكون هو اللي قتلها؟

- هيلحق يعرف الشغالة ويعمل خطة ويقتلها
ويمسح الكاميرات؟

- عندك حق.

- أنا دايماً عندي حق.

- إيه ده إنت مهندس ولا إيه؟

- شاطرة، عرفتني منين؟

- حافظاكم. الإكس بتاعي كان مهندس.

ثم انحرف حديثنا تدريجيًا بعيدًا عن الجريمة.
سألني عن (عمر) حبيبي السابق وتخصصه في

الهندسة، ثم حكى لي عن دراسته هو لهندسة الاتصالات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بالولايات المتحدة. كان لبقاً وهادئاً، ورغم خجله في أول اللقاء ارتاح واكتسب ثقة أعلى حتى أنه صار يمزح ويسخر من كل شيء. شعرت تجاهه (محمود) هذا بشعور مريح، رغم أنني لم أحب أشباهه من ديدان الكتب من قبل، ولم أستسغهم عندما ملأ بصري العالم وتفاصيله.

سألني: «what's your music taste؟»، فأجبت: «مش حاجة معينة، بس كنت بسمع بوب.. وإنت؟».

- بحب ميوزك الـ ٨٠'s.. خصوصاً الروك. Bon jovi- aerosmith - guns'n'roses

- آه.. sweet child o'mine

- شكل ذوقك حلو.

انتبهت فجأة إلى فقدان الطريق داخل متاهة حديثنا، فسألته قلقة: «هو إحنا فين دلوقتي؟».

- عند بيتك.

- إنت عارف بيتي؟!

- مش بالضبط، بس القط بتاعك باعك أول ما جينا هنا وجري على الباب.

ندت عني ضحكة حادة ككل ما يصدر عني تجاه شلبي، ثم قلت: «شلبي عبيط أوي.. he's my only

«friend».

- فين باقي أصحابك؟

- كلهم مشيوا، هو بس اللي فضل. بس هو كفاية.

ولا أدري لماذا قطعت الحوار فجأة قائلة: «هشوفك ثاني؟».

فأجابني بعد فاصل من الثواني الخالية التي مرت عالية تصيح في أذني: «أكيد.. تعالي نتقابل بعد بكرة في نفس المكان والوقت، ١٢ ونص عند C16. عشان نكمل تحقيق طبعًا».

كلماته الثلاث الأخيرة خرجت متلعثمة سريعة، فابتسمت ابتسامة نسيت شفتاي أن بإمكانها الإتيان بمثلها منذ زمن، ووقفت قليلًا لا أدري هل أرحل أم أبقى، حتى فردت يدي أمامي وقلت: «Deal» فصافحني بيد متعركة.

ليلتها نمت نومًا عميقًا لا تزوره كوابيس ولا تطرق الذكريات بابه، نوم داكن ناعم يمكن فصله وتحديده وتفرقة عن النوم الدائم الذي أصاب بصري، وحلمت فقط حلمًا واحدًا خفيًا انتظرني فيه رشدي أباطة بنظارات سميكة، عند بئر بجوار C16.

(٩)

ساعة روليكس ذهبية

- ماهر -

أمضيت يومين في ضياع تام، أقلب الاحتمالات
يمينا ويسارًا كل بضع دقائق فينتهي بي الأمر
مهتاجًا ممضوغًا بين أنياب قلة الحيلة، وقد ألقيت
بكرسي أو كسرت لوحًا زجاجيًا من ألواح ديكور
منزلي.

نحو نصف ثروتي اختفى في لحظة بلا أثر، وزاد
الطين بلة أن الباشا الكبير مشتري التمثال سيأتي
قريبًا لنتم العملية، ولو اكتشف أنني كاذب أو اعتقد
حتى أنني أتلاعب به، فأنا هالك لا محالة. ناهيك عن
عاصفة الغضب التي أمطرني بها الوسيط (أنيس)
لما تركت مكالماته معلقة بدون رد، وأنا أبحث عما
يُمكن فعله في خضم (حوستي السودا)، فتعرضت
في الهاتف لإذلال لا نهائي عندما قلت فقط:

- ألو، مساء الفل يا أنيس بيه.

- بلا مساء الخير بلا مساء الزفت! إنت بتستعبط؟

- جرا إيه بس يا باشاوية مالك؟

- مابتدش على التليفون ليه يا ماهر؟!

- ااه .. لا ده العيال ولاد أختي ولاد الإيه عملوه

على الصامت بس.

- عارف لو بتفكر تشغل دماغك أنا هعمل فيك إيه؟
- عارف.

- لا مش عارف يا حبيبي، مش عارف كام واحد
اتحبس ومات وراح في ابو بلاش عشان بس فكر
يلعب الباشا.

- يا أنيس بي...

- فاكّر حادثة المترو بتاعة حلوان اللي مات فيها
٤٠ واحد؟ أهو دول كلهم راحوا فطيس عشان كان
فيهم واحد بس مزعله.

- وأنا ماقدرش على زعل الباشا.

- ولا تقدر على زعلي يا ماهر، صدقني.

- ولا زعلك طبعًا يا باشتنا. أنا زعلتك في إيه بس؟

- المكالمات وما بتسمعهاش، يبقى بتسيب رسايلي
وما تردش عليها ليه؟

- ما أوسخ من زفتي ألا ميت غمر، والله ما ليا لا
في التليفون ولا في الواتس ولا الكلام ده.. ما أنت
عارفني رد سجون.

- حركاتك القرعة دي لو اتكررت أنا هيكون ليا
تصرف ثاني خالص. أنا مش بقرص يا ماهر، أنا
لدغتي والقبر.

- اللي تشوفه يا كبير، اللي تشوفه.

السؤال الذي كاد أن يذيب خلايا مخي كان: كيف

عرف القاتل أن هناك تمثالاً؟ أم هي فقط ضربة
حظ مع لص مبتدئ؟ سواء كان يعلم أو لا يعلم،
فابن الأبالسة هذا وضع قدمي في شرك مثالي،
إما أن أسحب قدمي منه فتقطع، أو أن أظل
مكاني محبوباً وتضيع ثروتي، فأنا لن أستطيع
إبلاغ الحكومة بسرقة تمثال أثري مني، كما لن
أتمكن من إيجاده بمفردي كذلك. ولكن الغبي لا
يعلم مع من يلعب، أنا ماهر الأسويطي الذي دوخ
الحكومة وأبوها، فتحت مائة خزانة وسرقت بنوكاً
ومؤسسات، ولم تظهر صورتي في نشرة إخبارية ولا
حتى خبر بالصدفة، وعندما دخلت السجن دخلته
بمحض إرادتي. إما أنا أو أنت يا ملعون.

رغم عزمي كان الموقف سيئاً حقاً، فبوليس هذا
الكومباون لا يحل ولا يربط بالرغم من كل الكلام
المنمق عن احترافيتهم، وزاد الطين بلة هذا العطل
الذي أصاب الكامرات، والذي يضعني في دائرة
الاشتباه رغم عشرات الشهود على وجودي في عيد
ميلاد نيللي، على الأقل كشريك في الجريمة.

بعد الكثير من التحقيقات ومواويل السين والجيم
التي شهدت أغلبها مع مرقس لم يتم التوصل إلى
أي شيء، كل ما حصلت عليه فقط كان إعداد قائمة
خائبة من المشتبه بهم قوامها بعض الخادمت
وعاملي السباكة والنظافة بالكومباون، وفقاً
لتواجدهم بالقرب من موقع الجريمة أو وجود أي
خلافات سابقة بينهم وبين القتيلة.

ولكنني على يقين أن كل هؤلاء لم يرتكبوها، ليس بفضل ذكائي الخارق وإنما بسبب تلك الحاسة التي تكتسبها وتطورها من معاملتك مع اللصوص، فاللص الجيد بإمكانه تمييز اللصوص الآخرين، يستطيع اصطیاد تعابیرهم الخائفة وشم توترهم عن بُعد، وأنا متيقن أن كل هؤلاء المشتبه بهم ليسوا لصوفاً ولم يسرقوا في حياتهم ما يزيد على ألف أو ألفي جنيه، لذا كنت أتابع التحقيقات وأنا أكاد أنفجر غضباً من هذه التمثيلية، ومن عدم قدرتي على الحديث بشكل علني عن تمثالي المسروق. أنا أثق في حدسي الإجرامي، وحدسي ينبئني أن القاتل من سكان الكومباون.

كل ما أردته كان إصبعاً يشير إلى الاتجاه الذي يجب أن أبحث فيه، وسأشمر أكمامي على الفور وأغوص خلف هذا الفيل في أي نهر أو مجرور، ولكن كانت كل الأصابع مقطوعة على الأرجح، فنحن لا نملك تسجيلات لكاميرات المراقبة ولا بصمات سوى بصماتي، ولا شهوداً ذوي قيمة سوى حفنة من الخادمت الثرثارات.

على الجانب الآخر، اعتزلت اللقاءات الاجتماعية الودودة متعللاً بالجريمة، فتجاهلت دعوات جيراني للزيارة والتعارف ومكثت في فيلتي ثلاثة أيام أكل وأغضب بصحبة مرقس الذي لم يكن يعلم شيئاً عن المسخوط فكان غضبي معه منقوصاً وتنفيسي بلا معنى، فقط يجلس الولد معي غير فاهم سر

عصبيتي المبالغ فيها، يحضر بعض الوجبات والطعام ويمضي الوقت متحملاً صراخ ولي نعمته المجنون حتى يعود إلى ابنته وزوجته.

بحلول اليوم الرابع أصابني السأم وتمكن الغضب مني، وقررت أخيراً أن أبحث يدوياً بنفسي بدلاً من الاتكال على الإجراءات الرخوة. أفراد الأمن قد يكونون محترفين لكن لن يتصرفوا بلهفة صاحب الحق، وأنا بالنسبة لهم إما القاتل بنفسه أو مجرد طفل مزعج يبكي ويجب إسكاته بأي لعبة: «جثة في فيلتك، وماذا بعد؟ الله يرحمها ويرحم موتى الفلبينيين جميعاً، اذهب واغطس في حوض سباحتك قليلاً واشرب بعض البيرة وستنساها قبل أن يجف جسدك».

منذ تلك اللحظة وبعد هذا الصباح، قررت أن أبدأ إجراءاتي الخاصة، أن أبحث وأفكر كقاتل من الأغنياء، والخطوة الأولى كانت أن أفكر كيف سيتصرف قاتل منهم في خضم ارتبأكه وقلة خبرته بالجرائم؟

البداية كانت من منزلي، وبالتحديد من صندوق القمامة الذي تكومت زبالته وانتنت رائحتها على مدار خمسة أيام، وكما أخبروني فالقمامة هنا يجب فرزها إلى قمامة ورقية وبلاستيكية وأخرى كي يعاد تدويرها مثل بلاد الخارج، وهي وظيفة يقوم بها الخدم بالطبع لكنني لم أحضر خادمة بعد، وللمرة الثانية أخبرني مرقس أن الخادمة الجديدة التي

اتفق معها لن تأتي لأن قدمها انكسرت وهي تمسح
الدرج!

لذا جلست بالمطبخ أفرز قمامتي بيدين عاريتين،
متململاً متأففاً من الرائحة، أفصل بين أنواع القمامة
المختلفة وأبحث عن دليل ما، وعلى عيني منظر
طبي لزوم التركيز.

حتى لفت نظري جسم يلمع وسط القمامة.

ساعة ذهبية رجالي ماركة روليكس، ذات واجهة
زجاجية مهشمة وملطخة بآثار الدماء! انتفض
جسمي عندما لعبت الفكرة على وتر ما في الرأس،
قمت واقفاً وأنا أرفع الساعة لأعلى في ضوء
الشمس المتسلل من الواجهة الزجاجية، هذا هو
الإصبع الذي كنت أحتاجه، فالقمامة كانت خالية
تماماً قبل سكوني للفيلا، وهذه الساعة ليست من
مخلفاتي، كما أنها تحمل بقع دماء وزجاجاً مهشماً.
بكل تأكيد هي تخص القاتل.

بحرص أزلت بقايا الطعام الملتصقة بها من
عجين وخضراوات ثم رحت أتأملها بين أصابعي،
وانفردت على وجهي ابتسامة عريضة للغاية. كما
توقعت، القاتل من سكان الكومباون، من أصحاب
الملايين عديمي الخبرة بأمور القتل وإخفاء الأدلة،
انكسرت ساعته الباهظة وحملت بقايا دماء الخادمة
وبصماتها بعد صراع معها فألقى بها في قمامة الفيلا
في ذروة رعبه حتى لا يعثر عليها أحد في منزله.

الآن فقط أستطيع أن أتنفس، الآن فقط تحرك
الهواء الراكد في صدري، فداعبت خواتم يدي
الأربعة في نشوة مفكراً. القاتل ذكر، غني يسكن
هنا، ويرتدي الساعات الروليكس، هكذا أعلم من
أين سأبدأ على الأقل. من الحفلات والنادي والجيم
الرياضي وملعب الجولف، سأراقبهم بهدوء وأندمج
بينهم وأسأل بخبث حتى أعرف من هو صاحب
الساعة الذي سرق نصف ثروتني وورطني في جريمة
قتل.

رحت أكررها لنفسني: القاتل ذكر، غني يسكن هنا،
فيل يرتدي ساعات روليكس. هكذا أعلم من أين
سأبدأ على الأقل.



جريمة لن يهتم بها أحد

- ريم -

روتيني الأسبوعي ثابت لم يتغير منذ فقدت بصري، يسير على نفس خط الإنتاج لينتج ذات اللعب المتشابهة المسماة بـ(أيام ريم)، مجمدة ومغلقة بعناية، وتحتوي على جرعات عالية من الملل والمواد الحافظة. لكن كانت جريمة القتل بمثابة العطل المفاجئ في ذلك الخط، خلل أوقف الخط عن الدوران لينتج شيئًا مختلفًا: معجون متمرد بطعم النكهة اللاذعة للمؤامرات والقتل، نكهة أثارت حواسي وأيقظت انتباهًا مات منذ زمن.

ثم جاء محمود هذا وكسر خط الإنتاج تمامًا عندما طلب مني أن نتقابل اليوم، فاستيقظت يتلاعب في بطني قلق خفيف، إحساس غريب ودخيل على القائمة المحدودة لأحاسيسي العمياء، للمرة الأولى منذ زمن أكثر تناسق ملابسي وألوانها وأستحم بلا تأفف -بمساعدة نجاة- وأحرص على تعطري بصورة واضحة.

قبل مينعادنا أمضيت وقتي في قضم الأظافر وافترض سيناريوهات شتى أكثرهم حضورًا كان عدم مجيئه: «ربما قالها فقط من باب الشفقة على الشابة العمياء ليس أكثر، أو ربما كان يتلاعب بها

فقط ليسلي وقته». اللعنة يا ريم، ألا يستطيع ذلك الرأس الإتيان بفكرة إيجابية واحدة؟ ألا يمكن أن تفضي بعض السحاب والغيوم ليمر شعاع طيب من بينهم؟ في عقلي لبؤة مجروحة وغازية، كلما اقتربت منها فكرة جيدة واحدة شوهتها بمخالبتها.

وبينما أتهيا أخيرًا للخروج تناهى إلى مسامعي حفنة أصوات يستطيع عقلي بسهولة استخراجها من مكتبة أصواته وتفنيدها: رنين جرس الباب ثم فتحه، متبوعًا بمجاملات نسائية متبادلة ذات صوت عالٍ ومصطنع، ثم تتكرر دورة الأصوات كل بضع دقائق. إنه مساء الاثنين، حفل الشاي المعتاد-أو جلسة النميمة- التي تستضيفها أُمي أسبوعيًا مع جيراننا من سكان الكومباوند، نحو ٩ سيدات ينسخن بعضهن بعضًا في كل شيء تقريبًا، ويتشابهن بصورة مستفزة في الملبس وطبقة الصوت واختيار الكلمات. لا يمكنني التذكر إن كانت تلك هي الحال دائمًا أم أن هناك نقطة معينة قررن فيها ضمنيًا أن يقلدن بعضهن بعضًا، ولكن أصبحت هذه «الحفلات» تثير اشمئزازي بصورة كبيرة.

«بونسوار يا بنات».

ما إن أسمع صوت چيهان حتى أعلم أن الحفل بدأ، فهي صافرة البداية والإذن بانطلاق مباريات النميمة. چيهان هي زعيمة المجموعة غير المنتخبة، أقواهن شخصية وأكثرهن تسلطًا إلى درجة فرضتها على الجميع. جيهان شمطاء، متعالية،

تتشدد بكلمات فرنسية هنا وهناك لتؤكد بها أنها أعلاهن شأنًا من قبل دخول هذا الكومباوند بخلفية أرستقراطية قحة، ولا توجه لك نظراتها إلا من أعلى منظار على عينيها، بكل تكبر.

من مكمني في الغرفة وصلني جزء من حديثهن. كان -كما توقعت- يدور حول جريمة القتل التي نالت من الخادمة الفلبينية التي لا يتذكرن اسمها. تشك سوزي أن خادمتها هي القاتلة لأنها عنيفة الميول ولأنها ضبطتها أكثر من مرة تلعب بالأدوات الحادة، وتؤكد نيرمين أن مرتكب تلك الجريمة لن يخرج عن أفراد الأمن أنفسهم، ودخلت كل من ميمي وجيهان في نقاش حول مدى تدهور مستوى الكومباوند في الشهور الماضية، قبل أن تسحب كل واحدة منهما جهاز التدخين الإلكتروني الخاص بها، وينحرف الحديث إلى الموضوع الأكثر مبيعًا بينهن: العمل الخيري.

يتحدثن دومًا عن الفقراء والفقير كالفضائيين على عطارده، كالحیوانات النادرة في محمية من محميات الاستواء، حديث غارق في العنصرية والجهل شبه التام بالمخلوقات الأخرى الذين يعيشون معهم في نفس المكان، فأسمع في أحاديثهن دومًا أشياء مثل: - (بنفكر نروح نزور أهالينا الجمال البسطا في المهندسين ونشرب معاهم شاي).

- (نفسی أقعد مع حد من وزارة التعليم عشان

مشروع الإنترنت غير المحدود في الأرياف).

- (صدقوني يا جماعة فيه ناس شوفتهم بنفسي من أهالينا الجمال وعمرهم ما جربوا الاستاكوزا في حياتهم. إحنا لازم نعمل مبادرة للاستاكوزا والseafood).

«أهالينا الجمال» هو المصطلح المتعارف عليه هنا لوصف الفقراء، بالطبع لا يؤمن أي من الحاضرين أنهم (أهالينا) ولا أنهم (جمال) بأي شكل من الأشكال، أنت لا ترى كيف يصافح الواحد منهم الفقير بأطراف أصابعه ويسد أنفه، كما لو يتعامل مع كيس قمامة، ولكنه نوع من الصوابية السياسية الذي يعجن كلماتهم في التعامل مع العالم الخارجي. زفرت بعمق متهيئة لفقرة الأحضان والشفقة المصطنعة، فالمرور بتلك الصالة للخروج من البيت كالمرور بالمطهر لدخول الجنة، وبالفعل ما إن رأيني عند مدخل الصالة تحول حديثهن لهمسات، ثم تأتأت واحدة منهن في إشارة مفتعلة لهن حتى «يلاحظن» وجودي.

قالت أمي بترحاب زائف: «تعالى يا ريري say hi». فانصعت بابتسامة باهتة مصافحة ومعانقة كل واحدة منهن في مكان جلوسها المعتاد الذي أحفظه، ثم جلست بعدها بجوار أمي التي قادتني من يدي بالإجبار كي أنضم لهن. استمر الحديث الأجوف الساذج لبعض الوقت قبل أن ينتقلن إلى

فضيحة نهال الب دراوي التي دمرت عملية التجميل
الأخيرة أنفها حتى صارت أشبه باللورد فولدمورت،
فاستأذنت منهن ومن ضحكاتهن العالية الساخرة
وخرجت من المنزل أحمل شلبي، متعلقة بمشوار
للصيدلية.

أخيرًا، هدوء نظيف وهواء ناعم يدغدغ جلدي.

في الطريق إلى فيلا C16 تحليت بابتسامة لا
إرادية والكثير من التوتر، أداعب فراء شلبي بين
الحين والآخر قبل أن أتركه يسير بجواري ويتهادى
بمشيته المتبخثرة الحمقاء، أفكر في محمود، رشدي
أباظة الذي ينتظرني، كيف يبدو حقًا؟ من صوته
خمنت أنه شاب نحيل أبيض ذو منظار طبي، ولكن
الأصوات لا ترسم للأسف، قد يكون أي شيء في
العالم، وأنا لن أعرف أبدًا.

مواء غريب، غاضب.

جذبتني أصوات المواء من سماء الأفكار، مواء
غاضب شرس لم أعتده من شلبي كثيرًا، فتوقفت
بغثة منادية إياه في توجس قبل أن يتعالى صوته
أكثر، وكأنه يخوض صراعًا خاصًا، مما أصابني
بالشلل وصب الرعب صبا في عروقي. هناك حركة
مريبة تحدث حولي ولا تشي بأي خير، لقد عاد
القاتل من جديد!

وددت لو كسرت جدران هذا العمى بمطرقة ولو
لثوانٍ حتى أتمكن من معرفة ما يحدث، انتفضت

وأنا أحاول تحديد موقعه ملوحة بعصاي في كل
الاتجاهات، مناديةً باسم شلبي كالحمقاء، حتى
خفت صوته فجأة.

تكرر ندائي المتوتر وأنا أبحث عنه، تتبعت مواءه
الخافت وقد بدأ الرعب يتنامى ويتعاظم في داخلي
كحبة خردل، ثم سمعت فجأة صوتًا مكتومًا يقترب
مني، وكأنه يأتي من خلف قناع، كلماته مشوهة
ونبرته مطموسة، ويقول: «المرّة دي القط، المرّة
الجاية إنتي».

ثم ابتعدت خطوات الأقدام تاركة إياي متخشبة
كلوح ثلجي.

في هلع ناديت شلبي وناديت محدثي، فلم
يأتني رد، وببيدي المرتعشة بحثت على الرصيف
حتى عثرت على كرة من الفرو تتنفس بصعوبة،
وهناك سائل دافئ يتدفق من رقبتها على الأرض،
وبجوارها صورة.



مشتبه بهم

- ماهر -

خطتي كانت الاندماج، والتعرف على جميع رجال
سكان الكومباون حتى أتوصل إلى الفيل صاحب
الساعة الروليكس، لكنها مهمة ليست من السهولة
في شيء.

فالكومباون ضخم ويضم مئات السكان وعشرات
الأماكن والخدمات، ويُقسم إلى ٣ مناطق. كنت
من سكان المنطقة C التي تتميز بطابع ضواحي
أمريكا ويسكنها أغلب المالكين هنا، أما المنطقة B
فهي المنطقة الترفيهية حيث تجد معظم الخدمات
من مطاعم وفندق للزوار على الطراز اليوناني،
وبحيرة صناعية ضخمة ومول مفتوح وحديقة
حيوان كبيرة، بالإضافة إلى أندية الرجال والنساء،
والمساكن الشعبية العجيبة التي تقع في الركن!
ثم تأتي المنطقة A المبنية على هضبة لتطل على
الكومباون بأكمله، وهي المنطقة الخاصة بأي من
الفلاك من ذوي الأهمية الدبلوماسية والذين يطلبون
تأمينًا خاصًا ونوعًا أعلى من الرفاهية مثل ملاعب
الجولف، رفاهية تتجاوز أرقامها الأصفار السبعة.

المكان كله مبني على شكل مثلث عملاق في كل
ركن من أركانه تتواجد منطقة من المناطق الثلاث،

وفي المنتصف يتلاقون في الحديقة العملاقة أو «البارك» كما يسمونها هنا، وبالطبع هناك تلفريك خاص بأصحاب المنطقة A لإنزالهم وإصعادهم الهضبة. في كل ذلك الزخم من المفترض أن أجد شخصًا واحدًا بعينه لا أعلم عنه سوى أنه كان يمتلك ساعة روليكس ذهبية!

تركت أعمالي في يد مرقس تمامًا لأتفرغ للسارق، فالأمر بدأ في إصابتي بالهوس بالفعل، وكنت أخرج لأتمشى بالساعات يوميًا وأنا أدقق بصري في رسغ أي مخلوق يسير بجواري، في الشوارع أو بلازا الكافيهات أو الحديقة التي كانت شاسعة وجميلة بحق، وكما قالت لي موظفة المبيعات فهي مبنية لتحاكي حديقة شهيرة في محافظة نيويورك تسمى بارك السنترال تحتوي على مئات الأشجار والنباتات وبحيرات صغيرة وملاعب ونوافير وتماثيل وطرق مخصصة للركض وركوب العجلات، وأكثر.

للأسف لم تسفر جهودي اليدوية المبدئية عن أي تقدم، لذلك وقبل القيام بأي خطوات إضافية قررت لعب لعبة قديمة ومضمونة، فطلبت من أحد محلات الكباب الشهيرة في الكومباون وليمة كفتة وطرب وريش وحمam قد تكفي ١٠٠ شخص، ثم استدعيت جميع أفراد الأمن بصورة عاجلة لأفاجئهم بعزومة معتبرة في حديقة فيلتي أكلوا فيها وشربوا وتجشأوا وسمحت لهم بلف المتبقي من الطعام وأخذه. وبطول الوليمة وجلسة السمر التي تلتها

تعرفت عليهم وشربنا الشاي، تعاملت معهم كابن بلد، على عكس جميع الفلاك هنا تقريبًا، فجلسنا في (قعدة عربي) كلنا على الأرض وأخبرتهم بالسيجارة في فمي أن ينادوني بـ(عم ماهر)، لكن قال واحد منهم يدعى إبراهيم: «إزاي بس يا دكتور، مايصحش طبقًا».

دكتور؟ يبدو أن الكذبة كبرت وامتدت أطرافها في كل أرجاء الكومباون كأخطبوط حديث الولادة. لكن لا أنكر أنني شعرت بفخر كبير نابع من الكلمة وما يصاحبها من وجاهة، فقلت ضاحكًا: «من تواضع لله رفعه، وأنا مانساش أصلي أبدًا».

- بس الناس مقامات يا فندم.

- سيبك من الهجص ده، كله شغل بيومي. أنا بادئ من تحت الصفر، لسه برجع البيت وأنا إيدي مشققة من شيل الطوب والزلط.

- طوب؟

- ط.. طوب الـ.. الـ.. العلم وزلط المعرفة. ما أصل العلام ده عامل زي عمارة بتتبني طوبة طوبة.

- ربنا يزيد ويبارك يا دكتور.

- تاني هيقول لي دكتور؟ وبعدين إنت أسيوطي بلدياتي ياض، يعني أنا في مقام عمك بجد.

ثم سأل آخر: «وإنت دكتور إيه بقى يا باشا؟».

- نسا إن شاء الله.

- طب كويس عشان تكشف على صابر.

ضحكوا جميعًا بما فيهم صابر، الشاب الأسمر الذي عاملني بجفاء عند فيلتي، والذي قال الآن وهو يحتسي الشاي: «ماتزعلش مني يا دكتور على اللي عملته من كام يوم، دي التعليمات».

- يا ض يا عبيط ده شغلك. وبعدين مش قلت اسمي عم ماهر؟

- والنعمة دي على عيني كلنا عارفين إن مش إنت القاتل، بس الإجراءات لازم تمشي رسمي ولحد دلوقتي مافيش أدلة.

- وأنا تحت أمر الإجراءات.

الآن وقد ضمنت أفراد الأمن لصفي أستطيع أن أتحرك بحرية أكثر وأن أتجاوز قواعد الكومباون، وبمرور الوقت أستميلهم وأعرف منهم ما أريد عن الفلاك وعن التحقيق الجاري.

الخطوة التالية كانت إعداد قائمة بكل الرجال الذين تواجدوا في الكومباون ليلة الجريمة ومراقبتهم والتقصي عنهم، وهو ما لم يكن صعبًا بمساعدة أفراد الأمن. في البداية راقبت (مالك عز) الممثل، أو الأسد كما كان في عيد الميلاد، و(طارق عبده) -الثور- لاعب الكرة السابق، ولكن أكثر من لفت نظري كان (ياسر الحسيني) الذي ارتدى قناع الثعلب.

احتكت بياسر هذا مرة في صف شراء المشاريب بأحد الكافيهات الشهيرة، كان يقف خلفي متململاً من الانتظار، وعندما بادرت بابتسامة لشراء القهوة له انطلق يرطن بكلمات إنجليزية مطولة عن مواصفات مشروبه الخاص لم أفهم منها سوى (كوفي)، لبأها كلها صانع القهوة على أي حال، بينما حدثني ياسر عن نظامه الغذائي السابق بأغذية البحر المتوسط فقط، وكيف أنه يغير دائماً من نظامه بما يلائم نفسه ويلائم البيئة، فانتقل من كونه نباتياً، إلى أكل الأسماك فقط، إلى المأكولات خضراء اللون، والآن لا يتغذى إلا على أنواع من الحشرات لا يخل أكلها بالهرم الغذائي ودورة الحياة. هذا المعتقد يطلق على البشر الطبيعيين الذين يأكلون الفلاف واللاحم الضاني -أنا- (حيوانات)، ولم يتبق فقط إلا أن يتبع نظاماً غذائياً لأكل كاوتشات السيارات وشرب زيوت الفرامل.

للهة الأولى تظن هذا الياسر شاباً عاقلاً لبقاً، بمنظاره الطبي وشعره الطويل المصفوف على شكل كعكة، وارتدائه الدائم للملابس البيضاء الواسعة وكأنه فيلسوف ما، لكن تغيرت نظرتي له عندما رأيته يخرج للتنزه برفقة صديقه، أو كلبته البشرية كما يمكن أن تصفها. شابة جميلة شقراء تسير على أربع كالكلاب، يتمشى ياسر رابطاً إياها بسلسلة معدنية. مذهولاً راقبتها وهي تنبح كل بضع دقائق أو يداعبها هو مربتاً على رأسها، أو حتى تتوقف

لتقضي حاجتها رافعة قدمًا للأعلى ومرتكزة بركبة
الأخرى على الأرض! لو أن هذا ليس قاتلاً فمن عساه
أن يكون؟

عندما سألت أفراد الأمن أخبروني أنها تعرف
نفسها ككلبة، وأن ياسر نفسه مجنون وله شطحات
عديدة غير اتباعه للأنظمة الغذائية الغربية كل
فترة، مثل هوسه بكل ما هو مُعاد تدويره، لكنه رغم
ذلك عبقرى في البيزنس وفي مجالات التطبيقات
الحديثة، ولديه شركة تكاد تنافس جوجل في قوتها.
أخبروني أيضًا أنه لم يتحول هذا التحول الغريب إلا
عندما انفصل عن عارضة الأزياء السمينية (خديجة
التهامي) التي رأيتها في حفل عيد الميلاد أيضًا
-التي كانت ترتدي قناع العصفور- والتي أراها في
كل ركن من أركان الكومباون مع حبيبها يتبادلان
القبلات الحارة، وكأن الحياة كلها موسم تزاوج
طويل لا ينتهي. من الذي قد يقع في حب كل تلك
الأرطال من اللحم البتلو سوى قاتل معتوه؟!

وأخيرًا في مساء اليوم السابع من بعد الجريمة،
حصلت على المشتبه به.

كنت قد ذهبت للتبضع من الهايبر الكبير وبالي
مشغول بالقتيلة والمسخوط ونيللي التي لا يخلو
أي تعبير لها من إغراء ودعوة لممارسة علاقة كلما
لمحتها، وبلا انتباه مني كنت أسير في قسم الطعام
الصحي، بعدما اشتريت بعض الخبز الخاص بمرضى
السكري، حتى قابلت مدرب اللياقة (هشام جابر)

الذي يشبه الدب في حجمه وكثافة شعر لحيته،
والذي رأيته في عيد الميلاد أيضًا، صافحني
بترحاب بيد في حجم مقود السيارة وسألني عن
أحوالي ثم التحقيقات الجارية عن جريمة القتل
التي تمت في فيلتي، ورحت أسرد له في فتور
تراخي منظومة الأمن في الكومباوند وبطنهم.

وقبل أن ينتقل الموضوع للحديث عن الصحة
والرياضة لفت انتباهي في يمينه ساعة روليكس
ذهبية مطابقة للساعة التي عثرت عليها في
قمامتي.

اقشعر جسدي.



رائحة القتل

- ريم -

لم أبكِ في حياتي كما بكيت على شلبي. لم أبكِ حتى بعد إصابتي بالعمى، ربما فقط بكيت في ليالٍ متباعدة عندما أدركت بالتدريج حقيقة فقدانى بصري، دموع لم تلبث أن تتوقف سريعًا عندما أتذكر من أنا، وعندما أمتعض من هذا الضعف الذي حل بي.

لكن منذ موت شلبي لم أتوقف عن البكاء، منذ سكن جسده عن الحركة وأنا لا أشعر إلا بالغضب، الآن أكثر من أي وقت مضى أشعر بالعمى حقيقياً ومجسماً وثقيلًا على صدري، للمرة الأولى أبكي كالأطفال، بكاءً متواصلًا حارًا، وكأنني تركت يد أمي في مدينة الملاهي المزدحمة وأدركت فجأة أنني تائهة.

«هو مجرد قط» كما قالت أمي وكما لمحت نجاة، ولكنه قط بقي إلى جوارى وقبلني عندما نفر مني الكل، ونبذوني وكأنني مريضة بالبرص، أنا من تم نسياني تمامًا بعد الحادثة بأقل من ستة أشهر، فلم يعد أحد من قائمة الأصدقاء والمعارف الطويلة يتصل ولا يزورني. صرت لهم جهازًا تالفًا بلا استخدام.

أصررت على دفنه ورثائه رغم عدم اقتناع أهلي
بالأمر، ولكنني رغماً عن الجميع دفنته في حديقة
الفيلأ أسفل شجرته التي كان يحب الاستلقاء
تحتها. بدموع صامته وأنامل مرتعدة دفنته، وألقيت
كلمات رثاء حمقاء مرتجلة وممتزجة بالبكاء عن
كونه صديقي المفضل الذي يحب اللعب والبرتقال،
أمام أمي ونجاة وأبي. أبي الذي جاء مغضوباً بعدما
أخبرته أمي أنني مصابة بانهيار عصبي، وهي مرة
من المرات النادرة التي أراه فيها منذ طلاقهما، حيث
كان يزورنا مرتين أو ثلاثاً كل عام ليراني ويتحدث
معي ومع أمي بكل سطحية وبرود، كدأبه منذ
تزوج مطربة لبنانية مغمورة وجعلها قضية حياته
الكبرى. في الواقع كنت أفضل عدم مجيئه أكثر من
حضوره، وزاد في الأمر أنني سمعته يكتنم ضحكته
مرة أو مرتين وأنا ألقى رثائي.

الألم في صدري حاد وحقيقي كطعنة سكين،
والموجع أكثر منه استخفاف الجميع بموت صديقي
الوحيد الباقي.

قتل شلبي، تم ذبحه على الرصيف في غفلة مني،
واللوم كله أنا أتحملة لأنني تجاهلت تحذيرات القاتل
المخبول، ولأنني اصطحبت قطي معي في جولة
حمقاء لأكسر إيقاع حياتي الرتيب. لا زالت دماؤه
تغطي يدي، لم أغسلها ولن أغسلها حتى بعد مرور
يوم كامل. لم أفعل أي شيء سوى البكاء، تكورت
على نفسي في غرفتي والحزن يحيط بي كسياج

قلعة عالٍ، الآن أردت التخلص من الظلام أكثر من أي وقت، أن أمسك به وأنزعه عن عيني وألقيه بعيدًا، أريد بصري ولو لدقائق معدودة أتعرف فيها على هذا الملعون ابن الشياطين الذي لا يعرف له أحد شكلاً ولا ملامح.

فللمفاجأة، كانت الكاميرات في نطاق الجريمة معطلة وحل محلها تشويش مطابق لجريمة أنجيلا بالضبط! أخبرني الضابط المسئول عن التحقيق أن الكاميرات الثلاثة في محيط مقتل شلبي أصيبت بعطل استمر لمدة ٥ دقائق مثلما حدث مع مقتل أنجيلا، مما يعني أننا نتعامل مع شبّح في الجريمتين. هذا بالإضافة إلى صورة وجدوها بجوار شلبي، لشخصية الكارتون الشهيرة (الفيل بابار) ذي البدلة الخضراء. هو على الأرجح نفس القاتل، الفيل، قاتل الكومياوند.

كل ما أتذكره عن هذا المختل هو رائحته التي التصقت بذاكرتي ولم تفارقها. رائحة كانت تسبح في الهواء حول جثة شلبي بغزارة وتركيز، وكأن الوغد قد تحمم بزجاجة العطر كلها، عطر نسائي ذي طابع شرقي مميز، لن أنسى رائحته ما حييت، يحمل خليطاً من العنبر والمسك والفانيليا، فالتقطه أنفي وحبسته داخلها وحفظته عن ظهر قلب. هذا هو الخيط الوحيد الذي أملكه، أنا أسبح في محيط مظلم وأنا معصوبة العينين وموثوقة اليدين، ولكني سأسبح للنهاية حتى لو كان كل ما أملكه هو رائحة

عطر من العنبر عالقة في أنفي.

فقدت القدرة على النوم ولم أستطع منع دماغي من الإتيان بآلاف الأفكار والخطط سواء الساذجة أو الحكيمة. رأسي كان آلة هادرة لا تتوقف عن العمل، حديدتها محمي بوقود لا ينضب من الغضب، وفي أثناء كل نشاط كنت أمارسه غرق رأسي في وحل الأفكار الانتقامية وتمرغ فيه حتى تشبّع تمامًا. أريد أن أتوصل لذلك القاتل فقط، وليرحمه الله مما أنتوي فعله.

ثم بزغت فكرة أخرى كنت قد دفنتها بعيدًا، أبطأ رجوعها من ضربات قلبي ورفعت معدل قلقي مجددًا، ماذا عن محمود؟ لم أقابله يومها بسبب ما حدث لشلبي، ولم نتواصل أبدًا منذ لقائنا لأننا لا نملك طريقة للتواصل سوى أن يأتي طارقًا باب بيتي -وهو ما لن يفعله- وعلى الأرجح هو يظن أنني غير مهتمة وأنني لم أحضر عن عمد، رائع، خسرت صديقين إذا بسبب القاتل. أم ربما محمود هو نفسه القاتل؟ اللعنة على رأسي.

أولى خطواتي للمعرفة هي تكثيف التحقيقات وأخذها على محمل الجد، لن أحقق خلف جريمة شلبي كعمياء تسلي وقتها ولكن كمبصرة تسعى للشار، فصحيح أنني كفيفة ولكني أملك كل المال اللازم لكي أمتلك ألف عين، ولديَّ الإرادة التي تكفيني حتى أخترق السدود، وعلى كل حال فالملل هو العائق الوحيد أمام أي تحقيق.

صباحًا ومساءً، سأخرج لأسأل وأسمع وألمس
وأستنشق، فربما أمر بجوار الرائحة إياها في
الحديقة أو المول أو أي مكان، وقد أسمع نميمة أو
حديثًا جانبيًا ما يضيء جزءًا مطلقًا في عقلي. كيف
سأرى وكيف سأتحرك وحدي وكيف سأحصل على
آلاف التفاصيل لسكان الكومباوند؟ لديّ إجابات لكل
تلك الأسئلة، وسأبدأ في تنفيذها الآن.

وكي لا تبرد ناري ولا تخفت رحت أردد لنفسي:
القاتل واحدة من سيدات الكومباوند، بدليل الرقم
الخاص الذي اتصل بي، تضع عطرًا شرقيًا نفاذاً،
ترتدي قناع فيل أو ما شابه.



(١٣)

الذّب

- ماهر -

في الكومباون جيم ضخم يطل على البحيرة الصناعية ويتكون من خمسة طوابق، لكل طابق هدف أو اختصاص ما. هشام جابر، الذّب، هو صاحبه والمسئول عن تدريب معظم المشتركين من السكان، وهو كما عرفت واحد من أشهر الأسماء في عالم كمال الأجسام، وقام بتدريب العديد من الممثلين والرياضيين. لهشام جسد مميز أشبه بمثلث ضخم مقلوب، لكن أكثر ما يميزه لحيّة كثيفة وشارب مبروم كشوارب الباشوات قديماً، وارتداؤه قمصاناً مفتوحة الصدر معظم الأوقات.

عندما رأيت الساعة تلف رسغه في الهايبر ماركت أصابني حماس خاص، نشوة الصياد وقد أمسك بذيل الحقيقة بين أصابعه. وسار الأمر بسلاسة لم أتوقعها عندما بدأ بالحديث عن حاجتي للتمرين، وأنه قد يساعدني في التخلص من الكرش والحصول على جسم مثالي إذا اشتركت معه في البرنامج الخاص به، فوافقت بعد حوار صغير وأنا لا أفكر إلا في تمثالي وأين يخبئه هذا العجل، أو الذّب، أو الفيل كما قالت البطاقة والميدالية.

بالطبع لم أهدر المزيد من الوقت، وفي صباح

اليوم التالي اشتركت في الجيم وفي البرنامج الخاص بهشام مرتديًا طاقمًا مكونًا من قميص رياضي أبيض وشورت أزرق قصير اشتريتهما من المول، وكان القميص ضيقًا بصورة واضحة عند منطقة الكرش لكنني لم أبال كثيرًا، في الواقع كنت أظن أنني أبدو أكثر شبابًا فيه.

قابلني في الطابق الأول لنبدأ التمرين، ورحب بي بشدة قبل أن أنشل جيوبه الخاوية إلا من بعض الكروت والأوراق المالية، ثم لمحت الساعة حول رسفه مجددًا فابتسمت في نشوة وأنا أسمع كلامه عن الخطة الغذائية التي ينوي وضعها وعن نسب البروتين والكاربوهيدرات وكل هذا الهراء. فقال وهو يداعب ذقنه الطويلة، وهي حركة عصبية يقوم بها كل ثلاث دقائق، بالإضافة إلى تكراره معظم كلامه مرتين: «محتاجين كمان.. محتاجين كمان نشتغل على عضلات الglutes عندك».

- أيوة فعلاً عايزين تكبرها.

توقف قليلاً وهو يضحك ضحكة خبيثة ثم سأل: «عايز تكبرها؟ عايز تكبرها أوي يعني؟».

- كلك نظر بقى يا كابتن.

- هي كبيرة كفاية أظن.

- من كتر الشغل بقى ربيت عضل.

- وإيه أخبار شغلك؟

- والله يرجع من الموقع مهدود.

- موقع؟ موقع إيه يا دكتور؟

- موقع الجريمة.. ما أنا أصلي دكتور في الطب الشرعي.

قال بصوت هامس وكأنه يحدث نفسه: «كنت هتنفعنا إنت أيام الجنينة».

وقبل أن يستفيض في الكلام الطبي والحديث باللغة الإنجليزية، هربت من الفخ عندما باغته قائلاً: «بس السهرة كانت حلوة في عيد ميلاد مدام نيللي. سيبتنا ومشيت بدري ليه؟»، فأجابني ونحن نتمشى وسط الأجهزة وزحام المكان: «ليلة المدام الأولانية بقي، دي تقتلني لو ماروحتش».

- ما شاء الله، إنت متجوز اتنين؟

- على سنة الله ورسوله.

- مش كتير عليك شوية؟

ضرب على عضلات ذراعه وقال بمرح متفاخر: «والعز ده كله يضيع على واحدة بس، ها؟ على واحدة بس؟»، ثم طلب مني الصعود للمشاية الكهربائية.

أنا أكره الجري، وأكره الشعور بكرشي يهتز أمامي، ولكن ما كرهته أكثر هو ثرثرة ذلك الأحمق بلا توقف أثناء الجري: عن جوائزه وبطولاته، وعن فوائد الزواج المتعدد، وكيف ينظم جدول الأسبوعي بين

زوجتيه، وعن ماركة الملابس التي يمتلكها باسم
(elephant) -الفيل- وعن شهرته بين المهتمين
بكمال الأجسام، وكيف أن الشباب على التيك توك
يتخذونه قدوة في أمور الرجولة والأصول. ماذا
تعرف أنت عن الرجولة والأصول يا قطعة الكعك
حتى تكلم رجلاً صعيداً عنها؟!

ناهيك عن أن كل ذلك الحديث المتفاخر الأهل
كان مضروباً في اثنين من كثرة تكراره للكلام، وكما
لاحظت فهو مصاب بهوس بالرقم (٢) في كل شيء:
الزوجات والأولاد والبيوت والسيارات.

استمر التمرين قرابة ساعة راح يرفع خلالها من
سرعة المشاية كل بضع دقائق ضاحكاً على معاناتي،
مداعباً ذقنه أيضاً بذات الحركة المستفزة. عذبنى
ابن الأبالسة بين الجري وتمارين البطن والعقلة،
ولم أفلح في انتزاع أي معلومات منه بسبب اللهاث
والتمرين المتواصل، ثم تركني في النهاية مقتولاً
على الأرض مفرد الأذرع والقدمين في وضع
أشبه بنجمة البحر، شاعراً بأنني سأتقيأ معدتي
كلها. حاولت أن أسأله عن الساعة الروليكس لكنني
لم أستطع تكوين كلمة واحدة، فأنا بالكاد أمسكت
بتلابيب روعي حتى لا تفارق جسدي، فقط رأيته
يترك الجيم مودعاً وهو يؤكد موعد التمرين القادم
بعد غد.

محبطاً تحممت في حمام الجيم الفخم ذي الرخام
الأسود والإضاءة الذهبية والمرايا في كل

مكان، وبعد انتهائي خرجت ملفوفا بالمنشفة أغني
«سلامتها أم حسن» لأجد (مالك عز) الممثل واقفا
أمام خزائن الأمانات في الحمام مرتديا تي شيرت
رياضيا أحمر يظهر جسدا مفتول العضلات، يراقبني
باشمئزاز وهو يرتدي سماعات الأذن خاصته.
صافحته بيد مبتلة وأنا أزيد من إحكام المنشفة
حول جسدي العاري، فما كان منه إلا أن ابتسم
ابتسامته الباردة -أو بالأحرى نصف ابتسامته-
بعينيه الناعستين ثم مد يده ببطء تجاهي.

أردت أن أصفعه في الحال، أو أن أقتلع رأسه
وأجعل منه مزهرية برسيم بسبب بطئه وبروده
المصطنع، لكنني وجدت نفسي أفتح معه حديثا عن
الكومباون وآخر أفلامه التي يصورها، فيجيبني
هو بخيلاء وتعالٍ، وكالعادة يطلق على نفسه اسم
(مالك) بدلا من أن يقول (أنا). يا لك من ساذج
مغرور يا عزيزي. بل يا لك من متسلق ناقص يا ماهر
يا قفل!

على كل حال، تركت الممثل المتغطرس وعدت إلى
منزلي لأنام قليلا، وفي وقت الغروب أخذت جرعة
الأنسولين وتناولت غداء فقيرا، ثم خرجت بجسد
تصرخ عضلاته ألما في دورية أخرى عابسة باحثة
عن خيط آخر قد يدلني على التمثال غير الساعة
والمدرّب. كان الكومباون رائع الجمال في وقت
الغروب، وسمحت لي قيادتي المتمهلة أن أتأمله
وأستمتع بإمكانياته التي لم أمنحها حقها الكامل

بسبب الجريمة والتمثال، فهناك الحديقة البديعة
والتلفريك وكل تلك الشوارع النظيفة المشجرة، يا
لها من حياة ناعمة بذلت من روحي وسنين عمري
حتى أحصل عليها.

ابتسمت قليلاً في احتفال صامت بالحياة، ثم
وقعت عيني على زوج من العجايز يتحركان ببطء
السلحف، زوجة تدفع زوجها القعيد على كرسي
متحرك لكنهما متشابكا الأذرع كالمخطوبين،
فشعرت بوحدة مفاجئة تمزق نياط قلبي.

ما فائدة كل السعادة بدون شخص أشاركه؟ أين
طعم الأكل إذا أكلت وحيداً، وكيف ستكون الشوارع
الواسعة مريحة وأنا لا أمشيها بصحبة رفيق أشابه
الأيدي؟

كل تلك الأموال التي كنزتها، وكل تلك القمم التي
سعيت لتسلقها لا معنى لها وأنا أصحو على سرير
خال، أنفق كلامي لنفسي فقط وأدخر حياتي لأجل
غير مسمى. أنا وحيد ومنبوذ، ورغم خروجي من
السجن فأنا لا زلت محبوساً في معتقل الوحدة،
ورغم كل هؤلاء المتملقين الذين يقبلون يدي أو
يهللون لي بكل ألقاب الباشاوية فلا أحد يعنيها ولا
أحد يتذكرني، أنا مجرد زكينة من الأموال.

ضاق صدري وتعملق فيه الحزن، نازعتني رغبة
غبية في البكاء لكنني لم أنصع لها، وبدلاً منها اتصلت
بمرقس لأوبخه على أي سبب قد يطرأ على رأسي،

على الخادمة التي لم تأت أو مشروع متأخر أو على
الطقس الحار في سبتمبر، وبالطبع قابل مكالمتي
بكل الارتباك الفخزن في أعصابه، لكن في النهاية
مازحته وصرفت له مكافأة شكرني عليها قرابة
الخمس دقائق، وعندما انتهت المكالمة شعرت أنني
أفضل نسبيًا. إرضائي أبسط من البساطة، وكل ما
أريده فقط في من هذه الدنيا هو أذن تتلقف كلامي
بدلاً من أن يضيع في العدم.

وكان الغروب حمل بنهايته المشاعر الكثيرة خلفه
في بقجة ورحل، فما أن حل الليل نفضت عني غبار
الكآبة وشعرت بطاقة غريبة تكسوني، وواصلت
جولتي الهادئة بسيارتي رباعية الدفع بدون هدف
محدد، وحتى المسخوط وأنيس والباشا أخرجتهم
من تفكيري. فعلى كل حال لا زال أمامي بعض
الوقت، وسارق التمثال لن يستطيع أن يتصرف فيه
بسرعة ولا سهولة على الإطلاق.

في تجوالي لمحت واحداً من أفراد الأمن واقفاً
على جانب الطريق، ألقيت عليه تحية سريعة
لأجده يلوح لي بحرارة ثم يعبر الطريق ليصافحني
خصيصاً، فأوقفت السيارة ونزلت له. حياني قائلاً:
«منور يا عم ماهر».

- إزيك يا ض عامل إيه؟

- الحمد لله رضا. تدخن؟

مد لي يده بسيجارة ميريت أصفر فلم أرفضها،

أخذتها وأشعلتها وأنا أربت على كتفه ثم سألته بعد
أول نفس: «وصلتوا لحاجة في قصة الشغالة؟».

- لا والله لسه، بس شكل كده فيه عوق.

- حصل إيه؟

- ماينفعش أقولك والله يا عم ماهر، مشددين علينا
الكلام ده مايطلعش برة.

مختصرًا طريق المناهدة الطويل أخرجت من
محفظتي ثلاث ورقات نقدية من فئة الـ ٢٠٠ جنيه
بين أصابع الوسطى والسبابة ثم دسستهم في جيب
سترتة السوداء فقال: «الدنيا مقلوبة عندنا في الأمن
عشان القطة».

- قطة؟

- آه، قطة بتاعة واحدة من الملاك اتدبحت.

- إيه المحن ده؟

- ما أنا جايلك في الكلام، القطة دي اتدبحت على
الرصيف في الشارع، والكاميرات عملت زي ما عملت
عندك.

- كده يبقى اللي عمل دي هو اللي عمل دي.

- مانعرفش لسه، بس احتمال فعلاً يكون نفس اللي
قتل الخدامة هو اللي دبح القطة.

- وإنتم هتعرفوا مين إذا كانت الكاميرات مكانتش
شغالة؟

- البشمهندس شريف بيفرغ باقي كاميرات الكومباوند كلها عشان يفهم أي حاجة من اللي حصل.

سكت قليلاً أفكر في ما سمعت وأنا أداعب شاربي، ثم قلت: «وبشمهندس شريف ده يعرف يجيب لي قرار الشغلة دي لو حليت له بقة؟».

- من غير أي حلويات خالص. بشمهندس شريف يبقى ابن الباشا صاحب الكومباوند، مش ناقص فلوس.

- طب أنا عايز أقابل شريف ده.

- والله يا عم ماهر صعب شويتين، الجدع أصله مفخمها في حق نفسه حبتين ومابيقعدش مع أي حد.

خمس ورقات أخرى من فئة الـ ٢٠٠ ثم فتح سمس مرة أخرى: «بس ممكن تلاقيه بيتغدى في البلازا كل يوم على الساعة واحدة كده». ولم يكتف بهذا، بل أخرج هاتفه وأراني صورة لهذا المهندس، فشكرته وربت على قفاه ثم انطلقت بالسيارة مجددًا.

المثل القائل (معاك قرش تسوى قرش) هو خلاصة البشرية جمعاء، وأنا آمنت به وصرت من أتباعه ومريديه، فالقرش هو السيد الذي تحنو أمامه كل ركبة، وألذ شعور قد تشعر به يومًا هو النشوة الخالصة، عندما تسحب من جيبك المال فتفتح بابًا أو تغير قناعة، بل تحرك جبلًا أو تبدل طريقًا في

الحال، كالمعجزات بالضبط، وكأنك صاحب كرامات.
في صباح اليوم التالي وإلى أن تأتي الساعة
الواحدة، خرجت للتنزه مستمتعا بأجواء الخريف
في البالم تاون ودرجات الألوان الصفراء والبرتقالية
التي زحفت على الأشجار. تناولت إفطاري في
الحديقة وحاولت اصطياد بعض السمك من البحيرة
بالسنارات المتاحة هناك، ورأيت (ياسر الحسيني)
مع صديقه الجديدة التي استبدل بها الكلبة
البشرية، قطعة بشرية تموء وتتقافز في الحديقة
حول صديقها الذي كان يقرأ كتابا عن الطاقة الخفية
للموز، وهو يستلقي على الحشائش يأكل الطعام
المُغلب المخصص للأسماك.

ثم جاء ميعاد الغداء فانصرفت متجها للمطاعم
لأقابل شريف هذا، الذي يجب أن يفيدني بأي
طريقة. أريد دليلا أكثر صلابة على إدانة هشام
أكثر من مجرد ساعة روليكس، ولو أثبتت كاميرات
المراقبة وجوده في محيط الفيلا في وقت قريب
من الجريمة سيكون هذا دليلا كافيا إذا ما دمجته
مع الساعة الذهبية.

ولأن الرياح لا تأتي إلا بما لا تشتهي سفني، وردتني
رسالة من (أنيس) تُبشرني بقرب قدوم الباشا. كأك
الله كما تكئبني رسائلك يا ابن الحرام!

أسمع الصوت اللوح لدقات ساعة خفية، تقترب،
ومعها قد تقترب نهايتي. يجب أن يمدني هذا

رسالة واردة من (أنيس فيرمونت)

«جهز نفسك، الباشا احتمال ييجي بدري عن
الميعاد. فيلُتُك تنضفها على سِنجة عشرة، تقص
ضوافرك وترمي الخواتم الزبالة دي في الزبالة،
وتلبس بدلة محترمة بلاش شغل شعبان عبد الرحيم
ده. الباشا بيهتم بالكلام ده أوي».



(١٤)

شاليمار

- ريم -

لدينا في پالم تاون أربعة محلات للعطور، كلها لماركات عالمية بالطبع. خطتي ببساطة كانت زيارتهم وشراء كل العطور التي يدخل في تكوينها العنبر والمسك، ثم تجربتهم جميعًا حتى أصل إلى الرائحة التي شمممتها عند مقتل شلبي.

من الناحية المادية لم يكن الأمر صعبًا، فأنا لديّ «كريديت كارد» مفتوح لم أعد أستخدمه، كما أن الموظفين دائمًا ودودون في أي مكان بالكومپاوند، وما أهون عليهم من أن تدخل زبونة كفيفة لتستند على رف الكاشير ثم تطلب شراء كل العطور الشرقية.

للمرة الأولى منذ زمن أشعر بهذا الرضا، وپانجاز حقيقي بعدما خرجت وحدي واشتريت العطور أو طلبتها، فلم أعتمد على أحد سوى على العصا والهاتف والعلامات المحفورة من بيتي حتى المول. وسار الأمر بسلاسة باستثناء مع بائعة في أحد المتاجر أصرت على إحضار كرسي مخصوص وإجلاسي وكأنني مُسنة أو معاقة، فانفجرت فيها حتى كدت أصيبها بالصمم. أعصابي صارت قنبلة قصيرة الفتيل مغمسة في الوقود والبارود.

في المنزل، افترشت على السرير حولي ما يزيد على سبعين زجاجة عطر، تكرر فيهم بعض الأنواع والأصناف ولكني لم أبال كثيرًا، ووعدت نجاة أنها إذا ساعدتني ستأخذ كل تلك العطور، فأصابها حماس مضاعف للعثور على الوغد الذي قتل قطنا المفضل.

قسمت نجاة كل العطور إلى مجموعات، وكما أمرتها أحضرت بعض البن المطحون حتى أفصل به بين رائحة عطر وآخر، فكنت أستنشق البن بعدما يتوغل كل عطر إلى داخل أنفي وأتركه يتسرب إلى مراكز الذاكرة ويعبث بما يشاء حتى يدغدغ منطقة ما. كانت عملية أصعب مما تصورت، فمعظم العطور متشابهة بدرجة كبيرة، وبعد العطر الثامن أو العاشر التصقت روائح شتى بالغرفة حتى أن نجاة كانت تسعل كل بضع دقائق، ولكني أقسمت ألا أترك شيئًا يشتتني.

في رشة العطر السادس عشر انتفض جسدي فجأة وتجمدت مكاني، ناديت على نجاة قائلة: «that's it! هو يا نجاة»، عندما حضرت ذكرى ذبح شلبي في رأسي كمشهد من فيلم، مشهد صوره عقلي ورسم عناصره بدقة، من شارع ورصيف وأشجار، وقط يُذبح، وقاتلة تشبه شويكار لكنها ترتدي قناعًا للهوكي.

شاليمار هو عطر شرقي من إنتاج الماركة الفرنسية جيرلان، وكما عرفت من بحثي هو عطر قديم ومن

أوائل العطور الشرقية التي تنتجها ماركة عالمية، لذا
على الأرجح يعود لشمطاء من عجائز الكومبأوند.
مأخوذة باكتشافي أمسكت زجاجة العطر بحرص
وأخذت أرش منها مرات ومرات، وكأن كل رشّة
هي رصاصة أطلقها على القاتل المجهول فتتسع
ابتسامتي أكثر. قلت: «ماتعرفيش مين بيحط
الپيرفيوم ده يا نجاة؟».

- لا يا حبيبتي الصراحة ماعرفش.

- طيب أنا عندي فكرة.

وكانت فكرتي الاستعانة بشبكة نجاة الواسعة من
الخادmates وسؤالهن عن العطر، هي فكرة بسيطة
قد تأخذ وقتًا حتى تؤتي ثمرًا، ولكنه ثمر أكيد
ومضمون الطعم. اعترضت نجاة وهي تقوم بجر
وتنظيف بعض من أثاث غرفتي كعادتها في تنظيف
أي شيء طوال الوقت: «وانتي إش ضمنك إنهم
هيسمعوا كلامي وييجوا من الباب للطاق كده؟ أكيد
مش هاييجوا عشان سواد عيوني يعني».

- هم مش أصحابك؟

- وهو أنا مهبوشة جايباهم أشممهم ريحة كده مني
لنفسي؟

- قصدك إني مجنونة؟

- لا والنبي يا حبيبتي ما قصدي، بس يعني دول
ولاد لذين كلهم، فلبينيين ولأ مصريين ما يملاش

عينيهما إلا التراب.

- يعني إيه؟

- يعني لو فيها قرشين مش هيسألوا ولا نيلة، كل واحدة تاخذ اللي فيه النصيب وتتكل على الله.

- ماشي أنا ما عنديش مشكلة إدي كل واحدة عشرة عشرين ألف، بس still هنقول لهم إيه؟

سكتنا قليلاً نفتش عن حجة أو عذر مقنع للخادومات كي لا نشير الشكوك، حتى قالت نجاة وهي ترش المزيد من العطر على جسدها: «لقيتها لك خلاص. أنا هقولهم إن مدام سلوى شاكة إن فريد بيه بيخونها مع واحدة من الهوانم هنا، وإنها بتلاقي الريحه دي فايحة منه كل ما بيبجي، الحرايق دول يموتوا في خراب البيوت».

ابتسمت وأنا أستمع لكلام نجاة، ثم فردت ظهري على سريرى شاعرة ببعض الراحة، وبأمل أن الأمور ستتحسن أخيراً.

بالفعل في غضون ساعات كانت نجاة قد جمعت أغلب خادومات الكومپاوند من صديقاتها بعد وعد بخمسة آلاف جنيه للواحدة مقابل اختبار بسيط متبوع بالكتمان: «هل تضع سيدتك من هذا العطر؟». وبعد عشرات الرشاشات من عطر شاليمار في مطبخ المنزل الذي زارته الخادومات تباغاً، توصلنا إلى ثلاثة أسماء.



جريمة جديدة

- ماهر -

كان المهندس شريف يجلس وحده على طاولة في الفوودكورد الخاص بالبلازا، أمامه شطيرة برجر وبعض البطاطس المقلية وكوب كرتوني كبير يحتوي على مشروب غازي، وفي أذنه سماعات وهو يشاهد شيئاً ما على شاشة هاتفه.

كبلدوزر البلدية اخترقت صمته بلا مقدمات وسحبت كرسيًا من كراسي طاولته، فانتفض وقلب هاتفه على وجهه، ثم حرك رأسه في إشارة منزعجة ذات مغزى وهو ينزع سماعات الأذن، فقلت: «السلام عليكم».

- أهلاً!

- بشمهندس شريف؟

- أيوة.

- محسوبك ماهر الأسيوطي، المالك الجديد.

- أهلاً بحضرتك، أقدر أساعدك؟

لم يلفت الاسم انتباهه على ما يبدو، فتحركت في الكرسي للأمام قليلاً وقلت بعد نحنة: «وصلتوا لحاجة في قصة الشغالة اللي اتقتلت في فيلتي؟»، فرفع حاجبيه عاليًا للحظة في إدراك

سريع ثم تغيرت ملامحه لتصير أكثر احترامًا ولطفًا
كأي صاحب محل تعرض زبونه لمضايقات، وقال
بدبلوماسيّة: «لسه بنحاول، بس قربنا نجيبه إن شاء
الله».

- تعالى لي عالدوغري يا هندسة.

- أفندم؟

- إنتم ولا قربتوا ولا نيلة والشغلة دي كلها
حمصاني.

- ليه حضرتك بتقول كده؟ إحنا الجهاز عندنا أكفأ
من أي شرطة.

- والنبي وحياة والدك كفاية، أنا سمعت الأسطوانة
دي ١٠٠ مرة.

- أنا بوعدك يا فندم الموضوع هيخلص في أسرع
وقت.

- طب من الآخر كده ومن غير مناهدة، أنا عايز
أشوف الكامرات.

- الكاميرات؟

- آه، بدل ما أعمل لكم فضيحة برة وأروح للحكومة
اللي بجد.

مبتسمًا تراجع في مقعده وهو يرمقني بنظرة
مؤدبة، فرأيته بصورة أوضح. كان شابًا وسيقًا نوعًا
ما، وإن ظهرت عليه بعض معالم الميوعة متمثلة

في شعر أسود كثيف ومنظار طبي بلا إطار، وساعة
ذكية ذات لون أخضر فاقع.

قال وهو يمرر يده عبر شعره الكثيف: «من غير
شوشرة ولا أي كلام من ده، المسألة مسألة وقت
مش أكثر.. أنا كان معايا مهندس ثاني بيساعدني
بس خد أجازة بقاله أسبوعين، عشان كده أنا طولت
بس».

- إوعى تكون فاكرني راجل بريالة من اللي
عايشين هنا يا هندسة وهتضحك عليه بالكلمتين
دول. أنا راجل مقاول.

- مقاول؟ مش حضرتك دكتور؟

- طبيب مقاول، رتبة زي طبيب مساعد كده.

- آه.. sorry أنا ماليش في الطب أوي الحقيقة.

- لا إزاي بقى. ماينفعش بشمهندس متعلم زي
حضرتك مايعرفش أساسيات الدنيا وعضمها.

أحتاج إلى أن أطبع كلمة طبيب على كف يدي
حتى لا أكرر هذا الحديث الحامض بعد الآن. ثم
كيف انتقلت معلومة أن المالك الجديد طبيب بهذه
السرعة بين الجميع؟ ألا يختلف هذا الكومباون
عن مركز من مراكز أبو حمص في تناقل الشائعات
والأخبار واللت والعجن؟! على كل حال ابتسم
شريف ابتسامة بسيطة وقال: «أنا معنديش مانع
حضرتك تشوف الكاميرات طبعا، بس ممكن أعرف

ليه؟».

لحسن الحظ كنت قد حضّرت كذبة مسبقة على هذا السؤال، فأخبرته أن القاتل سرق من منزلي صندوقًا يحتوي على تذكارات خاصة جدًا تخص المرحومة والدتي، وبأنني لم أخبر الشرطة لأنني رجل صعيدي لا يترك الآخرين يثأرون له أو يستردون حقه. وللمفاجأة بدا عليه الاقتناع في التقاء حاجبيه بجدية، فقال لي إن بإمكانني زيارته في مكتبه بوحدة الأمن، الساعة الثامنة مساء اليوم لمشاهدة تسجيلات كاميرات الكومباوند كلها ليلة الجريمة كما يفعل، ومحاولة تكوين صورة أوضح لما حدث.

تقع وحدة الأمن بمنتصف الكومباون، وهو مكان متطور يتم دخوله ببصمات الأعين والأصابع والليزر وكل تلك الخزعبلات. أدخلني هو إليه بعدما انتظرنني أمام الوحدة ببشاشة لم أتوقعها، وببطاقتة الخاصة -التي فكرت في نشلها- مررنا عبر الإجراءات الأمنية بسلاسة وسرنا خلال الردهات الرخامية المطعممة باللون الأبيض، والزجاج، والشاشات الإلكترونية، حتى وصلنا إلى مكتبه المنعزل نسبيًا.

هناك جلست معه بعد أن تجاذبنا في الطريق أطراف الحديث حول رأيي في الكومباون وأماكني المفضلة هنا، ثم عرض عليّ بعضًا من البسكويت ومشروب الكاموميل الساخن الخاص به.

كان شابًا طبيعيًا عكس ما توقعت، وخدمًا إلى أقصى درجة، رغم ما يوحى به شعره الطويل. وبعد فاصل الكلام الحميمي الذي يفتح الأبواب ويوطد العلاقات، أدخلني إلى غرفة مظلمة تحتوي على ما يقارب الألف شاشة عرض، وهو ما أصابني بصدمة، فضحك شريف ما إن رأى التعبير على وجهي وقال: «الكومباوند فيه فوق الألف وميتين كاميرا يا دكتور. شد حيلك».

وقبل أن يتمكن مني اليأس قال صاحبًا كرسيًا بجوار كرسیه الجرار: «بس لحسن الحظ إحنا مش هنشوف كل دول، إحنا عايزين بس كاميرات منطقة C مكان ما حضرتك ساكن، specially الكاميرات من واحد لحد تلاتين، دي دايرة أظن كفاية عشان ندور فيها».

تحرك بكرسيه ناحية جزء معين من الحائط الضخم الذي يحمل الشاشات، ففعلت مثله، ومن على جهاز الكمبيوتر أمامه بدأ يستعرض تسجيلات لبعض الكاميرات وهو يحتسي الكاموميل كل بضع دقائق، ثم سألني مبتسمًا: «تحب تسمع إيه عشان ماننامش من الملل؟ تسمع bohemian rhapsody؟»، فأومأت برأسي مدعيًا المعرفة التامة، ليضع أغنية أجنبية ويتركها تلعب في الخلفية.

في البداية عرض تسجيلات الكاميرات الخاصة بفيلتي والجزء الذي يحيط بها من الشارع، ثم قال

مشيرًا للشاشة التي لم تعد تعرض سوى خربشات استاتيكية سوداء وبيضاء: «زي ما حضرتك شايف، إرسال الكاميرات في محيط الجريمة كله كان مقطوع وماقدرناش نشوف أي حاجة، عشان كده دلوقتي بنفرغ كاميرات تانية بعيدة».

ومن هنا كان الأمر غاية في الملل. فظللت أدقق بصري في الشاشة اليتيمة أمامي والتي عرضت مقاطع من كامرات مختلفة، شاهدت فيها مناظر شبه ثابتة، لا تقطعها بين الحين والآخر إلا سيارة أو زوج من السائرين، حتى بدأ النعاس يتمكن مني. هذا الأمر جبل مستحيل التسلق.

لكن قبل أن أسقط في هوة النعاس، لفت نظري اختلاف في إضاءة المكتب المظلم، فرفعت بصري إلى حيث مصدره: على بعض الشاشات التي كانت تنقل إرسالًا مباشرًا للكامرات من المنطقة B اختفى الإرسال وحل محله خربشات استاتيكية سوداء وبيضاء، ولم يأخذ الأمر مني وقتًا حتى أدركت، ونظرت أيضًا لشريف قائلاً: «إلحق، الكامرا دي بتعمل زي ما عملت عندي».

قال وقد فغر فمه قليلًا: «تقريبًا فيه حد بيتقتل دلوقتي».

الطريق إلى القاتلة

- ريم -

الأسماء الثلاثة كلها كانت تعود إلى نسوة في العقد الخامس أو الرابع من العمر، نيللي وإيزيس وميرفت. الاسمان الأولان كانا لمالكة وساكنة هنا في الكومباوند، نيللي العاهرة المصطنعة التي تظن أنها في بداية العشرينيات من عمرها، والثانية هي إيزيس العجوز زوجة الطبيب المتقاعد القعيد في الكرسي المتحرك، وهما زوج من الغربان الانطوائيين لا يتكلمان مع أحد ولا حتى مع بعضهما بعضًا، فقط تراها تدفع كرسيه هنا أو هناك في صمت تام.

أما ميرفت فهي حالة غريبة نوعًا ما، لأنها ليست من سكان الكومباوند لكنها دائمًا هنا بصفقتها عشيقة جميل العناني السرية\المعلنة. جميل العناني وجه مألوف طالما ظهر على الشاشات وتصدر الصحف، كان رئيسًا لاتحاد الكرة لمدة ليست بالقليلة قبل أن يستقيل بسبب تهمة الفساد ويتولى إدارة نادي (بالم تاون) المنضم حديثًا للدوري المصري. وميرفت هي رفيقته -كما يقال- منذ سنوات لكنه يخبر الجميع أنها أخته، ويبرر اختلاف الأسماء بأنها أخت غير شقيقة، وأن زياراتها له كل ثلاثة أو أربعة أيام هي للاطمئنان عليه والطبخ له، الطبخ بالطبخ.

لو كان هناك اسم واحد أميل للشك فيه فهو
ميرفت، فهي عصبية عالية الصوت وكثيرة الصراخ
والشجار مع أخيها\عشيقها، وحتى الخادمة في
منزله تتغير كل بضعة أشهر بسبب سوء معاملة
ميرفت لها، كما أن اسم عائلتها هو (الفيل)، ما أكثر
الأفيال في هذا الكومپاوند!

تقول خبرتي في عوالم الجريمة والروايات
البوليسية أن قاتلاً مثل ميرفت نفذ جريمتين على
الأرجح سينفذ الثالثة والرابعة، وأن بعض الارتياب
والعصبية الزائدة سيعتريان سلوكها، كما أنها قد
تعود وتحاول إخفاء دليل من الأدلة التي تسرعت
وأخفتها بإهمال، بل قد تخطط وتنفذ لجريمتها
الجديدة وأنا أراقبها. أشعر وكأنني أجاثا كريستي
تكتب رواية جديدة وأنا أضع كل تلك النظريات.

أما حول كيف سأراقبها، فقررت الاستعانة بأحد
التطبيقات التي تقدم خدمة لمساعدة المكفوفين
في الأعمال المنزلية من خلال متطوعين على
الإنترنت يقودونهم عبر كاميرا الهاتف. كنت أعرف
أنني سأواجه بعض الصعوبة في إقناع أحدهم من
المرّة الأولى بأنني في رحلة انتقامية سأقوم فيها
بمراقبة ثلاث نساء مشتبه فيهن من أجل قطي
المقتول، لذا كنت أمل أن يقع في طريقي رجل
أوروبي أبيض من إفرازات العالم الأول، لأن ببساطة
متطوع من أي دولة غير مرفهة سيرى الأمر كله دربًا
من حماقة أو الجنون وربما سينشر حالتي على

التيك توك.

وبالفعل كما توقعت أخذ الأمر وقتًا أطول من اللازم، ورغم أن جاءني متطوعون من إيطاليا واليابان وهولندا كما أملت، لكن لم يوافق أحد على مراقبة شخص آخر أيًا كان ثبل الدافع، حتى بعد صياغتي للمهمة بأكثر الطرق تعقلًا وتهذيبًا، فكنت أقول:

«ما سأطلبه قد يبدو غريبًا بعض الشيء، ولكنني أريدك في مهمة نبيلة. لقد قُتل قطي العزيز وصديقي الوحيد، اسمه كان شلبي -وهنا كنت أتصنع البكاء قليلًا- وكل ما أريده هو أن نراقب المرأة التي ذبحته بيديها حتى أجد ما أقدمه للشرطة كي لا تفلت بفعلتها».

فأجابني رشدي أباطة الهولندي، الذي كان بالطبع أشقر وله أنف معقوف قليلًا: «عذرًا سيدتي ولكن هذه فعلة لا أخلاقية على الإطلاق. ربما يجدر بك التوجه إلى الشرطة على الفور وسيقومون هم بالتحقيقات اللازمة»، وكأننا هنا في بروكلين يا غبي! خارج أسوار هذا الكومپاوند قد يُقتل رجل بالغ في الشارع ولا يرمش للمارة جفن، فما بالك بقط رمادي صغير؟!

وقالت لي شويكار يابانية وهي تأكل شيئًا ما زاد من رداءة إنجليزيتها: «هذا لا يبدو قانونيًا. عزيزتي باتمان لا يوجد إلا في القصص المصورة»، باتمان

هذا هو الوحيد الذي قد يُنقذك لو طالتك يداي،
وهذا ما أخبرتها به لكن بطريقة غير مهذبة على
الإطلاق تتضمن السباب بالآباء والأمهات حتى
تبادلنا الشتائم وأغلقت المكالمة. ما الذي حدث
لأخلاق اليابانيين؟

في النهاية قررت الخروج معتمدة على عزيزتي
نجاة رغم أنني لا أثق بكتمانها للأسرار، لذا لم أخبرها
ما أنا بصدده بالضبط لكنني أقنعتها أنني أريد
الذهاب لحديقة الزن الواقعة في البارك لحضور
جلسة من جلسات الاسترخاء بسبب معاناتي مع
اضطراب التحكم في الغضب. كان غطاء مملاً لا
بد منه لمهمتي الأساسية حتى لا تدرك نجاة أنني
سأراقب ميرفت، فتخبر أُمي التي قد تخرب كل
شيء.

حديقة الزن هو اسم يُطلق في الأساس على نوع
من الحدائق اليابانية صغيرة الحجم والمساحة
والتي تتكون من عناصر مثل الحصى والرمل
والصخور، مع تواجد شحيح جدًا للماء أو الزروع،
وهو ما يناقض تمامًا حديقة الزن هنا واسعة
المساحة عديمة الرمال أو الصخر، والتي تنثر في
مساحاتها الخضراء أشجار الكرز اليابانية ذات اللون
الوردي. لا رابط بين الحديقة هنا وحدائق الزن على
الإطلاق، ولكنه اسم رنان له وقع يوحى بالأصالة
واليابانية، مجرد غطاء براق لا يعكس ما يعنيه
بالضرورة، ككل شيء هنا، ففي بالم تاون ومثيلاتها

الكل يطارد العنوان، الكل يطارد الصورة ولا يهتم بما ورائها.

خرجت مع نجاة طالبتين واحدة من سيارات الجولف المتناثرة في الكومپاوند، عن طريق جهاز التحكم، وفي أقل من عشر دقائق كنا قد وصلنا إلى الحديقة الصغيرة الموجودة بداخل البارك. هناك جلست القرفصاء في بقعة مخصصة مع أربعة أو خمسة متدربين أمام خديجة التهامي، عارضة الأزياء المعروفة والمدربة الخاصة بتمارين اليوجا والاسترخاء، التي كانت صديقتي قديمًا قبل الحادثة.

نقطة مهمة في شخصية خديجة، هي أنها من المعاتيه الذين يؤمنون بالطاقات الروحانية والشاكرات والأرقام الملائكية وكل هذا الجنون، فهي دائمًا ما ترتدي قلادة أو مجموعة قلائد للطاقة، ولا تأخذ أي خطوة في حياتها قبل أن تقوم بعملية manifestation. الطاقة الروحية كانت حجتها لتترك (ياسر الحسيني) المبرمج العملاق ببساطة بعد علاقة استمرت سنوات، رغم أنهما كانا زوجًا من المعاتيه المناسبين لبعضهما تمامًا.

نقطة أخرى مهمة، أو سطر على الأرجح، هو أن وزنها الذي يربو على الـ ١٢٠ كيلو، هو جزء ضخم من شخصيتها التي تتمحور حول تقبل الجميع والإيجابية الجسدية، فاصطادتها ماركات عالمية تعتمد على ثقافة التضمين والقبول لتصبح عارضة

أزياء plus size ثم تطور بها الأمر إلى عدم حلاقة شعر إبطها أو جسدها كدعم منها لقضايا القبول والتقبل. يدور كل ما تنادي به خديجة حول أن تحب نفسك بشحومك وكوليسترولك وأمراض قلبك، لكن المثير للسخرية أن خديجة نفسها كانت عنصرية محترفة تجاه السود والفقراء والآسيويين وربما حتى السلاحف.

لحسن الحظ لم تطل جلسة اليوجا كثيرة التعليمات الساذجة، وبعد انتهائها قالت خديجة وهي تطرد زفيرًا عميقًا: «لو فيه حد هنا مش لابس necklace الأحجار اللي قلت عليها يا ريت يجيبها المرة الجاية عشان بدأت أحس بطاقة مش كويسة».

ابتسمت بسخرية لا إراديًا عندما سمعت الحوار الدائر بين كل الموجودين تقريبًا، الذين أقسم بعض منهم وهم يللمون حاجياتهم أن القلادة غيرت حياته وأنقذته من صفقة خاسرة في عمله أو من حادثة في الطريق. وبينما ناديت على نجاة حتى تأتي وتأخذني، شعرت بيد ناعمة تمسك بمرفقي، ثم صوت خديجة يقول: «هاي ريم، بقالي كتير ما شوفتكيش».

- خديجة هاي.. مشغولة شوية آه.

- محتاجة مني مساعدة في أي حاجة؟ إحنا أصحاب.

- لا ميرسي جدًا.

توقفت عن الكلام قليلاً لما لم تجد ما يقال، ثم تحول صوتها إلى نبرة مرحة:

- عارفة؟ عملت تاتو جديد بيقول «السلام.. السلام».

- فكرت أنا كمان أعمل واحد بيقول «عباسية رمسيس».

- ريم إنتي مش كويسة خالص. ممكن أعرف ليه؟

- لا مافيش، يمكن عشان نظري ضعف شوية.

- بتتريقي عليا؟ بدل الـ anger ده حاولي تتكلمي.

- أنا كويسة.

- لا يا ريم، أنا حاسة بطاقة سلبية كبيرة خارجة منك.

- دي ريحة عرقي بس.

- حبيبتني استخدامك للـ sarcasm دليل على إنك مجروحة جدًا.

- أو على إن دمي خفيف جدًا.

ارتفع بيننا صمت محرج لم يخل من أصوات الحاضرين في الخلفية وهم يتبادلون أحاديثهم الجانبية، ثم قالت خديجة والهواء الخريفي يتلاعب بخصلات شعري: «جربتي الـ manifestation قبل كده؟».

- لا، الحقيقة باخد كل قراراتتي من بنك الحظ.

- manifestation مش نكتة يا حبيبتي، لولاه
ماكنتش بقيت أهم موديل عند ديور ولا كنت لاقيت
مروان الـ soul mate بتاعي.

- يعني أنا ممكن نظري يرجع لو قعدت أمانيفست
عينين خضرا قمامير كده؟

- بليز كفاية هزار. أنا مش واحدة عبيطة ولا جاهلة
من أهالينا الجمال، إنتي بتكلمي أول وأهم plus
size model في مصر.

- إنتي لسه تخينة زي ما إنتي؟

- ريم الكلمة دي مش كويسة وبطلنا نستخدمها
خلاص.

- بقى اسمها إيه طيب؟ شاسعة المساحة؟ ولاية
تكساس؟

- أتمنى تبطلي الـ hate speech دي عشان بتأثر
عليكي إنتي مش على الناس.

بيدها ربتت على كتفي في رقة مصطنعة، وقالت
بصوتها الناعم: «محتاجين نقعد نتكلم. إنتي ممكن
تكون مش حابة دة، بس إنتي محتاجاه. أنا موجودة
هنا most of the time».

لماذا إذن لم تأتي لزيارتي ولو لمرة واحدة يا أيتها
المنافقة لماذا لم تتصلي بي حتى لتخبريني بكل

ذلك الكلام الأجوف؟ وقبل أن أسبها أو أصرخ فيها
جاءت نجاة لتنقذني من تلك المجنونة وكلامها
الثلجي، فودعتها بلا اكتراث.

على كل حال، لا أنكر أن خروجي في الغروب
والجو المعتدل حسن من مزاجي قليلاً. أخبرت
نجاة أنني أرغب في تمشية طويلة نوعاً ما حول
الكومپاوند حتى لا تشك في خطتي إذا ما بدأت
أسألها عن ميرفت أو طلبت مراقبتها. أنا أعلم أن
نجاة ذكية وقد تفهم غرضي، خاصة أن فيلا جميل
العناني بعيدة عن منزلي ولا تقع في الطريق له، لذا
لم أمانع في تمشية طويلة رسمت مسارها في رأسي
حتى يبدو الأمر سلساً ومنطقياً.

أخذنا الطريق من البارك إلى البحيرة التي تصح
سماعاتها طوال الوقت بأغان وموسيقى عذبة،
وأنا أترثر مع نجاة في مواضيع شتى، ثم عبرنا
إلى الضفة الأخرى من البحيرة في زورق صغير
مخصص للتنزه والتنقل، فدأبت سطحها المائي
البارد ونحن نعبرها، وعلى وجهي ابتسامة غافلة
سرعان ما تقطعت إلى أشلاء صغيرة عندما تذكرت
كم من مشاهد كبيرة أو تفاصيل صغيرة في هذا
العالم لن أراها أبداً، وفي قلبي انغرس خنجر آخر،
لكن لا وقت للرتاء قبل أن أنتقم لقطي العزيز.

جعلت نجاة تبتاع لنا شطيرتين هوت دوج
الأمريكي من إحدى شاحنات الطعام، فشعرت أن
العالم مكان أفضل نسبياً، وكفت نجاة تمامًا عن

التذمر أو اقتراح طرق مختصرة لأن قدميها آلتاها،
حتى أخبرتنني أنا اقتربنا جدًا من المنطقة التي
تقع فيها قايلا (جميل العناني) عشيق ميرفت حيث
سأباشر تحقيقي.



(١٧)

علاقة ثلاثية

- ماهر -

فيلا (جميل العناني) بالتحديد كانت الفيلا التي انقطع الإرسال عنها، بالإضافة إلى محيطها من الكامرات. ارتفع الحماس مع ضربات قلبي، فتخميني متوافق مع تفسير شريف والمنطق، وعلى الأرجح هناك جريمة قتل ثرتك في فيلا جميل العناني، الآن.

بسرعة خرجت مع شريف الذي حاول الاتصال برجال الأمن ولكن لم يجبه أحد، كما لم تظهر على شاشات أجهزة تحكمنا أي سيارات جولف متاحة! فصاح شريف أن نركب سيارته وهو يجري صوبها، وتبعته أهرول كالخرتيت السمين. عندما سألته لاهثًا ونحن نركب لماذا لا يرد رجال الأمن؟ أخبرني وهو يضغط دواسة الوقود أن أغلبهم في ساحة الحفلات خارج الكومباوند لتأمين حفل مطرب أمريكي شهير، لذا انطلقنا وحدنا تقريبًا في شوارع الكومباون شبه الخالية، وبأقصى ما أمكنه من سرعة قاد سيارته، حتى وصلنا إلى فيلا جميل العناني.

بدا كل شيء طبيعيًا من الخارج، وحتى الكامرات التي تعطلت عن العمل كانت تعمل ومؤشرات كلها مضيئة! تبادلت مع شريف نظرات مرتابة قبل أن

يقول: «النور منور جوة، تعالى نخبط».

فقلت ونحن نعبر الحديقة الصغيرة إلى الباب: «من غير ما نخبط، نكسر أمه». ولكننا لم نحتج لكسر أي شيء، فالباب كان مواربًا بالفعل ولا يحتاج سوى إلى دفعة بسيطة لينفتح، مما عبث بأعصاب كل منا، وألقى الرعب في قلبي. ولكن على الرغم من ذلك استجمعت شجاعتي ودخلت.

بعد خطوات بسيطة للداخل ظهرت لنا آثار معركة صغيرة في غرفة المعيشة: سجاد مبعثر، زجاج مكسور، وجثة خادمة سمراء زينتها رصاصتان. كان المنظر كافيًا لكي يصيبني بسكتة قلبية مؤقتة، ليس لأنني أخاف الجثث والدماء، بل لأن القاتل قد يكون خلف هذا الستار أو تحت تلك المنضدة وجاهزًا بطبنجته حتى يزرع في رأسي طلقة أخرى، لذا أمسكت بعصا جولف موضوعة في سلة بجوار الباب، وحملتها في وضعية أقرب للنبوت وأنا أقترّب بحرص من المطبخ، بينما أفتش ببصري عن أي علامة لوجود القاتل، لكن قال شريف بهدوء وهو يشير للباركيه الخشبي على الأرض: «مافيش حد هنا. هرب».

وعلى الأرض حيث أشار، رأيت مجسمًا لناب فيل كبير من العاج، وآثار حذاء دامية. نحو أربع أو خمس خطوات مغمسة في الدماء وتتجه إلى باب المنزل خارجة، ثم تختفي وسط الحشائش في الحديقة الخارجية. بالخارج وقفنا نرمي بأبصارنا

أينما استطعنا في الشوارع الليلية الخالية وسط
الضوء الأبيض الرشيق لمصابيح الإنارة المتناثرة،
ولكن كل العلامات على فيلنا الهارب ذابت وتحللت.

لم يستغرق الأمر وقتًا كثيرًا حتى حضر المتاح
من أفراد الأمن، وبسرعة امتلأ المكان داخل الفيلا
وأمامها بهم. نُصبت شرائط مسرح الجريمة الصفراء
وانتشرت الأضواء الحمراء والزرقاء على الأوجه
والأسطح، وبأدب جم طلب مني شريف أن أرحل
حتى يمارسوا عملهم، وقال إنه هو نفسه سيتركهم،
ثم ذهب ليكرر نفس الحديث على الأرجح مع شابة
عمياء تقف على بُعد من المنزل بصحبة خادمة لها
جسم فائر ووجه حسن، حسن إلى درجة أثارتني
بشدة لكن لم تسمح حالتي المزاجية للمحاولة معها.

قبل مغادرتي واثنتي فكرة، فتسللت من بين أفراد
الأمن-الذين يكونون لي معزة خاصة الآن- وخلصة
أخذت بهاتفي صورة لآثار الأقدام على الأرض حتى
أطابقها مع حذاء هشام في الجيم. لا أنكر شعوري
ببعض الحماس وأنا أقرب خطوة بخطوة من سارق
تمثالي، ولكن ماذا سأفعل لو كان هشام فعلاً؟ هذا
الدب-أو الفيل- بإمكانه أن يمزقني إربًا بيديه، ومن
جثتي يصنع أشهى صواني الكباب، ولكن حتى لو
كان القاتل آخر غيره فالجميع في هذا الكومباون
يتحصنون بما هو أقوى من المال، والوصول إليهم
يحتاج إلى اختراق طبقات وطبقات من جلد
الوساطة والعلاقات السميكة حتى تستطيع أن تمس

فقط أي نقطة حساسة لديهم.

لم يزرني النوم ليلتها رغم تناولي للأنسولين وقرصين من المنوم وأكلي لصحن مسقعة معتبر، ولم يكن أرقى هذا نابغًا إلا من عدة أسئلة أهمها كيف عرف هشام أن هناك تمثالًا بهذه القيمة في فيلا لم تسكن بعد؟ ولماذا يقتل الشغالات دونًا عن غيرهن؟ على كل حال في جعبتي ساعة روليكس وآثار قدم سيساعداني غداً على التأكد.

ثم تذكرت نيللي، ماذا عنها؟ لماذا لا تزورني ولا تكلمني؟ بالتأكيد هو دلال النساء، على الأرجح هي جاهزة وتنتظر زيارة من فارسها الصعيدي في أي لحظة، ترتدي قميص نوم حريريًا وردي اللون يشف عن نصف جسدها، لكنها نائمة الآن. أم أنها مستيقظة؟ هؤلاء الملاحين يسهرون للفجر وينامون في الصباح، لذا لا ضير من المحاولة وطرق بابها الآن.

استجمعت طاقتي النابعة من الأرق والشهوة وقطعت خطوات الصالون في شبشب وجلباب، شافطًا كرشي، حاملاً ابتسامة واثقة على شفتي، تبددت في الحال عندما فتحت بابي فرأيت باب فيلا نيللي ينفتح كاشفًا عنها وقد التف جسدها حول رجل ما، وهي تلتهم فمه التهامًا بينما يخرجان.

كانت ترتدي قميص نوم بالفعل، لكنه يختلف كليًا

عن الذي تخيلته، أسود فاضحًا يظهر مساحات
شاسعة من فخذها وصدرها، وبعد قبلة استمرت
قراية الثلاثة أيام عمل انفصلا أخيرًا ليظهر وجه
(مالك عز) الممثل في ضوء القمر، بنفس النظرة
الناعسة والملامح الباردة.

بسرعة اختبأت خلف واحدة من أشجار فيلتي
حتى لا يلمحاني وأنا أتابع هذا الوضع الغريب، لكن
الأغرب كان خروج رجل آخر من الداخل مزورًا أزرار
قميصه الذي وارى جسدًا دائريًا وسميئًا، ومع بعض
التدقيق أدركت أنه أحد عمالقة المقاولات المشاهير،
الذي عاجل نيللي بقبلة من رقبتها ما إن فرغت من
(مالك) حتى ارتمت في حضنه على الفور. ما الذي
كانوا يفعلونه؟ لا أعرف بالطبع، ولكنهم بالتأكيد
لم يكونوا يحيكون الشرابات الصوفية لأطفال
الشوارع، هناك آثار سُكَّر ومجون واضحة على
ثلاثتهم، واللمسة الفميضة للضعف الذي يتلو الجنس
واضحة عليهم جميعًا، يا أولاد الأفاعي!

مشاعر عدة تزاхمت في داخلي، أقواهم كان
حقًا عظيمًا تجاه الممثل البارد عديم الموهبة
الذي لم يعرف طعم التعب في حياته وفُرشت كل
طرقه بالورود، فقط لأنه يمتلك طابع حسن. هناك
أيضًا غيرة تجاه نيللي، لا أحبها بالطبع، ولكن كانت
لمساتها في حفل عيد الميلاد مثل وعد بدخول
الجنة، وكأنها تبصم بأيديها على إسمنت طري لم
يُمس من قبل. لا زلت أشعر بأصابعها الأرستقراطية

الناعمة حول معصمي تهمس في رغبة خالصة، بلا طمع في مال أو جاه، أنها تريدني أنا، ليس لكوني باشا أو صاحب حساب بنكي ضخمة وإنما لكوني ماهر فقط، وهو ما لم أحصل عليه قط في حياتي. أم أنني كنت أتوهم لمساتها كالمحروم؟ فأنا محروم، بالفعل.

السبب الرئيسي في رغبتني بتشغيل خادمة لم يكن النظافة أبدًا وإنما الجنس، أريد طريقًا مختصرًا حتى أشرب من هذا النهر الأسطوري الذي نهل منه الملايين ولم يشبعوا منه أبدًا، فالشهوة بداخلي كبرت وتعاظمت خلال سجنني كثنين عملاق ولا أجد من تستقبلها، ورغم محفظتي المتخمة التي تمكنني من شراء أي عاهرة وقضاء ألف ليلة وليلة حمراء فأنا أمتعض من البغاء منذ صغري، أكره وأشمئز من فكرة شراء امرأة بالأموال لا تختلف عن الجثة الميتة، أريد من تريدني، أريد الرغبة المتبادلة، وهو ما لم أجده أبدًا.

راقبتهم من بعيد حتى تفرق كل واحد نحو بيته، وشاهدت نيللي الثملة وهي تشير بالريموت إلى كاميرات فيلتها حتى تعيد تشغيلها بعدما أغلقها طواعية حتى لا يذاع سرها. كانت جميلة وطويلة، تترنح في نور القمر بقميص نومها الأسود فبدت كجنية ما أو ملاك سيئ الخلق، أثارتني، ولكنني عدلت عن فكرة زيارتها وخرجت لأتمشى في الشوارع الواسعة الخالية، حاملاً معي زكائب من

الغضب والحنق.

هناك شيء مقبض في ليل هذا المكان، فكرت وأنا أتمشى. هناك سر في خلوه من الحياة، وكأن بداخله قُتلت ألف نفس، أو أنه هو نفسه قد طعن مرارًا وتكرارًا حتى صار جيفة هامدة. رغم النظافة الشديدة للشوارع، رغم سيارات الجولف والأتوبيسات الإلكترونية والكاميرات وأجهزة التحكم، هناك عفونة تحت السطح بدأت تفوح رائحتها.

في الصباح تجاهلت مكالمات مرقس والمقاولين والأرقام الغريبة واتصالًا فائتًا من (أنيس) الكلب، وتوجهت للچيم كما المذنب الغاضب عازمًا على كشف الدب المسمى هشام سريعًا حتى أحصل على تمثالي وأنتهي من كل هذا. كان المكان مزدحمًا أكثر من ذي قبل، ربما لأنني ذهبت مبكرًا، فرأيت المذيعة ريهام رزق صاحبة الخادمة التي قتلت في بيتي، ورأيت عارضة الأزياء البدينة خديجة التهامي تتمرن مع صاحبها المائع -الذي يعاني الأنيميا الحادة- في رومانسية مقززة ويتبادلان القبل عند كل جهاز ممكن.

وفي الميعاد بالطابق الثاني رأيت مدربي والقاتل المحتمل ذا الساعة الروليكس حاضرًا وجاهزًا لتمريني، بينما أنا عازم بشدة على الخروج بالحقيقة تلك المرة.

لكن وصلتني الإجابة في رسالة على هاتفي، بمثابة
صفعة تدمر كل شيء!



محمود من جديد

- ريم -

ميرفت هي القاتلة بكل تأكيد! لا يمكن أن تكون
صدفة على الإطلاق، أن أذهب لأراقب صاحبة
العطر والمشتبه بها في منزلها، لأجد خادمتها التي
وشت بها قد قتلت!

كاد الحماس يعصف بي وأنا أقف مع نجاة بعيدًا
عن القيلا ورجال الأمن، أسألها عما يحدث فتصف
لي المشهد من سيارات نجدة وأفراد أمن يتحركون
في كل اتجاه، لقد سبقتهم الكفيفة وحلت اللغز
بالرغم من كل تلك الأعين.

بعد بضع دقائق أتى أحد مختصي الأمن في
الكومباوند ليطلب مني بأدب أن أخلي المكان
أنا ونجاة لأنه مسرح جريمة، وأنهم سيقومون
بتوصيلي بأنفسهم حتى باب المنزل، لكنني رفضت
بأدب وقلت مازحة أنني مجرد مالكة عمياء لن ترى
أي تفاصيل قد يضرهم تسريبها، وتعمدت وضع كلمة
(owner) وسط كلامي لأنها هنا بمثابة صفة في
وجه أي قانون وخط أحمر لا يمكن لأحد تعديه،
فتركنا وذهب.

ثم سمعت صوتًا من خلفي أطلق شرارة كهربائية
في جسدي، وانتفض له قلبي. كان رشدي أباطة

الذي قابلته عند البئر بجوار C16 منذ أيام. نادى
باسمي فالتفت له، ثم ربت على ذراعي في حنو
وهو يقول: «عاملة إيه؟»، فقلت بصوت تهدج من
التوتر والمفاجأة: «محمود! I am fine وإنت؟».

- كويس.

- دي نجاة صاحبتي والهأوس كبير بتاعتنا.

- إزيك يا نجاة.

ثم أتانا صمت منطقي لنصف دقيقة قبل أن
يعتذر من نجاة ليأخذني في حديث جانبي منفردًا،
فابتعدت نجاة لتتركنا سويًا. قال: «إنتي متضايقة
مني؟».

- ليه بتقول كده؟

- عشان كان المفروض نتقابل ثاني وماجيتيش.

- أنا كنت جاية لك i swear بس شلبي اتقتل.

قلتها باندفاع غبي أظهر حرصًا جليًا على تصحيح
سوء التفاهم، وكأنني أهتم! الحقيقة أنني أهتم، لكن
لا تظهر ريم فريد أي نوع من أنواع الاهتمام سواء
كانت مبصرة أم لا. سأل:

- شلبي مين؟

- القط بتاعي.

- أوه... i'm so sorry. مكنتش أعرف.

- ولا يهملك. Don't worry.

- مين اللي عمل كده؟

- ماعرفش. بس غالبًا اللي قتل أنجيلا واللي قتل
النهاردة.

- مممم.. عشان كده كنتي هنا.

أومات برأسي في إيجاب مبتسمة عندما
استشعرت بعض الفخر أو الإعجاب في صوته، ثم
قال: «أنا غلطت إني ماخدتش رقمك».

- أنا اللي كنت مستعجلة، عادي.

- إحنا لسه على اتفاقنا، صح؟

- اتفاقنا؟

- إننا نـ investigate اللي بيحصل مع بعض.

هل أقول نعم فأبدو حمقاء متلهفة؟ أم أقول
لا فأخسر آخر شخص اهتم ليعرفني منذ دهر لا
أستطيع أن أحصي أيامه؟ ربما سأقول لا ثم أقول
نعم بعد إلحاحه، ولكن ماذا إن لم يلح عليّ؟ قلت
حاسمة تلك الحيرة: «مممم، هفكر».

- أقدر أقنعك إزاي طيب؟

- تعزمني على إسبريسو.

- بس كده؟

- عشان صعبت عليا بس.

- طب بالنسبة لرقمك؟

أعطيته رقم هاتفي ثم ودعته وعدت أدراجي مع
نجاة، تلك الخبيثة التي لم يشغلها خوفها ولا كلامي
المتحمس عن الجريمة الجديدة من أن تسألني عن
هوية هذا الشاب، ولم يفتها أن تلاحظ ابتسامتي
السريعة وأنا أخبرها أنه مجرد شاب تعرفت عليه
بالصدفة، فانهالت عليّ بالأسئلة حتى طريق المنزل
ونحن نتمشى.

سألته مستسلمة: «شكله حلو؟»، فأجابتنني:
«ومسمسم وابن ناس». فابتسمت مرة أخرى لكنني
لم أخف ابتسامتي تلك المرة، والغريب أنني بكل
بلاهة وسذاجة طفلة في الإعدادية تركت نفسي
أسقط في حفرة المشاعر الحلوة، الانجذاب لشخص
لم ولن أراه، ولم نتكلم سوى مرتين حول جرائم
القتل.

أجمل ما في الحب هو الشعور بأنك أولوية، وأنت
شمس في حياة أحدهم، أن عالمه لن يدور إلا
بوجودك ويومه لن يبدأ إلا بشروقك، وهو ما فقدته
منذ فقدت بصري، لكن على النقيض كان هو أول ما
منحه لي محمود صباح اليوم التالي، عندما اتصل
بي فقممت من نومي فزعة وسألته بصوت متآكل
من هذا الحيوان الذي يتصل في بداية الصباح، لكن
تغير كل شيء ١٨٠ درجة عندما قال أنه محمود، وأنه
ينتظرني في سيارته أمام القिला حتى نشرب سوياً
الإسبريسو الذي وعدني به.

كانت حالة طوارئ صحت خلالها طالبة ألف طلب
من نجاة، التي غسلت وجهي وألبستني فستانًا
رقيقًا بنقشة زهور بيضاء وعطرتني بعطري المفضل،
ثم صفت لي شعري كما أحبه. وفي النهاية خرجت
مرتدية منظار الشمس، فكان شكلي -على الأرجح-
طبيعيًا ومنطقيًا وأنا أركب سيارته.

في أحد الكافيهات الشهيرة بالكومباوند جلسنا
سويًا، وكان اللقاء محررًا في بدايته لكني سرعان
ما استعدت بعضًا من طاقتي الاجتماعية ورحت
أصول وأجول في ممرات الذكريات والمواضيع
ونسيت تمامًا أي قلق، فشربنا سويًا الإسبريسو
وأكلنا كعك الجزر، وبعدما فرغت من الحديث
سألته: «وصلت لإيه في موضوع الـ serial killer
بقي؟».

= هو تقريبًا كده الموضوع ده خلص.

- وصلت لحاجة؟

- مش بالضبط.

- يعني إيه؟

- كتبوا الصبح على جروب الكومباوند إنهم مسكوا
اللي بيعمل كده.

- ميرفت، صح؟

- ميرفت مين؟

- أخت جميل العناني، اللي الهاوس كبير بتاعته

اتقتلت إمبارح.

سكت محمود قليلاً بلا داعٍ ثم سألني: «اشمعنى ميرفت يعني؟»، فأجبتته مدعية بعض اللا مبالة: «عملت ال investigations بتاعتي. أنا كنت شमित ريحة كده يوم ما قتلت شلبي، وعرفت somehow أعمل shortlist لكل اللي بيحطوا البيرفيوم ده عندنا، هي كانت أقرب واحدة».

- ذكية أوي.

- ميرسي.. هي، صح؟

- لا. قالوا إن اللي بيعمل كده واحد من عمال النضافة.

- أكيد لا!

- بصي، دي ال statement اللي نزلوها: «إلى السادة الأفاضل مُلاك الوحدات في بالم تاون. نحيط علم سيادتكم أنه بعد مجهودات مضنية تمكنت شرطة الكومباوند من القبض على القاتل الذي قام بارتكاب جريمتي قتل خلال الأسبوعين الماضيين، وأوضحت التحقيقات أنه عامل نظافة في الثلاثين من عمره يدعى أشرف السيد تم انضمامه للكومباوند منذ شهرين... etc».

هذا هراء تام! أنا متأكدة تمامًا من أن ميرفت هي القاتلة، وأن هذه ما هي إلا مسرحية حتى يهدأ مُلاك الكومباوند.



سكين ملطخ بالدماء

- ماهر -

هذا خراء تام! أنا متأكد تمامًا من أن هشام هو القاتل، وأن هذه ما هي إلا تمثيلية حتى يسكت الفلاك. أثار البيان في الرسالة التي وصلتني من الكومباون غضبي بشدة، والألعن من ذلك أن هشام بنفسه أتى في منتصف التمرين وأنا على الدراجة ليزف لي الخبر، بابتسامة سمجة تخفي خلفها بالتأكيد قاتلاً هرب بفعلته.

عامل النظافة هذا لا يمكن أن يكون قاتلاً، فهو بالتأكيد لن يمتلك ساعة روليكس ولا قدرة على تشويش كاميرات المراقبة، كيف فكروا في تلك الكذبة الخائبة أصلاً؟ منقاداً بغیظي وغضبي من توريط فقير آخر لا ناقة له ولا جمل في ما يحدث سألت هشام وأنا أقود الدراجة الثابتة في مكانها حتى اللهاث: «وإنت مصدق بقى إنه القاتل؟».

فأجابني بعدما تجرع الماء من زجاجته بنهم أغرق لحيته وملابسه: «طبعا يا دكتور، طبعا. الفقر والحوجة. يعملوا أكثر من كده.. أهالينا الجمال معذورين، العيشة صعبة، والبوليس في الكومباوند هنا جامدين جدا خلي بالك».

بالطبع، ما داموا تستروا عليك.

بالكاد سيطرت على غضبي، ثم قلت له في محاولة لاستدراجه وأنا أزيد من سرعتي على الماكينة: «حلو الساعة دي يا كوتش. ألا جاييها منين؟».

- عايز الحق ولا أكذب عليك؟

- إكذب عليا.

ضحك ثم قال: «الساعة دي هتلاقيها مع الكومباوند كله تقريبًا، شركة روليكس وزعوها علينا في إيفنت من كام شهر كده».

إيفنت! توقفت قدامي عن الدوران وشعرت بقلبي يكاد يتوقف هو الآخر، أنا أبحث في اتجاه خاطئ تمامًا، وبدلاً من أن يكون المجرم شخصاً يرتدي ساعة روليكس، هو على الأرجح شخص لا يرتديها لأنه فقدوها. عضضت على شفتي السفلى حتى كدت أقطعها ثم نزلت عن الدراجة، وقبل أن نستمر في المزيد من التمارين تعللت عن المواصله بسبب صداع شديد، فأخبرني أنه لا مشكلة. ولكن هناك مشكلة! ساعتني تدق وحبات رمالها تتساقط بسرعة معلنة قرب قدوم الباشا، وأنا لم أحرز أي تقدم.

في منزلي لم أمتلك سوى الغضب وتكسير طبق صيني وبعض البقسماط، وبعدها تماكنت أعصابي وقررت مراجعة شرائط التسجيلات التي أعطاني إياها شريف على الكمبيوتر المحمول، فأعددت كوب شاي بحليب، كما أحبه، وبالنظارة على وجهي جلست أبحث على الحاسوب بين عشرات مقاطع

الفيديو، وأنا أربط التفاصيل ببعضها.

كنت قد اكتشفت الجثة في نحو الثانية صباحًا، جسدها كان ساخنًا لم تغادره الحرارة كلها بعد، لذا فالجريمة تمت على أقصى تقدير بين الثانية عشرة والثانية. على هذا الأساس صنفنا التسجيلات وفتحناها تباعًا، ولكن هذا لم يقلل من صعوبة المهمة إطلاقًا. كنت كمن يلعب البازل، أجمع صورًا متفرقة لا تحمل أي معنى إلا إذا وضعتها في صورة أكبر وبالترتيب الصحيح، وهكذا رحت أتابع خريطة ورقية لتوزيع الكامرات في الكومباون وعلى أساسها أتنقل بين التسجيلات في المحيط الواسع للأحياء حول بيتي. معظمها كان يعرض المشهد المعتاد لفيلات الكومباون الساكنة في الليل، نفس المناظر الثابتة الرتيبة.

ثم في أحد المقاطع ظهر (مالك) الممثل وسارة زوجته، يعبران من ركن الكادر حتى باب فيلتهم، متبادلين المزيد من الشجار كثير السباب والإشارات، هي تكلمة الشجار في عيد ميلاد نيللي على الأرجح. انتهى المشهد نهاية درامية بصفعة منه على وجهها، بكّت على أثرها واندفعت داخل الفيلا، ووقف الممثل الناعس أمام منزله قليلًا يدخل سيجارة وهو يضع هاتفه على أذنه، وبعد مكالمة قصيرة خرج من الكادر.

على ملامحه ظهر قلق جلي، قلق أعرفه جيدًا وكثيرًا ما استدعاه وجهي وأوجه زملائي قبل

عمليات السرقة. رائحة هذا الوغد تشي بفعله مخالفة للقانون. كان هذا في نحو الساعة الثانية عشرة، قبل الجريمة بساعة، أو دقائق على الأقل، لذا رحلت أتنقل بين الخريطة والكاميرات لأتابع وأجمع خط سيره بعملية قص ولصق، وبالفعل كما أنبأني حدسي، كان سائرًا في اتجاه فيلتي، قبل أن يختفي تمامًا في الفجوة الزمنية التي تعطلت فيها كاميرات الشارع.

أصابني الحماس، ورحلت أقفز بين التسجيلات حتى وصلت إلى كاميرا فيلته من جديد، نحو الساعة الواحدة والنصف تقريبًا، وبعد قليل من المشاهد الساكنة ظهر (مالك) في الكادر مجددًا، لكن تلك المرة يبدو عليه نوع من التعب والإجهاد، بقميصه وقد صار رثًا غير مهندم كما شعره، والأهم من ذلك كله أنه أخرج من داخل سرواله جسدًا لم أستطع تبينه بسبب زاوية التصوير، لكنه تلفت حوله قبل أن يدفنه ويخفيه جيدًا بين طين حوض الورود في حديقته. لقد أمسكت بالقاتل على الأرجح.

أعجبني اللعبة، فأعددت المزيد من الشاي بالحليب ثم أكملت مشاهدة التسجيل الخاص بفيلته على السرعة المضاعفة حتى الصباح لعلني أعرف المزيد، وأتتني الإجابة سريعًا عندما رأيته يخرج من المنزل بملابس التمرين وحقيبته الخاصة بالجيم، ثم ينحني على حوض الورود، ومن نفس الزاوية الصعبة يخبئ الجسم المبهم في حقيبته.

هذا هو الخيط، قد يكون هذا تمثالي.

في غد اليوم التالي كنت حاضراً في الجيم، في نفس الميعاد الذي يتمرن فيه الممثل، وتلكأت بقدر استطاعتي في غرفة تغيير الملابس حتى جاء أخيراً برفقة سارة زوجته الشقراء التي كانت في خضم نقاش حاد معه، فكان كل منهما يصيح في الآخر بملابس الجيم ويكاد صوته يقارب الصراخ، وكأنهما لا يفعلان شيئاً إلا العراك متى رأيتهما.

سمعت قبل دخولهما كلمات مثل: (إنت مش هتبطل؟ - زهقت.. وساخة.. الجنيينة)، ولم يكن الأمر صعباً لأفهم السياق، لقد ضبطته متلبساً يخونها، وربما مع نيللي كما رأيت أمس، فشعرت بنوع من أنواع التشفي وأنا ألقى عليهما سلاماً باسماً بارداً: (صباح الورد)، فبادلاني السلام بنظرة ملتهبة تكاد تلفظ النار، ولم ينبس أحدهما بحرف تجاهي، بل منحاني ثواني من الصمت قبل أن يعودا لشجارهما.

وكما فعل في ليلة عيد الميلاد، جذبها من مرفقها في غلظة وقال بعينييه الناعستين: «مش هنا»، لكنها تركته واندفعت خارجاً كقذيفة على وشك تدمير حياتين، ووقف هو مكانه غاضباً معقود الحاجبين، يزفر حمماً بركانية أمام خزانته المفتوحة. لما رأيت الخزانة المفتوحة انتهزت الفرصة بلا تردد وقطعت اللحن الذي كنت أنشده بصفيري قائلاً بأكثر نبرات صوتي قلقاً: «جری إيه یا فنان إنت هتسيبها كده؟ الحريم وقت العصبية بتعمل مصايب، أنا لو مكانك

أحقها قبل ما تبعد».

تسمر مكانه لثوان قبل أن يقول نافخًا: «مالك زهق
بجد»، ثم خرج ليلحق بها، تاركًا باب خزانته مواربًا.
علام تحتوي خزانة هذا الناعم؟ ربما مزيلاً للعرق،
وبعض البروتين، وملابس لما بعد التمرين.

حولي تلفت كي أتأكد من خلو المكان، ثم أخذت
خطوات واسعة تجاه خزانته الخاصة متصنفاً
اللا مبالة أمام كاميرات المراقبة، ووقفت أمثل
التأمل في خلق الله البديع في تصميم هذا الحائط
الرخامي، ثم فتحت خزانة الممثل الشهير لثوان.

كما توقعت، احتوت خزانته على مزيل للعرق،
بعض البروتين، ملابس لما بعد التمرين.

وسكين ملطخ بالدماء.



(٢٠)

عين ثالثة

- ريم -

انتهى لقائي مع محمود نهاية عصبية.

لم أستطع التحكم في نوبة غضبي، فأخذت أكرر وأعيد كلامي مصرّة على أن إدارة الكومپاوند تكذب، وأنني على يقين تام من أن ميرثت هي القاتلة، وأنها صاحبة علامات الفيل. حاول هو تهدئتي وتنبيهي إلى أن الكافيه كله يسمعني، ثم أخذني في جولة بسيارته مستمعًا في صمت لكل ما قلته وأعدته، قبل أن يلعب بعض أغاني روك الثمانينيات من مذياع السيارة ويقول بهدوء: «أنا مصدقك ومقتنع، بس الدليل اللي معاكي مش كفاية. ده مجرد پيرفيوم مش هيقتنعوا بيه. محتاجين حاجة أقوى».

يائسة قلت: «مش عارفة.. مش عارفة». ثم نفخت ما في صدري من هواء وأنا أبحث عن دليل آخر محتمل، أو عن مكان قد يخفي إجابة ما. لدينا ثلاث جرائم، الأولى في منزل المالك الجديد، والثانية على الرصيف، والثالثة في منزل (جميل العناني). ما الذي قد يجمع الضحايا الثلاث أو الأماكن الثلاثة؟ من الصعب حقًا ربط الصورة في هذا الظلام.

هنا فوجئت بالعالم ينكمش، عندما أمسك بيدي

وقال: «هنعرف سوا».

لم يكن انكماش الاختناق أو الضيق، إنما نوع من البساطة طغى على كل شيء، وكأن العالم كله قد تم اختزاله في بضعة عناصر أهدأ، واختفت كل الضوضاء المحيطة ليحل السكون. رغم أن الخاطرة الأولى التي زارتني كانت سحب يدي وتقريعه، لكن كان لملمس يده الباردة حول يدي تأثير قوي، هدوء غشائي لا يصمد أمامه أي نوع من أنواع الغضب ولا الكرامة أو التمتع، بل على النقيض وجدتني أشدد من قبضتي حول يده وأقول: «شكرًا».

كان هذا قبل أن يرجعني منزلي، وإن اتفقنا على المقابلة في مساء اليوم مجددًا لنرتب أفكارنا، ونرى ما توصل إليه كل منا.

جلسات الثرثرة النسائية قد تبدو جحيماً للرجال، أو للإنسان العاقل عمومًا، ولكنها كنز لكل من يبحث. فللنساء قدرة هائلة على الاستفاضة والشرح، على الملاحظة والتذكر وتدوين كل تفصيلة -مهما كان حجمها- على صفحات ذاكرتهن والرجوع إليها في أي وقت، لذا عندما فكرت في أماكن أخرى للبحث عن معلومات حول ميرفت، وجدت حفلات شاي أمي مصدرًا غنيًا للمعلومات حول كل ما يحدث في الكومپاوند ولا أقدر على رؤيته، فقررت حضور حفلة الشاي في نفس اليوم بعدما عدت من لقائي

مع محمود.

وكما تحب أمي، حضرت في غرفة المعيشة وجلست كالشابات المؤدبات، مبتسمة وأضع قدمًا على الأخرى قبل الموعد حتى، محاطة بالنسوة اللواتي لا يتحدثن إلا عن الماديات والقشور، ولكنها الآن صارت قشورًا ذات نفع عظيم رحت أجمعها وأخزنها عالمة أنني سأحتاجها يومًا ما: من قامت بتغيير سيارتها، من سافرت إلى إيبيزا بعدما انتهى الصيف والموسم، وكيف زارت واحدة منهن مدرسة من مدارس «أهالينا الجمال» أو افتتحت مستوصفًا خيريًا لزراعة الشعر في الأرياف، حتى انعرج الحديث من جديد إلى المادة الأكثر دسامة: سفاح الخادومات الذي قبض عليه.

كنت متأكدة أنهم لن يفوتن فرصة الخوض في هذا المستنقع ونسج الأكاذيب حوله، وأني سأستمع إلى ترهات خالصة بين رشقات الشاي الفنكه بالفراولة، ولكن وسطها سأجد بعض الذهب المختبئ بين الصخور: «كان يتحرش بخادمتي» - «كنت أشك فيه منذ البداية» - «رأه زوجي يتعاطى الحشيش من قبل وأبلغ عنه أمن الكومپاوند»... كلكن كاذبات، كلكن تبحث عن لحظة من الاهتمام الزائف. ثم حركت أنا بركة الحديث الراكده وألقيت بداخلها بسؤال حول ميرفت: «هي الشغالة الثانية اللي اتقتلت كانت في القيلا بتاعة أخت جميل العناني؟».

والآن انتصب السيرك.

«أخت» بدلاً من «عشيقة» الطعام المناسب لجذب كل السمك المجتمع في البحيرة هنا، لتخرج كل منهن ما في جعبتها من أصناف وتفردها على الطاولة لاكل منها كيفما أشاء، فكررت جيهاً زعيمتهن كلمة «أخت» متهمكة ونعتتني بالساذجة الطيبة، وسردت سوزي بعضاً من فضائح ميرفت مع جميل في الماضي، ثم أخبرتنا ميمي أنها رأتها أكثر من مرة في الكافيه الخاص بجميل، تجلس برفقة رجل آخر، وعلى الأرجح تخونه.

المعلومة الأهم كانت أن لميرفت طاولة خاصة في ذلك الكافيه المطل على البحيرة الكبيرة بالپارك، تجلس عليها يوميًا لفترة لا تقل عن ٣ ساعات، وربما اليوم كله. واثنتي فكرة جيدة دفعتني لترك مجلسهن في الحال والذهاب لغرفتي، لأتصل بمحمود الذي خلط بعض القلق صوته، ثم قلت: «أنا عندي فكرة. قابليني بس دلو قتي بسرعة».

والغريب أنه لم يعتذر أو يتعلل بأي شيء، بل في أقل من ساعة كان قد حضر لمقابلتي في الپارك. قلت له ونحن نتمشى بناءً على تعليماتي، حتى وصلنا إلي بقعة معينة: «شايف الكافيه بتاع جميل العناني؟ بيبيص على الـ lake واسمه اليخاندرو».

- شايفه آه.

- هو مش ميرفت بتقعد على طول هناك؟

- لا ماعرفش.

- ليها ترابيزة هناك بتاعتها هي بس، حتى لو جربت تقعد عليها هيقولوا لك الترابيزة دي بتاعة مدام ميرقت.

- طب وده هنعمل بيه إيه برضه؟

- مش إنت مهندس؟

- ميكاترونيكس.

- مش طالبة أعرف ده مش إنترقيو.

ضحك ثم رد: «أمال طالبة إيه؟».

- تعرف bug الترابيزة دي صح؟ تحط فيها مايكروفون أو حاجة أعرف أسمع منها كلامها معظم الوقت.

- إنتي مجنونة!

قالها بنبرة احتوت في ثناياها على حماس، وهو ما راق لي كثيرًا وجعلني أتشبث أكثر بالفكرة كطفلة صفق لها أبوها عندما خطت خطواتها الأولى، فأبت ألا تتوقف عن المشي. قبل أن أجيبه سألته لو كان يحمل سيجارة، فأشعل لي واحدة دخنتها بغرور استعدت ومضات منه، ثم قلت: «ساعات».

- هي فكرة مش وحشة، لو دي ترابيزتها فعلاً وماحدث بيقعد عليها غيرها.

- بتقعد هناك at least ساعتين ثلاثة كل يوم.

- وإنتي هتقعدي تسمعي كل يوم ٢١ ساعة؟

- أنا عامية مش طارشة.

كان هذا وقحًا قليلًا. ولكن قبل أن أعتذر عنه قال:
« تمام، ما عنديش مشكلة أساعدك». فقلت ويدي
تبحث عن يده من جديد، ثم تتمسك بها: «سوري
لو أنا rude شوية أو عصبية. أنا مش بس بجيب
حق شلبي، فيه واحد غلبان مستقبلة هيضيع بدل
المجرفة الحقيقية».

فما كان منه إلا أن شدد من قبضته حول يدي
وقال: «تحبي نبداً من إمتى؟». وكان هذا أفضل ما
سمعت في آخر سنين حياتي.



في أثر الممثل الناعس

- ماهر -

كانت مفاجأة غير متوقعة انتفض لها جسدي، ولا
إرادياً ابتعدت عن الخزانة كالملدوغ.

سكين غارق في الدماء هنا، مخبأ بعيداً عن منزله،
يعني أن هذا الوغد هو القاتل لا محالة. أكدت
الأفكار المتلاحقة في رأسي هذا التخمين أكثر
عندما جمعت الأدلة والحقائق: السكين والتسجيلات
وتركه لعيد الميلاد مبكراً في توقيت الجريمة. ثم
أضاء في فكري سؤال آخر، هل هما الاثنان عصابة
من القتلة؟ وهل خلافتهما المتكررة إذا بسبب
جرائمهما؟ وما قصة تلك الحديقة التي يأتي ذكرها
دوماً بين الحين والآخر؟

أفكار كثيرة تبعثرت داخل رأسي الأصلع، لملمتها
كلها بسرعة وارتديت ملابسني على عجل ثم تركت
الجيم، بحقيبتني نصف المفتوحة ومرتدياً قميصي
بالمقلوب. يبدو أننا أمام عصابة من نوع خاص،
ممثّل شهير وزوجته الحسناء، لن ترفض خادمة
متواضعة. مقابلتهما لنيل بعض الشهرة، وبطريقة ما
تتمكن الزوجة من تشويش كاميرات المراقبة في
حين يقوم زوجها بالقتل والسرقة.

لم يكن من الصعب جمع معلومات عن الممثل

الناعس بفضل علاقاتي بأفراد أمن الكومباون،
فكنت آخذ الواحد منهم في جولة بسيارتي بدلاً
من سيارات الجولف الضيقة، أخبره أنني أبحث
عن مكان جيد هنا يعد قهوة تركي طبيعية وليست
قهوة أفرنجية مائعة، وما أن يبدأ في وصف الطريق
أو المكان أخبره أن يركب معي أسهل، وبتأثير
سيجارة مارلبورو ومكيف السيارة المرسيديس
وكوب مجاني من القهوة الباهظة يتحدث
ويستفيض، ويعرض ما عنده ما إن أرمي سؤالاً
عرضياً عن ساكن ما، أو عن (مالك) نفسه.

يحب (مالك عز) النساء حباً جماً، ورغم علاقته
الرومانسية مع زوجته لكنه لا يشبع ولا يرتوي،
فدوماً ما يدخلان في دائرة مفرغة من الشجار
والكراهية ثم العشق الخالص. هو يكره التصوير،
ولا يحب المعجبين، ويقضي معظم وقته في الجيم
أو نادي الرجال في الكومباون حيث يثمل ويلعب
البوكر أو أيا من ألعاب القمار، كما يتحدث عن نفسه
دائماً بضمير الغائب. وغد كلاسيكي كما يجب أن
يكون الوغد، خمر ونساء وغرور، شخصية مكررة
رأيتها في السينما من قبل، ولم يبذل هو جهد
تغييرها قليلاً حتى.

كيف سأثبت تورطه في تلك الجرائم؟ هناك سكين
في خزانته بالجيم، أستطيع بكل بساطة أن أبلغ
شرطة الكومباون عنه، لكن ذلك لن يساعدني في
الوصول للتمثال المسروق، كما أن علاقاته قد

تتفوق على أي تحقيقات. ماذا إذا لو سرقت السكين
وساومته مقابل التمثال؟

لم أعرف الحل الأمثل، فقدت القدرة على التركيز
فجأة وغلبني شعور بالضيق عندما أتنى مكالمة من
(أنيس) زادت من بعثرة أفكاري لما اضطررت إلى
إجابتها وأنا أشاهد الهاتف يدق في بؤس لدقائق،
ومع كل دقة كنت أشعر بصفعة على قفائي، فأجبت
في النهاية بعد أن فرشتها له بالورود والرمل وألقاب
الباشوية والبهاوية، حيث أخبرني أنه سيحتاج
إلى تصويري للتمثال عدة صور من زوايا مختلفة،
وبالطبع أخبرته أنه أمر بسيط وأنني لن أصوره فقط
بل سأخرج له فيديو كليب لو أراد.

بكل تعالي أغلق الخط ولم يوّدعني، فتركتني
مُغتاضًا مقهورًا فاقد الرغبة في الحياة. مكالماتك
تتلاعب بمستوى الشكر في دمي كما ألعاب الموالد
يا ابن الأبالسة، وحتى الأنسولين الذي حقنت نفسي
به لم يأت بتأثير يذكر على دمي الذي يغلي.

لم أجد بُدًا من غسل رأسي من كل هذا التوتر
ببعض المناظر المألوفة، فأخذت سيارة جولف حتى
المساكن الشعبية العجيبة في قلب الكومباون،
حيث جلست بالمقهى هناك مدخنا المعسل مع كوب
شاي بحليب، ومع كل نفس من أنفاس الشيشة
كانت تتشكل أفكار ثم تضحل كالدخان وأنا أتابع
أهل الحارة الذين ينغمسون في تلك الحياة نصف
الواقعية، شحاذين وتجارًا، باعة جائلين وبائعات

هوى في وضح النهار، وحتى مشاجرات بالعصي أو
المديات وكأنه سيناريو محفوظ. كما رأيت الشاب
المنغولي الذي انقلب بالدراجة في يومي الأول، جاء
من تلقاء نفسه وصافحني بابتسامة ثم واصل جريه
بالحارة خلف بعض القطط، فابتسمت أنا أيضًا.

خفف من بؤسي قليلًا (محسن سكر) الذي كان
يجلس بالمقهى مع بعض أصدقائه على طاولة
مجاورة، يتحدث بصوته العالي المرح ناثراً كل
الكلمات الشعبية التي يعرفها وهم يلعبون الطاولة:
(دوش- شيش جهار- ولد يا صابر هات معاك شقة
فول وشقتين فلافل واتوصي)، وبالكاد كتمت
ضحكاتي عندما استقل توك توك من التكاتك
المنتشرة بالحارة وقرر قيادته.

بعد الكثير من الوقت والمعسل والتفكير لم تتبدد
حيرتي، بل زاد همي، ففكرت في مشاركة حملي مع
شخص آخر على علم بما يحدث. اتصلت بشريف
وسألته (إنت فين يا هندسة؟) فأخبرني أنه يجلس
وحيثاً بأحد البارات هنا يدعى (ذا كوتيدج) يراجع
الكاميرات على حاسبه المحمول، ولم أستأذنه بل
أخبرته أنني سأكون هناك خلال دقائق. شريف ذكي
وعليم بأهل الكومباون، كما أنه مطلع على جزء من
سري وشاركني في رحلة البحث، فلا ضرر إذا من
استخدام حليف مثله والتفكير معه.

كان يجلس على طاولة صغيرة في ركن من بار
هادئ يحمل طرازاً أجنبيًا، حوائطه وأرضياته كلها

من الأخشاب الداكنة ويشبه لدرجة كبيرة تلك
البارات التقليدية في وسط البلد من أيام الباشوات
لكنه أنظف وأوسع، وبالطبع كل شيء هنا أجدد
وأغلى. لوحته له من بعيد ثم جالسته الطاولة التي
حملت أكوابًا شبه خالية من البيرة مع طبق من
الترمس كان يأكل منه وهو يدقق نظره في شاشة
الحاسب. بعد التحية والسلام سألته: «بتعمل إيه
كده؟»، فقال وكوب البيرة المليء بمكعبات الثلج
يتأرجح في يده: «براجع الكاميرات ثاني».

قشرت بعض الترمس من طبقه وقلت مزيحًا
الحاسب من أمامه بغرور: «ماتوجعش دماغك، أنا
عرفته خلاص». ثم شرعت أسرد قصة التسجيلات
والسكين، فضم شفتيه في تركيز حتى انتهت
من السرد، وقال ببطء وهو يداعب حافة الكوب
بسبابته: «مالك عز.. مالك عز.. إيه اللي يخلي سكينه
في لوكر الجيم بتاعة مالك؟». فقلت بعد رشفة من
البيرة:

- يا جدع إنت ماتجننيش! أكيد ماكنش بيخرط
بيها بصل يعني! وبعدين بقولك بدمها.

- إنت متأكد؟

- تفسر بإيه اللي شوفته في الكاميرات ده؟
وماتنساش كمان إن اللي بيقتل عامل فيها فيل،
وهو اشتهر في فترة بفيلم اسمه الفيل باين.

- بس ده كلام خطير. ليه واحد زيه يسرق ويقتل

وهو مش محتاج؟

- عشان البحر يحب الزيادة. عشان أنا فقري،
والكحكة في إيد اليتيم عجة.. أصل أنا يتيم والله.

ولا أعرف لماذا توقفت عند تلك الجملة، ربما
كان تأثير البيانو الهادئ في الخلفية، أو أجواء
البار المسالمة، أو الخمر، أو طباع شريف الودودة
المشجعة على الكلام، فواصلت والكوب في يدي:

«عارف؟ اليتيم ده حاجة عفشة أوي يا
بشمهندس .. تخيل أنا مكانش ينفع أبقى عيل
صغير زي العيال كده، لا ألعب بلعبة ولا أروح مدرسة
وأحب بت، كنت بحاول بس ماموتش م الجوع.
أنا كنت أبويا وأمي، كنت اللي بأكلني وأشربني
وأنيمني. بس كنت بصبر نفسي وأقول مسيري
هكبر ويبقى عندي عيلة كبيرة وأصحاب ياما،
كبرت وبقيت يتيم العيلة كمان، وماعنديش صاحب
واحد.. الوحدة مرة أوي والله، وبتمرر كل حاجة في
الدنيا».

كان ينبغي عليّ الشعور بالحرص لكل ما قلته،
لكني لم أنزعج -وهي فائدة من فوائد الخمر- بل
شعرت بنوع من أنواع الخفة، وفاجأني هو عندما
قال: «مش المفروض أنا صاحبك برضه يا دكتور؟».
فابتسمت ولم أرد، فقط اكتفيت بهزة من رأسي وأنا
أرفع الكوب عاليًا وكأنني أتبادل معه نخب صداقة
وهمي، ثم قال مجددًا: «بصراحة، ماظنش إن مالك

اللي بيعملها».

- راجع الكامرات زي ما بقولك وإنت هتصدقني.

وهو ما فعله بعد أن أُمليته الترتيب المنطقي الذي شاهدت به التسجيلات. نظرت له دون أن أنطق، وإن راقت لي نظرات الدهشة على وجهه بينما يتكشف الأمر له، التي تتبعها بجرعة ضخمة من البيرة في الكوب أمامه ما إن انتهى، ثم بشكل مفاجئ، وجدته يدفن وجهه في يده ويبيكي! قلت: «الله الله.. مالك بس يا هندسة؟».

فقال من وجهه المدفون بين يديه: «إنت عارف إن فيه ولد من الـ team عندي اتقتل؟ لقيناه مقتول قبل ما الشغالة تموت عندك بكام يوم. مات وهو بيراقب الكاميرات، مكاني.. كان ممكن أكون أنا. بس طبقًا عشان مالوش قيمة ومات في السر ماحدث عرف. قرروا يخبوا على الناس عشان ماتحصلش شوشرة».

- صلي عالنبي بس، ده مقدر ومكتوب. وبعدين هو فيه راجل بيعيط؟

- صعبان عليا بس إن ماحدث حتى سمع عنه.

- اهدا إبت بس، آدينا قَرَبنا نجيب الشيطان اللي بيعمل كده.

قال وهو يمسح دموعه بمنديل، محاولًا التماسك: «المهم دلوقتي، ناوي تعمل إيه؟».

- رأيك أبلغ عنه؟ ولا أساومه على التمثال؟

- تمثال؟

- ال... التمثال بتاع أمي حبيبتي الله يرحمها
ويحسن إليها، اللي سرقه.

- عايز رأيي كصديق ولا كراجل أمن؟

- كواحد خايف على مصلحتي.

- كراجل أمن المفروض أبلغ البوليس ويتحركوا
حالا، بس كواحد خايف على مصلحتك مش من
مصلحتك تكسب معاه عداوة، إنت تستدرجه وبعد
ما تاخذ تمثالك تبلغ عنه.

- أكلمه بكرة في الجيم؟

- لا طبعا. كده ممكن يتخلص من السكينة في
لحظتها.

وبعد لحظات من شرب البيرة وأكل الترمس، قال
رافعا رأسه لي: «روح له بكرة بالليل في نادي البوكر،
هتلاقيه سكران ومتوتر لوحده، وهتعرف تاخذ منه
اللي إنت عايزه».

يعجبني هذا الشريف حقًا، يساعدني بلا مقابل ولا
يتعامل معي بتلك النظرة الاستعلائية التي أراها في
أعينهم مهما فعلت، لذا أكدت إعجابي به وبصداقتنا
بمصافحة رجولية وأنا أقول: «يبقى بكرة بالليل في
نادي البوكر».



تسجيلات قد تودي

بحياة المستمع

- ريم -

أذناي هما عيني الثالثة، هما النافذة الوحيدة المفتوحة على هذا العالم، لذا لم أمانع على الإطلاق جلوسي للاستماع لساعات طويلة من التسجيلات الصوتية اليومية، بعدما تمكن محمود بطريقة ما من تركيب جهاز تنصت في طاولة ميرفت الخاصة بالكافيه.

لم أهتم كيف فعلها لكني سألته، ولم يهتم هو بالتفسير لكنه أجاب، فكانت إجابته مبهمه من نوعية (لي طرقي الخاصة) وخمنت أنه على الأرجح قام برشوة أحد العاملين هناك، وعلى كل حال لا يهم، فأنا الآن أجلس معها على طاولة واحدة، والأفضل من ذلك أنها لا تراني.

كان الجهاز يسجل ما يحدث على مدار اليوم ثم يرسله إلى محمود أوتوماتيكياً كل ١٢ ساعة، فيرسله محمود إلى الواتساب عندي بعد تغيير الصيغة حتى تكون ملائمة للهاتف، ثم أستمع أنا. كنت أفعل كل شيء بصحبة ميرفت وتسجيلاتها، أكل وأشرب وأقرأ الكتب الصوتية وأنا أستمع لتسجيلاتها، أحاور نجاة أو أتمشى معها أو أقابل محمود وأنا مصطحبة

إياها معي، وكأنني استطعت فصل أذني اليمنى عن اليسرى ومنح كل واحدة منهما مركزًا منفصلاً في المخ يعمل وحده تمامًا.

بشكل عام لم أواجه أي صعوبة في جمع الأصوات من التسجيلات وبناء المشاهد بها وهدمها: فتح قداحة السجائر، رنين المنفضة الزجاجية على الطاولة، جر كرسي أو إلقاء تحية مقتضبة، كل ذلك كنت أرتبه في خيالي وأنا أستمع للتسجيلات الطويلة، حتى عرفت عن ميرثت الكثير في غضون ثلاثة أيام فقط.

كانت صورتني المسبقة عنها صحيحة إلى درجة كبيرة لكن تنقصها بعض الألوان، التي جمعتها من التسجيلات، مثل نبرة صوتها المبحوكة، ولكننتها السوقية التي لم تستطع التخلص منها مهما توارت خلف الكلام بالإنجليزية. ضحكاتها المفتعلة، ونوعية البشر الذين يجالسونها، ومضغها الدائم للعلكة. تحب ميرفت تدخين الشيشة والأغاني الموسمية الرائجة التي تحتوي على راقصة أجنبية جديدة في كل فيديو كليب، تهتم بحواجبها اهتمامًا خاصًا، ورأس مالها في الحياة مؤخرة ممثلة تأتي على ذكرها بدون داعٍ أيًا كان الجالس معها أو محاورها.

كما أنها لا تتوقف عن الثرثرة والكلام أبدًا، فحتى لو كانت طاولتها خالية من الصحبة أجرت مكالمة هاتفية تزيد على الساعة، ولو لم يكن هناك من تحدّثه على الهاتف نادت أحد النوادل في المكان

وفتحت حديثًا بلا معنى، وكل ذلك بالطبع كان أفيد من أن تكون ميرفت انطوائية تمتلئ تسجيلاتها بالخربشة والأصوات عديمة المعنى. المشكلة فقط أن معظم كلامها كان بلا فائدة، ولم تتطرق مرة واحدة إلى موضوع يتعلق بجرائم القتل، حتى أنني بدأت الشك في خطتي وتخميني، ولكنني قررت المواصلة.

كما صارت مقابلاتي مع محمود أمرًا معتادًا وروتينيًا يحرص كلانا عليه، أحيانًا يقلني في الصباح الباكر أو في المساء حسب مواعيد عمله. كان حديثنا في البداية يتمحور حول ميرفت والجرائم والنظريات، لكنه بالتدريج بدأ يتمحور حولي وحوله، أحلامنا وطفولتنا وأطعمتنا المفضلة، وفي كل ذلك كان يفاجئني، فعندما أخبرته في إحدى المرات أن وجبتي المفضلة هي أجنحة الدجاج قال لي أنه لا يستسيغها كثيرًا، لكنه بعد قليل أوقف السيارة أمام مطعم شهير مختص بأجنحة الدجاج وأخبرني أنه لا يمانع تجربتها من جديد معي، فمن الممكن أن يغير رأيه.

هذا الوغد يأبى ألا أستسلم له!

أكلنا هناك سويًا، وكان يسمعني في صمت وأنا أكل وأشرح ما يعجبني في الطعام بالتفصيل، يطعمني أو يمسح بعض الصلصة عن فمي أو يللمم خصلات شعر تناثرت، ثم يقول شيئًا خارج السياق تمامًا مثل أن لي وجهًا جميلًا أو أن بشرتي البيضاء

هي أنقى ما رأى يومًا، كلمات بسيطة قالها بتردد أو خجل، فدق قلبي لها، ولصوته، ولسكتاته، ثم تعلقت يدي بيده من جديد فانسخت اليدان بالصلصات المختلفة، ولم يكن منا إلا أن ضحكنا.

في مساء ذلك اليوم عدت للمنزل في مزاج رائع، ولم يكدر صفوي حقيقة أن أبي كان هنا يزورنا وأنه رأى سيارة محمود بعد ما أقلني، فأحب تمثيل دور الأب قليلًا وقال ممسكًا بكتفي بعدما عانقني: «مين اللي وصلك ده؟». فأجبته وأنا أزيح يده: «صاحبي».

- صاحبك؟

- آه؟ my boyfriend.

- وإنتي إزاي ماتقوليليش حاجة زي دي؟

فلتت مني ضحكة ساخرة لم أتعلمها، ثم تركته ومضيت إلى غرفتي وهو يناديني أكثر من مرة. وددت حقًا لو ألفت وقلت له شيئًا مثل أنه هنا فقط حتى يشعر ببعض من رجولته المهدرة لأنه لا يقدر على زوجته الجديدة التي لا تمكث في منزلها أسبوعًا متواصلًا، ولكن لم يسمح مزاجي بخوض أي صراعات، فقلت فقط: «dad»، أنا تعبانة ومصدعة، ماتقلقش مانمتش معاه لسه»، ثم أغلقت باب غرفتي خلفي وعلى السرير استلقيت.

من الخارج أتنني أصوات صياحه مخلوطة بأصوات أمي الحادة التي تبادله الصياح والسباب: «أنتِ مهملة، أنت لا تهتم - أنتِ عاهرة، أنت نصف

رجل - أنتِ السبب في دمار هذا المنزل، أنتِ السبب في دمار هذا المنزل».

ماذا سيفعل السيد رأفت والدي، المحامي الكبير، لو علم أنني على وشك الوقوع في حب شابٍّ مسلم من جديد، بعد حبيبي السابق (عمر)؟ لن يفعل على الأرجح لأنه السبب الأكبر في عُقدتي تلك، وفي أنَّ قلبي لا يدقُّ إلا لمن هم على غير ديني، كما فعل هو طوال حياته مع أُمِّي الخائنة الضعيفة، التي وافقت أن يُسمِّيَني ريم على اسم إحدى حبيباته السابقات، المُسلمة بالطبع. أبي هو الرجل الأسوأ في عالمي، البئر التي تسقي الكل لكن تجفُّ في حالتي، الرجل الذي ينادي الجميع بصلاحه ويتغفَّون بكرمه، لكنني لم أجد منه سوى كلِّ بُعدٍ وجفاء.

زفرت في ضجر وأنا أتقلب على السرير عندما واصلت أصواتهما في الارتفاع، ثم مددت يدي على الكومود بحثًا عن السماعة، هربًا من المسرحية السخيفة المعادة بالخارج، وبدأت في الانغماس في عالم مبرقت والاستماع إلى تسجيلاتها من جديد.

ساعات وساعات من التسجيلات المملة التي قمت بتسريعها، تارة أتقلب على ظهري وتارة على بطني حتى كادَ يتمكن النوم مني عدة مرات، قبل أن أستمع إلى تتابع غريب من الأصوات جذب انتباهي، إلى درجة أنني انتصبت جالسة.

صوت نسائي متوتر -للمرة الأولى تقريبًا- يدخل

في حوار مع رجل آخر، وبدلاً من أن تبدأ ميرفت حديثها بالضحكات وتملؤه بالتفاخر والكلام عن الحلي والمؤخرات، كانت مضطربة كطفل يتعرض للتوبيخ من والديه، طفل يخشى أن يفتضح أمره، حتى أن صوتها كان غريباً وغير معتاد وكأنها مصابة بنزلة برد.

حاولت التركيز في الحوار الدائر وتجميع مفرداته لكن كان صوت الرجل بعيداً ومكتوماً، كما لو كان يجلس بعيداً عن جهاز التنصت، فخرج الحوار ناقصاً لعدة معاني ومفتقراً لسياق واضح:

تتنفس ميرفت، تقول أنها لا تريد أن تقابله هنا، فيخبرها بما معناه ألا تقلق، ثم يسألها هل هي مستعدة؟ قرقرة الشيشة -أنفاس متلاحقة- ثم تقول أنها جهزت كل شيء. يسألها سؤالاً لا أسمعه، وقبل أن تجيب يتدخل النادل آتياً بالمشروبات التي طلبها، تصطك الأكواب الزجاجية ببعضها وبالطاولة، تزدري هي ريقاً مسموعاً وتقول أنها استطاعت تجهيز مسدس مزود بكاتم صوت عن طريق الحارس الشخصي الخاص بها، فيخبرها الصوت جملة أخرى لم أسمعها، لكن تقول ميرفت: «بكرة الساعة ١٢ بالليل. أنا اتفقت معاه على المعاد». ترتشف بعض الماء، يجيب الصوت بوضوح أنها يجب أن تنهي الأمر غداً، ثم يكرر ببطء: «بكرة الساعة ١٢ بالليل في C55. ماتنسيش المسدس».

عالجت ما سمعت بينما راحت الحقائق تتدفق

تدريجياً في خلفية الأفكار بانهمار المطر:
التسجيلات تأتيني بعد ١٢ ساعة، مما يعني أن هذا
التسجيل تم بالأمس، إذا فـ(بكرة الساعة ١٢ بالليل
في قفلا C55) هو اليوم، هو الميعاد المتفق عليه.
ورغم غياب السياق لكن الحقائق تقول أن ميرثت
جهزت مسدسًا، ميرثت التي قامت بـ٢ جرائم قتل
بالفعل، فلم يحتج الأمر إلى تفكير، ميرثت على
وشك قتل ضحية جديدة الليلة، في الثانية عشرة
مساءً.

والساعة الآن هي الحادية عشرة والرابع مساءً.

شعرت بحجر يسقط في معدتي، وبحماس ساخن
يكسو أطرافني ثم جسدي كله كما لو تحممت بماء
مغلي، فقممت ألّهت وأنادي على نجاة لكنها لم
ترد. في المطبخ وغرفتها والصالون بحثت عنها
بلا جدوى، حتى تذكرت أن اليوم ميعاد إجازتها
الشهرية وأنها لن تعود إلا بعد ثلاثة أيام.
اللعنة يا نجاة.

وقفت بعصبية في الصالون الذي صار خاليًا حتى
من أمي وأبي، يزداد تنفسي مع الصراع بداخلي
حتى صار مسموعًا. هناك جريمة قتل على وشك
الحدوث، يمكنني أن أمنعها لو ذهبت، ولكن هل أنا
قادرة على ذلك حقًا؟

على كل حال لم أفكر كثيرًا. سأذهب وأفعل ما في
وسعي.

التقطت چا كيت خفيقًا من المشجب بجوار الباب
ثم طلبت سيارة جولف إلى العنوان في ٥٥C التي
لا أعرف من هو مالكةا، وإلى أن تأتي السيارة
وقفت أمام القيلا يتلاعب الهواء الخريفي بشعري،
ويتلاعب الحماس بقلبي.



نادي البوكر

- ماهر -

دخلت نادي البوكر في كامل أناقتي، مرتديًا بذلة
بُنِيَّة بلون القهوة كما أوصى شريف لأن الدخول بغير
الملابس الرسمية ممنوع. صففت سيارتي داخل
النادي الواقع على أطراف البارك، محاط بسور فخم
وبوابة ضخمة من البرونز المشغول، ويحتوي على
حديقة أرستقراطية وجراج مفتوح، وعدة نوافير.

أما مبنى النادي نفسه فكان ضخمًا ومحاطًا بسياح
أبيض قصير من الخشب، مثل الذي يحيط بالبيوت
في الأفلام الأمريكية، وله مظهر يدعي البساطة
رغم صراخ التفاصيل كلها والخامات المستخدمة
بكونه مترفًا تمامًا، كأعضائه.

على باب المبنى وجدت عامل استقبال أسود
البشرة في بذلة حمراء يرحب بي في بشاشة
قبل أن يسألني عن بطاقة العضوية، فعرضت
عليه بطاقة العضوية التي استخرجها لي شريف،
ليدخلني العامل إلى صالون إنجليزي عتيق مؤثث
جيدًا بالكراسي القرمزية الوثيرة والأرائك الجلدية
واللوحات الزيتية، بالإضافة إلى رؤوس الحيوانات
المحنطة المعلقة على الحوائط. في كل الأرجاء كان
هناك نوادل ذوو بدلات حمراء يروحون ويجيئون

حاملين صواني فضية تحتوي على الشامبانيا أو
علب السيجار الكوبي الفاخر، ومزات من السلمون
والكافيار.

بشكل عام كانت هناك حالة من الادعاء والتكلف
في الجو، حالة جذابة مغرية تناديك أن تنغمس فيها
وتمثل أنت أيضًا مثلهم أن تلك الأجواء الإنجليزية
هي أجواؤك، وأن هذه هي بيئتك الطبيعية التي لا
تجد الراحة إلا فيها، فسحبت سيجارًا من إحدى
الصواني وأشعلته وأنا أتوغل أكثر داخل النادي الذي
ضم زحاما خفيفًا من الرجال ذوي البذلات الباهظة
ومناديل العنق الحريرية.

رأيت بعض الوجوه المألوفة، أولها محسن سكر
الذي كان يلعب البلياردو في أحد الأركان بجسده
البطريقي الضخم، ويدخن سيجاره كل بضع ثوان
مدعيًا التركيز كلما ضرب الكرة بالعصا أمام منافسه
الذي لا أعرفه. كان موقفه سيئًا وضربه للكرة
ساذجًا، مسألة وقت قبل أن يخسر المباراة، فاقتربت
منه بكياسة وقلت: «اللعب على فلوس؟». وقال
مغمغماً: «ما فيش حاجة هنا مش على فلوس».

بلا مقدمات سحبت العصا من يده وقلت بغمزة
من عيني: «عنك يا باشا. لو خسرت أنا اللي هشيل».
ثم وجهت كلامي لمنافسه وقلت: «وهدف قد اللي
محسن باشا كان هيدفعه أربع مرات»، فمط منافسه
ذو الشارب الأبيض شفثيه في موافقة، ثم أفسح
محسن الطريق لي.

لعب البلياردو كان واحدة من المتع القليلة لِماهر الصغير في شبابه عندما بدأ يسرق ويفتح الخزائن ويمتلك المال، فكان في الحارة التي أسكن بها في حي السيدة رجل أعور يدعى سعدي الروسي يمتلك طاولة بلياردو وطاولة بنج، ينصبهما في أحد الأركان ويجلس أمامهم مدخناً الشيعة حتى يتوافد الزبائن من الأطفال والشباب، وكنت أنا من زبائنه المفضلين سواء في البلياردو أو البنج، حيث تعلمت كل حيل الشارع وألاعيبه، وقارعت أباطرة ألعاب الشوارع.

أمسكت بالعصا وعالجت طرفها بالطباشير، ثم زفرت في استرخاء وبدأ الاستعراض: كرة تلو الأخرى تسقط في الجراب، زوايا مستحيلة وحركات هندسية مبتكرة، حتى انتهى ما بدأ كمباراة مملة محسومة إلى نهائي عالمي في البلياردو جمع حوله لفيقاً من أعضاء النادي الذين صفقوا لي بحرارة بعدما انتهيت فائزاً، فما كان مني إلا أن استندت على الطاولة الخضراء مسترخياً، مبتسماً في تواضع زائف، حتى اقترب مني محسن وقال بمصافحة ودودة: «براقو يا دكتور، حقيقي براقو».

- دي حاجة بسيطة كده.

- براندي؟

- ساعات والله.

- ساعات إيه؟ تاخذ معايا كاس براندي؟

- آه، لا مؤاخذه مش مركز من الماتش.

جلسنا سوياً على الأريكة المريحة في غرفة
البلياردو ندخن ونشرب البراندي، وكنوع من رد
الجميل على إنقاذي محفظته أخذ محسن يمارس
هوايته كالعادة وانطلق يثرثر ويعطيني معلومات لم
أطلبها: نحن هنا أخوية يربطها ما هو أقوى من الدم،
المقامرة، وامتلاكك لعضوية هذا النادي وبطاقته
هو شرف استثنائي، فالذي لا تعلمه يا عزيزي أنك
في مكان يضاها البيت الأبيض في ثقله. نادي
البوكر في بالم تاون يتحكم في بلاد كاملة، ورهاناته
المجنونة تحدد شكل المستقبل في الاستثمار والفن
والسياسة:

هل تتذكر تلك العشوائيات التي تم هدمها في
الدرب الأحمر؟ أخذها مستثمر هنا لصالحه بعدما
دخل رهاناً مع عضو مجلس شعب مرموق في لعبة
النشان بالأسهم. هل سمعت عن ذلك الفيلم ضخيم
الإنتاج عن الحضارة الفرعونية الذي لم يُعرض رغم
تكلفة إنتاجه المليارية؟ خسر منتج رهان بوكر
هنا مع واحد من حيتان صناعة الدواء حول عرض
الفيلم من عدمه.

يشير بيده ويكمل ثرثرة حول الحضور: هذا
الأصلع المتفطرس هو طارق عبده لاعب الكرة
السابق والمدير الفني لمنتخب الشباب، الذي ارتدى
قناع الثور في عيد ميلاد نيللي. يندر أن ترى طارق
بدون أي نوع من المكيفات، ويمكنك أن تستدل

على إدمانه بوضوح في هالات سوداء تحت عينيه
لم تفلح مساحيق التجميل في إخفائها، وفي حركة
عصبية يمسح بها أنفه كل بضع دقائق. ها هو
يسحب بعض المسحوق الأبيض من على إحدى
الموائد الخشبية مستخدماً دولاراً مبروماً، وإذا سأله
أحد أو نصحه بالتوقف قال أنها «تفاريح» ولكن كلنا
نعلم أنه مدمن خبير، وأنه حتى علّم بعضاً من شباب
منتخب الكرة الإدمان.

لعب طارق في أندية أوروبا بضع سنوات، من
الميلان في إيطاليا لباريس فرنسا لأتليتكو في
إسبانيا اشتهر بكونه مهاجماً فتاكاً، صاحب رأس
أصلع عابس يضرب الكرة كالمطرقة، وكان يُعرف
عنه الالتزام الشديد والجدية، حتى تعرف على
لاعب زميل من المغرب أدخله إلى عالم المهلوسات
والمخدرات من أوسع أبوابه، فانهارت مسيرته
بسرعة، خاصة بعد الإصابة بقطع مزدوج في الرباط
الصليبي بركبته اليمنى، وعاد إلى مصر يجر أذيال
ال فشل وعشرات الكيلوجرامات الزائدة، حاملاً
حقيبة من شغل الحواة الذي يعجب أي مسئول
مصري، كلام لامع عن السيستم ومصطلحات
إنجليزية وسمعة مرموقة، فصار المدير الفني
لمنتخب الشباب فجأة.

كما حكى لي محسن عن آخرين أيضاً، الطبيب
القعيد والأمير الخليجي وبعض رجال الأعمال
وفضائهم، فالتفتت له وسألته: (وماذا عنك يا

باشا؟) فقهقه وأجابني أنه كتاب مفتوح، وأنه رجل بسيط ذو متطلبات بسيطة: سيارات كلاسيكية وأغاني جاز قديمة واحتكار، التحكم الكامل في أسواق هو لذته الوحيدة، هذه هي الحياة التي خلقنا الله لأجلها ببساطة. وكان هذا هو الوقت حتى أسأل سؤالي الأهم: « والباشا ده إيه نظامه؟»، مشيرًا برأسي إلى (مالك) الذي دخل متوجهًا مباشرة إلى مائدة البوكر، فقال محسن هامسًا بابتسامة وهو يكور يديه الاثنتين فيما يشبه ثديًا أو مؤخرة: «ستات».

- ستات بس؟

- ستات وبوكر. مجنون قمار.

- اللي بيتضرب بالحريم ممكن يعمل أي حاجة، ممكن يقتل.

ألقيت الكلمة بطريقة عرضية لأرى إن كان سيظهر وجهه أي علامات، لكنه قال ضاربًا على فخذه: «تيجي؟»، فقلت مترددًا: «ماليش فيه يا محسن باشا».

- دور واحد مش هيفضر.

تحت إلجاحه مثلت الموافقة وإن كانت تلك هي خطتي منذ البداية كما اقترح عليّ شريف، أن أشارك (مالك) مائدة البوكر وأنتظر لحظة من لحظات الثمالة أو الخسارة حتى أستخرج منه أي معلومة مفيدة. تشاركت المائدة مع محسن و(مالك) وياسر

الحسيني المبرمج صاحب المرأة التي تمثل دور
الكلب، و(مروان) حبيب عارضة الأزياء السمينية،
واثنين من الباشوات العجائز اللذين لا أعرف لهما
اسمًا لكن صافحهما محسن بحرارة، خاصةً العجوز
الجالس على كرسي متحرك. مال عليّ رفيقي
وهمس بذات القصة التي سمعتها من رجال الأمن:
أن الشاب ذو ذيل الحصان، ياسر الحسيني مؤسس
الشركات الناشئة، يهيم عشقًا بعارضة الأزياء
السمينة لكنها مرتبطة بمروان الذي يجلس معنا،
والله حلیم ستار.

على المائدة خلطت الأوراق ووضعت الرقاقات
وأشعلت السجائر وزُصت أكواب الخمر بمكعبات
الثلج، ومن الكلام المتبادل حول الطاولة فهمت أن
هذا التجمع معتاد ويتكرر مرتين كل أسبوع، وأن
هناك قائمة ثار وثنائيات خصومة محفوظة وُلدت
كلها هنا على طاولة البوكر وتموت بمجرد مغادرتهم
إياها، ثم ذكروا (الجنينة) من جديد بابتسامات
خبيثة فأتير فضولي من جديد ولكني لم أنطق.

رغم تركيزي في شرح محسن الموجز والهامس
للعبة البوكر لم أفهم شيئًا، لذا آثرت المراقبة والتعلم
بعيني، وسرعان ما جذب انتباهي المباراة خلف
المباراة، مباراة النظرات والإيماءات والقرارات. مما
فسرت، كان يبدو أن مروان هو أمهرهم رغم صغر
سنه النسبي، يرسم دومًا ابتسامة واثقة أيًا كان
موقفه أو أوراقه، ويعرف كيف يتصرف. فهمت أيضًا

أن (مالك) هو أكثرهم سذاجة وعصبية، فدائماً ما يندفع أو يثور عند الخسارة، ورغم كونه الممثل الوحيد هنا لكنه كان فاشلاً تماماً في خداع اللاعبين والتظاهر بغير قيمة أوراقه، فمن السهل جداً أن تلقي له طعماً وتضطاده لأنه دائم الظن بأنه أفضل اللاعبين.

دارت أكثر من جولة على الطاولة بدون أن أستوعب سوى القليل مما يحدث، ولا من الكلام الإنجليزي المتطاير الذي لا أفهم منه حرفاً: (فول هاوس - ستريت فلش)، ولكنني كنت مستمتعاً حقاً بمراقبة الكلام الذي يلقيه كل واحد سواء في مزاح أو جد، والجنون المطبق الذي كان يستولي على كل منهم في لحظات، فكما قال محسن لم تكن الرهانات هنا على جنيهاً ودولارات، بل في تلك النسخة الخاصة من بوكر تكساس التي عدلها وطورها أعضاء نادي بالم تاون يمكنك الرهان على فيلا أو سيارة أو حتى خادمة. فقال واحد من العجائز باسمًا وهو يمسك بإحدى الرقاكات الملونة ليرفع الرهان: «الفيش ده باليخت بتاع الجونة.. جولة يخوت».

ومثله فعل الجميع تقريباً فلم ينسحب من الجولة إلا مروان الذي لم يكن يملك يختًا، وبنهاية الجولة الحامية أظهر الكل أوراقه ليفوز ياسر الحسيني بـ(رويال فلاش)، مما أثار إعجاب الحضور كلهم تقريباً لأنه أمر شديد الندرة، حتى أن محسن مال علي وقال: «الرويال فلاش ده ممكن ييجي لك مرة

كل سنتين، ده شكله يوم حظه». وهو ما ظهر جليًا على ابتسامته.

ثم بدأت جولة جديدة كان من نصيب مروان فيها وضع الرهان، فقال وهو يسحب رقاقة خضراء من كومتته وقال بابتسامة خفيفة: «خديجة». ولم أفهم في البداية معنى ما قاله، لكن ما تبادله الحضور حول المائدة من نظرات مندهشة ومتردة شرحت بعضًا من الأمر، فسأله (مالك) رافعًا حاجبيه: «صاحبتك؟ بتراهن بصاحبتك؟».

- خديجة التهامي، يوم مع المالتي ناشيونال موديل تعمل فيه أي حاجة، اعتبرنا هنفرکش لمدة يوم.

- إنت بتتكلم بجد؟

- مافيش هزار في البوكر. الرهان هنا طبقًا يبقى على أي واحدة تخص اللي هيراهن، صاحبتة مراته خطيبته.. أمه.

كان بإمكانني رؤية الامتعاض يعتلي كل الأوجه والشعور بالتوتر يفرض نفسه، بالطبع انسحب الجميع من تلك الجولة المهيئة، الكل حتى (مالك عز) الذي تردد قليلًا قبل أن يقلب أوراقه منسحبًا هو الآخر قائلًا: «مالك أوت». الكل عدا ياسر الحسيني الذي ظل يحملق في وجه مروان لبعض الوقت، أنفاسه مسموعة وأصابعه تنقر على الطاولة باستمرار، قبل أن يقول: «call». وهو ما يعني أنه

سيراهن بنفس قيمة رهان مروان، فسأله الأخير:
«مين؟».

- روان، أختي.

- حلوة؟

- اللعب يا مروان واحترم نفسك.

صار الأمر واضحًا الآن حتى للغريب المنضم حديثًا
للمائدة. خديجة التهامي عارضة الأزياء هي رهان
غير عادي على الإطلاق، فياسر لا يستطيع نسيانها،
ومروان حبيبها لا يمانع أن يراهن بها، بل في الأغلب
اختار هذا الرهان حتى يستفز ياسر الذي ربح سبعة
يخوت لتوه.

بدأت المباراة، والغريب في الأمر أن مع استمرار
الجولة ظل مروان يرفع الرهان حتى وصل إلى
ثلاثة أيام مع خديجة! صدقًا لم أتمكن من معرفة
ما يدور في رأس هذا الخبيث، هل هذا معناه أن
أوراقه مضمونة المكسب؟ أم أنه يدعي ويمثل فقط
حتى ينسحب ياسر الذي يظن أن اليوم هو يوم
حظه؟

كانت المباراة حامية وحبست أنفاس الكل، فلم
يقطعها سوى دخول شريف المتأخر، الذي ألقى
سلامًا سريعًا وسحب كرسيًا خلفي مراقبًا المباراة،
قبل أن ينكزني في كتفي ويهمس: «مالك ابتدا
يسكر، ركز معاه». ولكن آخر ما لفت انتباهي الآن
كان (مالك)، فياسر سرق مني كل التركيز بطول

أنفاس طويلة، تفكير بطيء، وتدخين السجائر. كان التوتر ينضح على كل شيء يتعلق بالمبرمج الذي كان يحسب ويفكر ويمسح عرقه من على جبينه ونظارته، على عكس مروان الذي كان مسترخيًا تمامًا ويرتشف خمره بمزاج أو يمازح أيًا من الحاضرين. وأخيرًا بنهاية الجولة أظهر كل منهما أوراقه، فقال مروان مبتسمًا بالسيجارة في فمه: «فول هاوس» عندما رأى أن أوراق ياسر خاسرة أمامه.

تجمد المشهد في غرفة البوكر وحل الإحراج كغيوم الشتاء، فلم يكن من الحاضرين أي حركة سوى مروان الضاحك الذي سحب كل رقايات ياسر تجاهه وهو يتأثى قائلاً: «ياسر بيه طماع كده على طول، عينه في اللي مش ليه». ولكن لم يرد ياسر على استفزازه، فقط زفر ومثل انشغاله بعد أوراقه، فقال مروان وهو يدخن المزيد من سيجارته: «أختك صدرها كبير بقى؟».

وددت لو لكمت هذا الوغد أنا شخصيًا، لكن ياسر نفسه سكت قليلًا وكأنه لا يهتم، قبل أن ينفجر فجأة ويقذف كوب الخمر الخاص به تجاه مروان، ورغم أن الأخير مال محاولاً أن يتفاداه لكن انكسر الكوب على رأسه وتطايرت الشظايا في كل مكان مع قطرات الدماء فابتعدنا جميعًا نحمي وجوهنا.

رأيت مروان يقفز على الطاولة كالكلب، على أربع،
ليقبض على رقبة ياسر ثم يسقطه أرضاً ويتشأبكان
في عراك بالأيدي والأرجل، وبسرعة جرى محسن
سكر مع شريف لأمن النادي، بينما حاولت أنا أن
أفض اشتباكهما الذي انعقد كخيوط الصوف،
وبينهما سمعت مروان اللاهث وهو يقول مسدداً
اللكمات للهواء في طريقها لياسر: «عشان تحرم
تبص في طبق غيرك».

استمر العراك لبعض الوقت حتى هدأ بفضل
محاولاتي للفض بينهما، لكن كان ثمن الجدعة
لكمتين في وجهي ونزيفاً بسيطاً من حاجبي الأيسر،
فجلست على إحدى الأرائك مع محسن، نسب ونلعن
الحريم وطيش الشباب، حتى أخبرته وأنا أضع
مكعبات الثلج على جروحي: «ما ينوب المخلص إلا
تقطيع هدومه والله».

وهنا تدخل شريف الذي جاءني واضعاً هاتفه على
أذنه والضيق يسكن ملامحه، ثم سحبني قائلاً: «فيه
مصابة».

- خير؟

- واحدة من ملاك الكومباوند اتقتلت من شوية.

(٢٤)

أطلس

- ريم -

أنزلتني سيارة الجولف الكهربائية في البقعة
المخصصة لها، وبالعصا تحسست طريقي إلى مدخل
الفيلا بعد أن أصغيت السمع لما حولي، فلم تصلني
أي أصوات غريبة، فقط الأصوات المعتادة للخريف
في پالم تاون.

تصميم الفيلات كلها موحد هنا، لذا لم يكن من
الصعب أن آخذ الطريق من بقعة انتظار السيارة
المعتادة إلى باب الفيلا رقم ٥٥C كما أحفظه مع
بيتي. وقفت أمامه لبعض الوقت لا ألوي على شيء،
لأول وهلة فكرت في طرق الباب بكل سذاجة
أو الاتصال بشرطة الكومپاوند ولكن لا، الخطة
الواضحة المكتوبة في ذهني هي الاختباء هنا
والإنصات، فأنا أتيت مبكراً عن ميعاد ميرثت بنحو
نصف الساعة، ويمكنني الانتظار حتى يحدث شيء
ما لأسجله على هاتفي كدليل، أو أبلغ الشرطة، أو
حتى أتدخل بنفسني.. ولم لا؟

بصعوبة سيطرت على الجموح الذي ركبني، ثم
ابتعدت عن الباب قدر الإمكان وتكورت على الأرض
خلف أجمة بجوار جانب الفيلا الأيسر، ومارست
هوايتي في الانتظار كما أستطيع، بحرفية شديدة،

حتى ظهر أول الأصوات.

الهدير الرتيب لموتور سيارة جولف ناعم يقترب من المنزل، ثم صوت بابها ينفتح وينغلق متبوعة بالرنّة المميزة لعملية إتمام الرحلة. خطوات أقدام، خمن حدسي أنها نسائية من الخفة والبطء الملحوظين.. تلك هي أقدام ميرثت المتوترة.

أصغيت سمعًا مضاعفًا لما سيحدث، والغريب أنه لم تُدق أبواب ولا تُرن أجراس، بل الصافرة المميزة لجهاز التحكم، ثم انفتح الباب، إذا فميرثت تحمل نسخة من المفتاح بالفعل، قيثا من تلك؟ جاهد عقلي معتصرًا أفكاره كالأناكوندا وأنا أحاول تذكر مالك القيثا رقم ٥٥C لكن بلا طائل، فقط صداع نصفي أصابني من كثرة التقطيب والتفكير، حتى انبثقت أصوات أخرى من الطريق أجبرتني على نبذ الفكرة والتركيز: محرك سيارة قوي يتوقف، أصوات احتكاك الإطارات بالأرض، هذا سائق عصبي ومتوتر، نزل من سيارته ثم قطع الطريق بسرعة حتى الباب، ثم طرقه طرقات قوية في استعجال. من عسى أن يكون هذا؟

بعدما انفتح الباب تحجرت في مكاني أحاول اتخاذ قرار. في يدي جهاز التحكم الخاص بالكومباوند يرتعش مع أصابعي، وحقيقة أن الباب الذي انفتح لم يغلق تمامًا تلمع بشدة في رأسي، فبإمكاني أن أدخل من هذا الباب الآن، وأواجه القاتلة، أو قد ألجأ للحل الأسلم، أن أجبن وأضغط

زر الطوارئ في الريموت لتحضر الشرطة في الحال
إلى موقعي، ولكن ما فائدة حضوري إذا؟ استفزني
العجز استفزاز طفل وقح ومدلل، شعرت به
يخرج لسانه ويخبرني أنني لا فائدة لي، فأخبرته
ووضعت الريموت في جيبتي. سأعتمد على نفسي.

لكن هناك شيئًا غريبًا يحدث، حدسي يصرخ
محذرًا.

فما ظننته سيكون جريمة قتل سريعة في
دقيقتين أو ثلاث انقلب وطال إلى انتظار مريب،
خمس دقائق، عشر، خمسة عشر، حتى تمكن مني
القلق مع عدم الفهم، وأغواني الباب الموارب بفكرة
واحدة: لم لا تدخلين؟ لم تعد هناك أصوات ولا
حركة مسموعة من الداخل، لا باب انفتح ولا باب
انغلق ولا رصاصات ولا خطوات، سكون مريب قبض
على المكان بشدة.

هناك عدة تفسيرات: قد يكونا قتلا بعضهما بعضًا،
أو أن واحدًا قتل الآخر ويعمل على إخفاء الجثة، أو
أنهما اختارا ممارسة الجنس بدلًا من القتل.

بلا تفكير قمت، أخذتني قدماي إلى باب الفيلا،
الذي دفعته بعصاي دفعة بسيطة فانفتح، ومعه
ارتفعت دقات قلبي إلى مائة ضعف. أن تمشي وأنت
أعمى هو أمر يشبه السباحة في البحر ليلاً، الحركة
الواحدة هي أمر جلل، بطيئة وثقيلة في مخك، ولا
يمكنك أن تتوقع ما الذي قد يقابلك بعد نصف متر.

وفي وضع مثل الذي وجدته في فيه كانت كل خطوة
بثقل (أطلس) الذي حمل كل العالم على كتفه، فلم
يكن مني إلا أن أشهرت عصاي عاليًا في وضعية
للدفاع عن النفس وأنا أمشي ببطء وحذر.

الأصوات هي حليفي الوحيد والواشي الذي قد
يدلني على أي معلومة، لكن حتى حليفي كان غائبًا
لأنه ببساطة لم تكن هناك أصوات على الإطلاق،
السكون الخبيث فقط. هل هما بالطابق الأعلى إذا؟
أم أن القاتل قام بجريمته وفر من أحد الأبواب
الخلفية؟ وقفت أستمع وأمد يد أذني لأي من تلك
الموجات الصوتية الهاربة في الهواء لعلني ألتقطها،
لكن بلا طائل.

حتى جاء الصوت.

من الظلام وعلى مسافة أمتار جهة اليمين بزغ
ارتطام أهوج غير مقصود، كما لو أن سببه هرب أو
محاولة سرية للفرار، فارتفع الفرع من حولي كأمواج
تسونامي، كقطيع من الدبة على وشك مهاجمتي.
اللا شيء مفزع، المجهول هو الرعب الحقيقي، هو
مائة حيوان مفترس يهاجمونك في نفس اللحظة،
لأنك ببساطة لا تعرف ماهيته، فيصير في تلك
الثواني هو كل الاحتمالات.

لا إراديًا صرخت، والتفت إلى اتجاه الارتطام الذي
جر خلفه مجموعة من الأصوات الأخرى: خطوات
ثقيلة تجري بسرعة ناحيتي، وأنفاس لاهثة، وزعقة

شخص على وشك أن يقوم بمجهود ما، مع رائحة
مسك تقترب مني، فأيقنت أنها ميرفت، وهويت
بعصاي ناحيتها لأشعر بارتطام العصا بجسدها،
ثم أترجع على الفور. طوحت بعصاي في عدة
اتجاهات وأنا أصرخ على أمل أن تتخلص من
المسدس في يدها، ثم شعرت بها تنتزع عصاي مني
بالقوة، فحاولت كالمجنونة أن ألكمها أو أطمها لكن
اصطدمت بساعدها، ساعدها الذي كان متينًا عريضًا
رجوليًا ومليئًا بالشعر عندما أمسكت به، مما أضرمت
الرعب في أعصابي! فصرت أطوح بيدي في كل
الاتجاهات حتى تأكدت من أنه رجل عندما أمسكت
بلحيته الكثيفة، وقبل أن أتمكن من المقاومة أو
الهرب شعرت بجسم صلب يهوي على صدغي.

كان ألمًا لا يطاق، تهاويت على أثره أرضًا وأنا أشعر
بكل أثر للقوة أو الوعي يفارقاني، أ تلك هي الحياة
تهرب مني؟ تتسرب من تلك الفجوة في جانب
رأسي؟ غريب الظلام، عندما تظن أنك وصلت إلى
قاعه وإلى أشد درجاته بعد العمى، يفاجئك أن هناك
المزيد، وأن ظلام غيابك عن الوعي لا زال أشد من
سواد العمى.

أنا أسقط، أشعر بفارق متواصل إلى قاع المحيط
الأسود البارد. على الأرجح أنا أموت، إنها نهايتي،
ولكنني بالرغم من ذلك تشبثت بالأصوات التي تدور
حولي من جديد: لهاث، الباب ينفتح على عجالة
ويغلق.

بآخر ما تبقى من حياة بداخلي تحسست الأرض
حولي بحثًا عن شيء لا أعرفه، فوجدت جسدًا
آخر مسجى أرضًا بجواري، جسد ناعم طري
فارقته الحياة وينام في بقعة واسعة من الدماء،
إنها ميرقت، ثم لا إراديًا دسست يدي في جيبي
وضغطت على زر الطوارئ في الريموت، ولم أتذكر
أي شيء آخر بعدها.



ارتباك

- ماهر -

رسميًا: اتضح أن الأمر أكبر مما ظننت، ولم يعد
يدور حول قاتل سرق تمثالي ويذبح الخادمت، بل
سفاح يصطاد البشر هنا في الكومباون سواء كانوا
أمراء أم خفراء، ولا أدري إن كنت أنا القادم أم لا.

ريهام رزق، المذيعة الشهيرة وجدت مقتولة في
فيلا خالية بلا ساكن. جريمة أثارت عاصفة من
الرعب والغضب بين جدران وأسوار البالم تاون،
فالقتيلة لها وزن وثقل إعلامي، كما أنها زوجة لأحد
رجال الأعمال المشاهير. وجدت ريهام مقتولة
بضربة بآلة حادة على الرأس، وبجوارها مسدس
مزود بكاتم للصوت، وجسد مالكة عمياء من مَلاك
الكومباوند فاقدة للوعي، ودبوس يحمل الفيل
الخاص بشعار حزب الجمهوريين الأمريكي. وبالطبع،
لا كاميرات تعمل!

في نادي البوكر وقع الخبر كلطمة مخبر من
مخبرين قسم السيدة على قفائي، ف(مالك عز) كان
يشاركني طاولة اللعب منذ أكثر من ساعة دخن
فيها وشرب الخمر ولعب البوكر، فمن هو القاتل
إذا؟ تشعبت نظرياتي التي لويتهها وضربت عليها
بمطرقتي بكل الطرق حتى تناسب القالب الذي

وضعته سلفاً: أن (مالك عز) هو السفاح. بالتأكيد له شريك، ولن أستبعد أن يكون سارة زوجته، ذات الفخاذ القشدية.

المثير للغيظ تلك المرة أننا نمتلك شاهدة على الجريمة لكنها عمياء، لذا هي حرفياً «شاهد ماشافش حاجة»، ولن تفيدنا في أي شيء. الجانب الإيجابي الوحيد في استمرار جرائم القتل هو أن سارق تمثالي لم يهرب، لا زال هنا ولا زالت الفرصة أمامي.

والغريب أنه رغم كل الرعب لم يترك أحد الكومباون، رغم تخميني أن كل هؤلاء النواعم سيهلعون بعد جريمة كتلك وسيفر كل واحد منهم إلى بيت من بيوته في أمريكا أو أوروبا أو حتى الشيخ زايد، لكنهم كانوا أشجع من ذلك ولم يترك أحد بيته أو المكان، فقط أعلنوا غضبهم واعتراضاتهم على جروب الواتس لمسئولي الكومباون وهدد كل منهم أن يتدخل بنفوذه لو لم يتم وقف تلك المهزلة، لكن اتفق الجميع على عدم تسريب الخبر للإعلام من أجل سمعة المكان.

لم أجد مهدئاً لحالة القلق تلك سوى الذهاب للچيم، الذي صار عادة لا يمكنني تجاهلها حتى في صبيحة جريمة كبيرة كتلك التي قلبت الكومباون، فالأمر قد بدأ في الإتيان بثماره، ونقص وزني ١١ كيلو وازدادت نسب العضلات في جسدي. في الصباح ذهبت إلى هناك بكل نشاط لكنني لم أجد هشام، بالأحرى لم أجد

في الجيم كله سواي، ومهما اتصلت بالمدرّب لم يكن ليرد، فقررت في نهاية المطاف تكرار تمرينة الأمس، وبنهايتها كنت أتصبّب عرقًا ولهاثًا، حتى رأيت الثلاجة الـ١٦ قدم المدعوة بهشام وقد أتى أخيرًا، لكن شيئًا به كان مختلفًا.

وجهه غائم يلوح به الكدر، لا يلقي سلامات ولا صباحات ولا نكات حول «الفورمة»، وعلى غير العادة لم يفارق الهاتف يده ولم تترك عيناه شاشته التي راح يتفقدّها كل خمس دقائق، على الأرجح كان يتابع قلقًا ما حدث للمذيع. ألقيت عليه التحية متوسمًا بعض الفخر والتشجيع بسبب قميصي الغارق في العرق، ووجهي الأحمر كتسبيكة المحشي، لكنه منحني ردًا فاترًا، مغمغمًا بكلمات مثل (ما شاء الله) و(عاش) وهو يحتوي جبهته بين يديه فيما بدا لي كمحاولة لاحتواء صداع ما قبل أن يخرج عن السيطرة، فبادرت وتركت تمرينتي لأحضر قدحي قهوة من الكافيتريا، ثم عدت بهما لنجلس سويًا في أحد الأركان.

في البداية ثرثرت حول عضلاتي وتمريني وكل تلك المواضيع التي إذا ما انفتحت انطلق الكلام منه وأمطر سيولًا لا تتوقف، لكنه كان يبتز كل أحاديثي، وعندما سألته عما به أجابني باقتضاب أنه مريض للغاية. لفت نظري الجروح في ظهر يده وعلى معصمه، خربشات طويلة لأظافر حريمي طالت كلا ذراعيه، فسألته بخبث عندما طافت برأسي خيالات

جنسية له مع واحدة من زوجاته، كثيرة الصراخ
والخريشة: «المدام؟».

- آه، خناقة.. خناقة.

- شكلك بتتخانى كثير يا كوتش.

- لا لا مش الفكرة، مشكلة عائلية بس.

- وإيه المشكلة، بالك أنا لو متجوز.. هتخانى كل
يوم.

لم يرد، وعلى الأرجح لم يفهم المعنى الجنسي
الذي كنت أرمي إليه - وإن وجدته أنا خفيف الظل -
فتركته عندما أيقنت أنه لن يتحدث ولن يتفاعل
أبدًا اليوم. النكد، هذه مشكلة قاتلة من مشاكل
الزواج، لهذا السبب أنا لم أتزوج قط. بالطبع تلك
كذبة من أكاذيبي التي أخبرها للناس ولنفسي
باستمرار، فأنا لا أمانع على الإطلاق بعض النكد، بل
الكثير من النكد، سأبتلعه وأمضغه وألقه عن طيب
خاطر ما دام هناك من تشاركني تلك الحياة وتأخذ
النصف في كل ما أملك.

كنت أنوي المرور على شريف لنتناقش في ما
حدث بالأمس، فطلبت من جهاز التحكم سيارة
جولف لتقلني حتى مكان عمله، ولكن في الطريق
انتزعني صوت سيارة إسعاف من التفكير، فتابعتها
وهي تشق الطريق متسائلًا إلى أين تذهب، هل هناك
جريمة أخرى ارتكبت بعد جريمة ليلة أمس! أوقفت
سيارة الجولف الإلكترونية ثم تابعت سيارة

الإسعاف مهرولاً، متحاملاً على قدمي المتعبتين،
حتى رأيتهما تتوقف أمام فيلا من الفيلات ومنها
ينزل طاقم من الممرضين بصحبة الشابة العمياء
التي كانت ضحية في جريمة أمس، تسندها
خادمتها ذات الجسد الفائر، ومعهما سيدة أخرى
خمنت من الشبه أنها أمها.

وكانها موجودة في عقلي من قبل، ظهرت الفكرة
مرتبة وواضحة: أستجوب الكفيفة وأحصل منها
على تفاصيل الجريمة حتى تتضح الصورة، وتفهم
علاقة (مالك عز) بها. وقفت أحوم حول الفيلا
متحفزاً، أدخن سيجارة وأنا أجهز خطة للاقتحام
والسؤال، وبعد نحو نصف الساعة من مغادرة
الإسعاف ودخول أهل البيت خرجت الخادمة تحمل
سبتاً كبيراً من الغسيل لتنشره في الحديقة الخلفية،
فانتهزت الفرصة وانقضت عليها قائلاً بابتسامة
المقاول خاصتي: «مساء العسل».

- مساء النور.

- اسم الجميل إيه؟

- نجاة.

- الصغيرة؟

- لا الخفيفة.

- إنتي هتخشي لي قافية ولا إيه؟ إجري إندهي لي

ستك يا بت.

- ستي؟ آنسة ريم نايمة.

- تصحيحها.

قلتها وأنا أعد بعض العملات الورقية التي
أخرجتها من محفظتي حتى تثير في نفسها شيئاً،
لكنها لم تعرني أي اهتمام وولت وجهها الشطر
المقابل، فأوقفتها صائحاً: «أنا مش بكلمك يا بت
إنتي؟!»، وأجابتنني هي بنوع من الحنق والملل:
«بقولك إيه، أنا شايفة إمبراح ليلة ما يعلم بيها
إلا ربنا وقاطعة أجازتي ودماغي قد كده، والنبي
تسيبني في حالي عشان مش شايفة قدامي».

- خدي بس. هم كلمتين وهجلي لك بـقك،
خمستلاف حلوين؟

- لا وربنا أبداً، إنت شايفني إيه؟ أنا مافتنش على
اللي مشغليتي نهائي.

- فتنة إيه يا عبيطة. أنا بس عايز أعرف اللي
حصل إمبراح.

- معلش يعني ماتأخذنيش يا فندم، تعرف بأمارة
إيه؟

قلت واضحاً راحة يدي على صدري: «أنا ماهر
الأسيوطي، اللي الشغالة الفليبينية اتقتلت في
الفيلا بتاعتي»، فاعتدلت نجاة في وقفها بعدما
كانت مائلة، ثم قالت مرتبكة وهي تضع السبت على
الأرض: «لا مؤاخذة يا فندم والله ما كنت أعرف إنك

أونر هنا.. حَقك عليا».

- قُصر الكلام، اللي قتل الشغالة سرقني وأنا بدور عليه. ومش بعيد يكون هو اللي ضرب ستك إمبارح واللي بيقتل ثاني. أنا عايز أعرف بقى هي شافت إيه.

- مابتشوفش بعيد عنك، عميا، بلايند.

- سمعت إيه، قال لها إيه. أي حاجة.

- الصراحة ماعرفش، وبعدين هي حبيبتني تعبانة نفسيًا من اللي حصل.

- تفوق وتسألها لي جوز أسئلة بس، وليكي الحلاوة.

- أنا ولا عايزة حلاوة ولا بقلادة، سلامة ريم عندي بالدنيا.

- يبقى اعرفي منها عشان ماحدش ثاني يموت. أديكي شايفة الشغالات عمالين يتدبحوا واحدة ورا الثانية.

- طب ما يمكن إنت اللي بتقتلهم وجاي بتدحلب عشان تعرف لك كلمتين.

ضحكت رغما عني، أعجبتني الخمرية التي تتصرف على سجيتها ولا تبالي لمكانتي الاجتماعية، سواء لشجاعة أو لغباء منها - كما أعجبتني أردافها - فقلت مبتسما: «بالذمة ده منظر واحد يقتل فرخة؟».

- أهو مايقولش كده غير الفرارجي اللي بيدبح
العشة كلها.

- هعديها لك عشان شكلك على نياتك ومش عارفة
بتكلمي مين. عمومًا هستناكي بالليل الساعة ٩ هنا،
تكوني سألتها إيه اللي حصل بالضبط.

لم أنتظر منها جوابًا وبسرعة التفت لأخرج
خروجًا مسرحيًا، ثم اتصلت بشريف لأقابه كما
كنت أنوي. في الفوودكورد بالبلازا انتظرتة على
طاولته المخصصة، وسرعان ما ظهر في المكان
حاملًا صينية تضم بعض شطائر الوجبات السريعة،
مما كان له أثر حزين أكثر من حزني على التمثال
المسروق. مللت المسلوق عديم الطعم والبهارات،
وصينية مثل تلك قد تدفعني للسقوط في خطيئة
كبرى حالًا.

عانقني في تحية سريعة وجلس يأكل ويتحدث
حول حالة الاستنفار التي تسبب فيها مقتل المذيعة
في قطاع الأمن، وأن مدير أمن الكومباون سيقطع
سفرите إلى دبي خصيصًا حتى يتابع عن قرب ما
يحدث، وخصوصًا مشكلة الكامرات التي لا تعمل
وقت الجرائم.

في تركيز استمعت له، فلم أكن أنوي مقاطعته أبدًا،
لكن ما قاطعه كان أصوات معدتي الحزينة الجائعة،
فأخرجت غلبي البلاستيكية من الحقيبة التي
تحتوي على الخضراوات المطهوة بالبهار والأرز

المسلوق وصدور الدجاج المشوية، عذاب مُتنكر
في هيئة طعام، ثم شرعتُ أكل معه وهو يحكي لي
تفاصيل ما حدث، فسألته مُقطبًا وأنا أمضغ دجاجي
الفقير في بطة: «عليًا النعمة أنا هتجنن، مش
عارف إزاي مالك كان معانا وريهام اتقتلت في نفس
الوقت».

- مش شرط نفس الوقت، ممكن يكون عملها وجه
على النادي طول.

- يا قلبه! ده يبقى جاحد أوي.

- خلي بالك يا ماهر إحنا لسه مش متأكدين إن
مالك هو القاتل.

- طب والتسجيل؟ والسكينة؟

- يمكن صدفة. يمكن لقاها ومسكها على القاتل،
يمكن كان معاه سكينة في الوقت الغلط.

- يا عم ولا صدفة ولا بتاع، الكلام ده تقوله في
المال والبنون. بالك إنت، أنا شاكك إن مراته اللي
بتساعده.

- اشمعنى؟

- ولية صفرا كده ومش سهلة. هو بيقتل وهي
تغطي عليه.

- طب وليه مايكونش أخوه التوأم؟

- هو عنده أخ توأم؟

- آه طبعا. بييجي يزوره مرتين ثلاثة في الشهر.
- يا ولاد ال...! يعني ممكن اللي في التسجيل
يكون...؟

- مش عارف. فيه مليون تفسير.

هذا الاحتمال كان منطقيًا ومثيرًا، أخ توأم يساعد
أخاه في جرائم القتل، أو ربما هو القاتل أصلًا
ويستغل وجود أخيه كغطاء. قطع شريف كلامي
ضاحكًا: «الأكل شكله عاجبك جدًا».

- اسكت يا هندسة اسكت دي حاجة تعيل.

- طب خد كمل، أنا شبعت.

- من يد ما نعدمها بس مش هعرف، هتبوظ لي
الريچيم.

- دي قطعة صغيرة.

- ممنوع عليا أي حاجة طعمها كويس.

- وهتستفيد إيه من ده كله في الآخر؟

- صحتي على الأقل.

- والله الصحة دي وهم كبير.

- يا عم ماتقولش كده دي نعمة من نعم ربنا.

- صدقني يا ماهر فيه ناس بتفضل عايشة طول
عمرها على المسلوق ده وبتقطع سكر وملح وكل
حاجة، وييجي لها كانسر في الآخر.

- الأعمار بيد الله، إنت هتكفريا جدع؟

لم يجبني، إنما رنت عنه ضحكة بسيطة ثم مد يده بالجزء المتبقي من الشاندوتش ناحيتي، فحاولت تجاهلها مشيخا ببصري لثانية أو اثنتين لكنني لم أستطع المقاومة أكثر من ذلك فانقضضت عليها والتهمتها على مرة واحدة. تحدثنا ومازحته قليلا، قبل أن يرن هاتفي، برسالة واردة من (أنيس فيرمونت) تقول:

(بكرة ياذن الله تصور التمثال زي ما اتفقنا عشان الباشا عايز يشوفه. كذا صورة من زوايا مختلفة وإنت حاطت جنبه جرنال بتاريخ اليوم).

توقفت تماما عن المضغ، انسدت شهيتي تماما وتوفيت إلى رحمة الله.

يجب أن يحمل لي اللقاء في المساء مع الخادمة بعض الإجابات.

للقطط سبعة أرواح

- ريم -

لا أعرف كيف نجوت.

كانت الضربة على رأسي عنيفة إلى درجة شعرت معها بالدماء تسيل بغزارة وبالحرارة تغادرني، لكنني بطريقة ما، استيقظت بعدها في المستشفى الخاص بالكومياوند. ربما كانت ضربة مميتة فعلاً، أو ربما بالغت رفاهية حواسي في تقديرها، لا يمكنني أن أجزم، كل ما أعرفه هو أنني شعرت بأنياب الموت وهي تغرس في جسدي لبعض الوقت قبل أن تفلتني.

استدعائي للأمن من جهاز التحكم هو ما أنقذني، لأن (الأمان في پالم تاون أولوية قصوى) كما يقولون في الإعلانات والمطبوعات، ولهذا تمكنوا من إنقاذي ونقلني بسرعة البرق للمستشفى، وكما قال الطبيب لم يكن الأمر خطيراً من بعد إيقاف النزيف.

هناك، أصابتنى نوبة غضب شديدة بمجرد إفاقتي وإدراكي لما حولي، صرخت وصحت وطلبت العودة للمنزل رغم كل تحذير استقبلته حول حالتي الصحية وعدم استقرارها، فأنا لن أرقد هنا متمارضة بينما القاتل طليق بالخارج بعدما حاول قتلي!

عندما استعدت الوعي سألت سؤاليين، الأول كان

لجميع الواقفين: من التي قُتلت؟ ولصدمتي لم تكن ميرفت، وكانت تلك مفاجأة أكبر من الاعتداء عليّ، ولكنني ما زلت متأكدة من كوني على الطريق الصحيح أكثر من ذي قبل، فمحاولة قتلي، مع حقيقة وجودي في موقع الجريمة، والحوار المسجل الذي وصلني، كلهم يؤكدون صحة مساري، باستثناء حقيقة أن المجرم الذي هاجمني كان رجلاً، ولكن هناك تفسيرًا بكل تأكيد لوجوده وعدم وجود ميرفت.

السؤال الثاني كان لنجاة بعدما خرجوا جميعًا: هل جاء محمود؟ أخبرتني أنه لم يأت ولم يتصل، مما زرع خنجرًا صغيرًا في قلبي زاد من هياجي وإصراري على العودة للمنزل، فلم يكن منهم إلا أن طاوعوني، وعدت معهم برأس مغلف بالشاش، وقلب يضمّر المزيد من الغضب والرغبة في الانتقام.

في البيت نمت كثيرًا ولم تفلح الكوابيس في إيقاظي، عشتها كلها حقيقية ملموسة ورأيت القاتل رشدي أباطة ملتحيًا يهوي على وجهي بسكين فيقطعه ويشرحه، ورأيت ميرفت فيه شويكار تدخن سيجارها وهي تراقبني واحة قدمًا على الأخرى ثم تضحك في تشف قبل أن تطفئ السيجار داخل عيني العمياء.

ما أيقظني كان يذا حنونًا تربت على كتفي، فزعت لها وسألت بصوت صدى: «مين؟»، فأجابني الصوت الأقرب إلى قلبي: «أنا محمود».

اعتدلت في جلستي على السرير محاولة
الاستفاقة، ثم سألته بنوع من الغضب البارد: «لسه
فاكر؟»، فجلس بجواري على السرير، وكعادته
أمسك بيدي فهدأت العواصف وخفتت الأصوات ولم
يتبق سوى السكون. قال: «سلامتك.. ما كنتش أعرف
خالص، بس لما عرفت جيت على طول».

- مش مبرر.

- حقا عليا.

- طيب.

- إحكي لي إيه اللي حصل.

- أنا هتجنن بجد! مش عارفة إزاي ميرفت
مكانتش هناك!

- فيه مليون تفسير، المهم عرفتني أي حاجة عن
اللي حاول يقتلك؟

- بدقن.

- دقن إخوان يعني؟

- ما عرفش. دقن يا محمود.. like a regular
beard.

- بس كده؟

- ريحته كمان شبه ريحة ميرفت.

- عشيقها ممكن؟ جوزها؟

- دماغي هتنفجر.

- أنا أسف. ارتاحي شوية.

- ماتسبنيش.

قلتها ويدي تتعلق بيده، تعرف طريقها بلا توهان أو
عمى كما يعرف المغناطيس طريق المعدن، وتحت
أصابعي شعرت بأصابعه هو الآخر تختلج في رقة.
إنه الحب، إنه الوهن الذي يصحب رقة الحبيب
واستسلامه، والاعتراف الصامت بمكنونات قلبه.

رغم كل شيء لم تدر الحياة ظهرها لي بالكامل،
وفي وسط ظلامي أهدتني شمعة اسمها محمود.
لبعض الوقت ظلت أيادينا معلقة، قبل أن يتركني
ويذهب، طابعا قبلة على جبیني.

كنت بالفعل أشك في أحدهم، بل متأكدة من أنه
هو الذي هاجمني، لكنني لن أخبر محمود ولا نجاة
ولا أي مخلوق بهويته حتى لا أبدو كالحمقاء من
جديد. هشام جابر مدرب اللياقة ومدير الجيم
الخاص بالكومپاوند، صاحب براند (fitness
bear) التي تضم سلسلة چيمات ومكملات غذائية
ومدربين وبرامج على اليوتيوب والتيك توك، وبراند
(elephant) لملابس زائدي الوزن.

لا زلت أتذكر جسده المتين كبير الشبه بالمثلث
المقلوب ولحيته الكثيفة، وأتذكر أيضًا أن جسد
مهاجمي كان متينًا وله لحية طويلة، ومنه تفوح
رائحة مسك قد يكون مصدرها ميرفت شريكته

التي نامت في حضنه وحرضته على القتل، أو قد تكون رائحة البخور الذي يفوح به منزله أو مكتبه طوال اليوم، لا سبيل للمعرفة سوى أن أتحرك الآن وأذهب له.



آير چوردان ٣٧

- ماهر -

على عكس توقعاتي حضرت الخادمة في الميعاد.

كانت تقف أمام فيلاتها تقرض أظافرها إما في ملل
أو في قلق، وما أن رأني قادمًا في سيارتي حتى
تلفتت حولها ثم قالت: «مساء الخير يا فندم، أنا
جبت لك الحاجة». فقلت ملقيًا بابتسامة عريضة من
نافذة السيارة: «عفارم، اركبي».

- أركب إيه؟ لا والنبي ما ينفع.

- اركبي يا بت هو أنا هاكلك؟

- معلش يا باشا وحياة أمك.

- الله يرحمها.

- طب ورحمة أمك.

- وبعدين في لسانك اللي طول مُلة السرير ده.
مش هخطفك ماتخافيش، هي كُباية شاي في
البنزيمة اللي جنب البارك.

وقفت مترددة قليلًا، ثم رأيتها تنحني أرضًا لتلتقط
قطعة كبيرة من الحصى الأبيض المتناثر بالحديقة
والمدخل وتقول وهي ترفعها أمام وجهها: «عشان لو
حاولت تتهجم عليا ولا حاجة». ضحكت مجددًا

واتسعت ابتسامتي أمام الخادمة خفيفة الظل وهي
تفتح الباب ثم تركب السيارة وننطلق. وفي أحد
الكافيهات بمحطة من محطات الوقود جلسنا.

للأسف كانت معلوماتها شحيحة وغير نفع كبير،
القاتل ملتج، وماذا بعد؟ في الكومباون مائة رجل
ذي لحية، وكأنها تقول إن مهاجمها كان يمتلك
خمسة أصابع في يده اليمنى! لم أستفد منها أي
شيء تقريبًا، ولا أعرف هل يمكن أن يوصف (مالك
عز) بأنه ملتج أم لا، فذقنه مشذبة ومعتنى به لكنها
خفيفة في الوقت ذاته!

كان الأهم في اجتماعنا الصغير هو أنني لاحظت
كم هي سريعة البديهة وبها شيء لافت من كرامة
قلما تجدها في خادمة، لم تتعامل معي وكأنني
سلطان من السلاطين أو صاحب قوة عظمى لمجرد
أنني غني، فكان الاحترام موجودًا والتوقير حاضرًا،
ولكنها في النهاية تعي أنني بني آدم وأنها إنسانة،
وهو ما كان ظاهرًا في جلستها المستقيمة وطريقة
إمساكها لكوب الشاي الورقي ونظرها المباشر في
عيني.

شكرتها على معلوماتها ومجيئها، وسألني هي
قلقة: «إنت مش السفاح صح؟»، فأجبتهاب مبتسمًا:
«مش بقولك لسانك ده عايز قطعه؟ أنا لو سفاح
كنت هقعد أشربك شاي في البنزيمة؟».

- حرص ولا تخون. يمكن حاطت لي فيه منوم.

- بقولك إيه. أنا بدور على شغالة، تيجي تشتغلي عندي؟

- ماقدرش أسيب ريم.

- بتديكي كام الست ريم يعني؟

- مش قصة فلوس والمصحف، دي عشرة وفي مقام صاحبتي.

- يا بت بلاش الشويتين دول. هديكي قدها ٣ مرات.

- أنا أخدمها ببلاش، كفاية ظروفها واللي هي فيه.

- عشان عامية يعني؟

- كلك نظر إنت.

- طيب. على العموم لو عرفتني حاجة ثاني كلميني، أنا هديكي نمرة تليفوني.

- اسم الباشا إيه؟

- ماهر، ماهر بيه الأسيوطي.

ثم دسست في يدها ما اتفق على الوجود في جيبني من الأموال، فأخذتها بدون أن تعدها ثم سجلت رقم هاتفي وودعتني عائدة لمنزلها مشيًا. لمدة من الوقت جلست مكاني على الكرسي الطويل بالكافيه الصغير، أخلط الأفكار بالإحباطات بالأدلة وأقلب الأمر من عدة زوايا، وأنا أَلْفُ يدي حول كوب الشاي الدافئ، أفكر جديًا في ما يمكنني فعله مع

أنيس والباشا لمماطلتهما قليلاً.. هل أدعي المرض؟
إنه حل جيد، مؤقت لكن جيد.

في جعبتي الآن قصاصات متناثرة لا يربط بينها
رابط: ساعة روليكس رجالي، لحية، سكين، وآثار
حذاء مغمسة في الدماء. هذا الحذاء دليل هام
نسيته تمامًا! تذكرت آثار الحذاء التي صورتها
على هاتفي، فبحثت بين الصور حتى وجدتها
وتأملتها قليلاً: كانت آثاراً مميزة تحتوي على بعض
الانحناءات والأشكال الهندسية، وأهم ما يميزها كان
رمزاً شهيراً لرجل يقفز في الهواء فاتحاً رجليه ويبد
يمسك كرة رافعاً إياها لأعلى.

بطريقة ما أعرف هذا الرمز وتلك الماركة، رأيتها
من قبل مراراً وتكراراً لكنني بالطبع لا أعرف اسمها،
ورغم محاولاتي للبحث عن اسمها في جوجل
فشلت، حتى بعدما جربت كل التنويغات الممكنة
ليمدني الرجل الخفي خلف الشاشة بالإجابة التي
أريدها (أشهر ماركات الكوتشي - حذاء رياضي عليه
رجل يقفز ويمسك كرة - كوتشي رجل ينط بالكرة)،
ولكن كانت النتائج غبية إلى أقصى حد: مواقع
لتعليم حراسة المرمى وبيع أدوات الفروسية وحتى
موقع وزارة الرياضة الأردنية.

في صباح اليوم التالي عقدت العزم على معرفة
نوع الحذاء ومقاسه بأي شكل، لكن قبل أي مشاوير
طرقت نيللي بابي مبكراً في مفاجأة، حيث قابلتها
بأعين متورمة وفم رائحته كالجيفة، ثم فوجئت بها

تحتضني وتخبرني: «أنا زعلانة منك عشان مش تسأل».

أهدتني بعدها صندوق هدايا أتت به من رحلتها الأخيرة لباريس، مجموعة عطور اختارتها لي، فاعتذرت لها عن تقصيري متعللاً بالمشغوليات، واتفقنا على زيارة في أقرب فرصة.

بمزاج رائع للغاية بدلت ملابسي وحقنت نفسي بالأنسولين ثم اهتديت إلى زيارة محلات الأحذية الرياضية في المول وسؤالهم عن ماركة الحذاء في الصورة، ولم يكن الأمر صعباً على الإطلاق، حيث أخبرني شاب ذكي النظرات في ثاني المحلات التي دخلتها أن تلك ماركة تدعى (چوردان) وأن هذا الموديل على الأرجح هو (آير چوردان ٣٧)، وأما بالنسبة لمعرفة المقاس فكان الأمر في نطاق ملعبتي وخبرتي.

فبعد عودتي للمنزل أخذت قياسات البلاطة الواحدة في غرفة معيشتي، بالمازورة، لأنها نفس البلاطة الأساسية التي تم تشطيب أغلب فيلات الكومباون بها، كما هو الحال في فيلا (جميل العناني) حيث حدثت الجريمة الثانية، وبمقارنة مقاس البلاطة الحقيقي بالنسبة للتي احتلتها آثار الحذاء على البلاطة في الصورة توصلت إلى مقاسه.

يرتدي قاتلنا العزيز حذاء (آير چوردان ٣٧) مقاس ٤٦، له لحية ولا يرتدي ساعة روليكس. لا أظنها

مواصفات شائعة بدرجة كبيرة في البالم تاون، إذا
لنلعب لعبة السندريلا ونبحث عن صاحب فردة
الحذاء، والجرائم الثلاث.

(حقك عليا يا حبيب أخوك أنا متململ في
المستشفى والله، عيان بموت ومعلقين لي محاليل
بعيد عنك، هقوم بالسلامة وأكلمك طوالي ياذن
الله).

تم الإرسال إلى أنيس فيرمونت



اللعب مع الدبية

- ريم -

بالطبع قوبل قراري بالرجوع للچيم إما بالسخرية
أو الاستنكار من كل الناس: نجاة وأمي، وحتى أبي
الذي جاء لزيارتي بعدما علم بحادثتي، وكعادته في
وضع لمساته المخربة والتغوط على كل ما قد يحمل
نية طيبة قال وهو يحتضنني بميكانيكية: «مش
واخدة بالك إني بقيت بشوفك كثير؟».

ورغم رفضه ورفض الكل، صممت على الفكرة
الراسخة في رأسي وذهبت للچيم بعد يومين فقط
من الحادث. كان منظري غريبًا بمنظاري الأسود
ورأسي الملفوف في الأربطة والشاش، وأنا أتأبط
ذراع نجاة وأقول للفتاة في مكتب الاستقبال بكل
ثقة أنني أريد الحجز والانضمام لبرنامج المدرب
هشام جابر.

لم ترفض الموظفة اشتراكي مباشرة وإن أصابها
ارتباك واضح كونها لا تعرف بالضبط سياسة انضمام
المكفوفين للچيم، وبعد عدة مكالمات صادرة
وواردة أجلسني على أريكة مريحة بالاستقبال،
وأعطوني عصير أناناس مثلجًا حلو المذاق، ثم بعد
لحظات جاءت بصوتها الناعم الباعث على النوم
لتخبرني أن إدارة الچيم لا تمنع انضمامي بشرط

وجود مرافق، وأن الكوتش هشام على وصول.

أثناء انتظارنا سألتني نجاة عدة مرات عن سبب قراري المفاجئ فكنت أسكتها بكلمتين أو ثلاث باقتضاب ثم أرتشف المزيد من الأناناس، حتى سمعت وقع أقدام ثقيلة وصوتًا رجوليًا قويًا من خلفي يرحب بمرح قائلاً: «يا هلا يا هلا.. أنا جيت أهو». بالتأكيد كان هذا هشام، الذي التفث ناحيته بابتسامة واسعة.

كيف تعترف أنك قاتل في مواجهة شاهد على جريمتك؟ بالتغيير المفاجئ في نبرة صوتك، بالقطع المفاجئ للكلام، باللعثمة والتعلل بأي عذر واه حتى تبتعد مرتبًا أفكارك. بكل تلك التهم ضبط هشام متلبسًا أمامي، فظللت كما أنا أمنحه ابتسامتي الواسعة الباردة التي تحمل من المعاني والاحتمالات ما يكفي حتى يظن ألف ظن في الدقيقة. وبعد دقائق من التعلل بدخول دورة المياه عاد. كان صوته أكثر تماسكًا بشكل نسبي وإن شاب أسلوبه رسمية غير مبررة، فقال: «مين فيكم اللي جاية تتمرن؟».

- أنا.

- آسف جدًا يا فندم، آسف جدًا بس مش ماينفعش.

- ليه؟ عشان عامية صح؟

- للأسف دي rules الجيم عندنا.

- أنا بشوف كويس على فكرة، يعني وإنت قدامي
يبقى أنا عارفة إنت بتعمل إيه.

لم أتلق منه أي رد، فقلت (بتلعب بالسبحة؟) عندما
سمعت أصوات حباتها المتعاقبة، وفورًا أتاني صوت
لعابه المزرد ليخبرني أنني أصبت، ثم ساد بعدها
صمت ثقيل. إنه مرعوب.

لذا قلت ببساطة بعد رشفة من الأناثاس: «بلييز
يا كابتن هشام، أنا محتاجة ده. زي ما إنت شايف
فيه واحدة ماعرفهاش هجمت عليا من كام يوم
وماعرفتش أضربها».

هبت عليّ رياح الارتياح من صوته الذي ارتخى
فجأة عندما سمع أنني أتهم امرأة بمهاجمتي، عندما
تأكد أنني مجرد عمياء حالفها الحظ في التخمين،
فقال بصوت لاح فيه نوع من التردد: «والله مش
عارف. يعني هو...»، لكنني قاطعته قائلة: «وبعدين
في الريسبشن قالوا لي ينفع على فكرة».

- خلاص، توكلنا على الله.

أخبرته أنني سأتي من الغد ثم مددت يدي بالسلام
فصافحني بيده الضخمة الخشنة، التي تعمدت
فركها فركة بسيطة وأنا أسحبها، ثم استنشقت
رائحتها وأنا أعطيه ظهري. مسك، ها هي رائحة
القاتل.

تركت نجاة تتعامل مع الأمور الورقية والدفع وأنا
أستمع على الأريكة لرواية من روايات ستيفن

كينج، وإن لم أنتبه لأغلب كلامها بسبب تحليقي بين
سماوات الخطط والأفكار، أفكار عدة عما يمكنني
فعله مع هشام، أو فعله بهشام على وجه الدقة.

كان الوحيد المؤيد لفكرة ذهابي للچيم هو محمود،
الذي تحمس وأخبرني أنني أحتاج لتغيير الأجواء
والعادات، ورغم أنني أوشكت على إخباره بخطتي
وشكوكي شبه المؤكدة حول هشام لكنني تراجع،
لن أكرر حماقتي مرتين وأظهر بمظهر الكفيفة
الغبية التي تحاول لعب لعبة لا تملك أدواتها.

في مساء نفس اليوم قابلت حبيبي من جديد،
أقلني بسيارته حتى سينما السيارات في شمال
الكومپاوند، حيث كانوا يعرضون فيلمًا من أفلام
رعاة البقر القديمة، والذي شاهدناه من داخل
سيارته.

تشابكت أيادينا في راحة بطول الفيلم وأخذ
يقص عليّ كل ما لا أستطيع استنتاجه من الحوار،
ثم صرنا نتوقع حبكة الفيلم وما سيحدث في كل
مشهد. أطعمني بعضًا من المثلجات ومازحني ملوئًا
أنفي ببعض منها، وعندما تبادل البطل والبطة
قبلة شعرت به يقترب مني، وبلا مقدمات تلامست
شفاهه مع شفاهي فساحت أعصابي كالحمم
البركانية، ولمدة دقيقتين ذاب العالم وتوقف وارتد
الزمن إلى لحظة الخلق الأولى، فلم يكن هناك سوانا،
ريم ومحمود، آدم وحواء في سينما السيارات
الخالية، وغريزيًا التفت يدي حول عنقه لتجذبه

وتدفنه أكثر بين شفتي.

وبعد القُبلة التي استمرت لدقائق، عاد كل شيء لطبيعته. الفيلم لا زال يُعرض والنجوم تلمع وأوراق الأشجار تتمايل مع النسيم، الاختلاف الوحيد كان قلبي المهتاج الذي اشتعل بالنار.

قال برقته المعهودة: «كل سنة وإنتي طيبة يا حبيبتي».

- بمناسبة إيه؟

- عيد ميلادك كمان ٢٠ يوم.

- محمود إنت بتهزرا! أنا نفسي كنت ناسية.

- وأنا ماقدرش أنسى.

ثم سمعت أصوات دُرج السيارة ينفتح، وشعرت بعدها بجسم معدني بارد يُدس في يدي، ثم قال محمود: «دي أول هدية، swiss knife تحمي بيها نفسك عشان اللي حصل مايتكررش»

- مش عارفة أقولك إيه.

- وفري الكلام لعيد ميلادك اللي بجد.

لم نتبادل الكثير من الكلمات بعدها وإن اشتبكت أيادينا أكثر، ثم درنا بسيارته في الشوارع قليلاً نستمع لأغاني روك الثمانينيات التي يحبها، خاصة أغنية «you give love a bad name». بعدها أعادني لمنزلي وأنا أحافظ على ملامحي جامدة

محايدة، وإن اتسعت ابتسامتي أمتارًا ما إن أوليته
ظهري وعدت للداخل.

كانت ليلة لن أنساها، نمت فيها بعمق وخفة وكأن
سريري سحابة عملاقة والغرفة هي السماء نفسها،
وللمرة الأولى أشعر بالامتنان لكوني على قيد الحياة
وأتنفس وأمس. لدي خطة للإيقاع بهشام، ولكن
ليس الليلة وليس الآن، الليلة للحب والوله والعشق.



سندريلا

- ماهر -

آخر ما كنت أتوقعه هو أن أمشي في أرجاء الكومباون محملاً في أحذية سكانه وفاحصاً ماركاتها، لكنني قررت خوض لعبة السندريلا لآخرها بلا كلل أو ملل، فانخفض مستوى رؤيتي حتى صار يلامس الأرض تقريباً وأنا أتفرس في كل فردة، باحثاً عن الرجل القافز الممسك بالكرة.

في البلازا والشارع والمول سرت أبحث عن الأحذية وماركاتها حتى عشت في عالم من الكعوب والنعال، محاظاً بالصنادل والشباشب الباهظة والأحذية الرياضية. حفظت كل الأشكال والمقاسات، وحتى في صلاة الجمعة ذهبت للجامع الكبير ووقفت خارجاً أتأمل أزواج الأحذية المخلوعة وأقلبها فاحصاً الرسمة المطبوعة أسفلها فبدوت كحرامي أحذية محترف سينال الضرب بعد أن يُضبط متلبساً. ضحك شريف عندما قصصت عليه ما أنا بصدده -رغم اعترافه ببراعة خطتي- وقال إنني إذا استمررت سينتهي بي الأمر فاقداً عقلي كالمجاذيب أطارد الأحذية في الشارع بملابس ممزقة.

استمر بحثي لثلاثة أيام حاولت خلالهم العثور

على الحذاء المنشود، وفي اليوم الثالث عندما
تمكنت منى آلام الرقبة مع الملل لم أجد ما أفعله
أفضل من الذهاب للبارك واستنشاق الهواء لعله
ينقي عقلي الذي امتلأ بالأحذية، فجلست بجوار
البحيرة الكبيرة واستلقيت على الحشائش بأقدام
حافية أتنعم بخلاصة رحيق الغروب الساقط من
السماء، أفكر في القاتل والتمثال المسروق وزيارة
نيللي الأخيرة. كم أشتهي العاهرة، ولكنها خائنة
رخيصة، شاهدتها بأم عيني تخون زوجها وتخونني
مع (مالك عز) ورجل آخر.

عندما أزعجتني الخاطرة الأخيرة اتصلت بمرقس
ومنحته بعض التوبيخ على الخادمة التي لم تأت
بعد لأن أكل الوجبات الجاهزة يوميًا سيخرب بيتي،
فاعتذر عشر مرات وأقسم بكل الأيمان أن آخر
خادمة اتفق معها تم حبسها في قضية آداب، مما زاد
من حنقي عليه. وعلى ذكر الطعام اضطربت معدتي
تسألني بعضًا منه، فلم أجد بداً من طاعتها، وبعد
بحث غير مضي في أرجاء البارك عما يصلح للأكل
الصحي لم أجد، لذا اعتبرتتها علامة صريحة على
تناول أكل البشر الطبيعي، ومن عربة متخصصة
في بيع الهامبورجر اشتريت ٤ شندوتشات وطبق
بطاطس كبيرًا بالجبن ومشروبًا غازيًا، وجلست
ألتهمهم بشهية تفوق شهية سجين في زيارة زوجته
السنوية. ما ألد الطعام وما أحلاها متعة من متع
الحياة!

في لحظات تحولت إلى خنزير لا يبقي من الدنيا
سوى الأكل، فلوثت شفتي وشاربي بالكاتشب
وصرت أقطر كل أنواع الزيوت والشحوم، إلى أن
اقتحم مجال رؤيتي -المصوب أرضًا- حذاء يحمل
صورة رجل يقفز في الهواء حاملاً كرة سلة. ولثانية
توقفت كل أجهزتي الحيوية! بسرعة انتقل بصري
وجرى على ساق صاحب الحذاء مروزًا ببطنه ثم
رقبته فوجهه، وكان صاحب الحذاء هو طارق عبده،
لاعب الكرة السابق.

تركت طاولتي وشندوتشاتي ووقفت في ارتباك،
بلا خطط أو أفكار مسبقة اندفعت صوب طارق
الواقف أمام عربة البرجر منتظرًا طلبه في تأفف،
فصافحته بعدما خلعت القفازات البلاستيكية،
وبابتسامة مغمسة في الكاتشاب قلت: «مساء الأنوار
يا نجم». فبادلني التحية بواحدة سريعة، لكنني لم
أتوان أو أتردد، بل رحت أذكره بالماضي وأغدقه
بالمديح حول أساليب لعبه الاستثنائية وكيف
أن البلد لم ينجب مهاجمًا مثله، ثم صحت زاعقًا
في عامل شواية الهامبورجر أن يسرع ولا يترك
طارق باشا ينتظر، وتحت تأثير كل هذا لبي دعوتي
بمشاركتي الطاولة.

حذاء آيز چوردن، لحية، ولا ساعة روليكس. على
طاولة واحدة جلست مع القاتل المتسلسل وسارق
ثروتي، الذي كان كل ما فيه بالفعل يرجح حقيقة
كونه سفاخًا: جسد قوي، رأس حليق لامع، بالإضافة

لأعين اسودّ أسفلها من جراء الإدمان والكوكايين،
بشكل كبير لقد عثرت على ضالتي.

سألته بود أين كان بكل هذه الأناقة، فأجابني:

- كنت بلعب جولف.

- لا والله فعلاً؟ محسوبك أحسن واحد يلعب
جولف في مصر.

- فعلاً؟

- أحسن من الخواجة اللي عملها.

- مايبانش عليك يعني.

- طب تيجي لي ماتش؟

لم يبد متحمساً لكلامي، وبالطبع معه حق، فأنا
لا أعرف عن الجولف سوى أنها منطقة في مصر
الجديدة، لكنني اندفعت كعادتي وعرضت عليه
رهائاً في مباراة، نصف مليون جنيهه مني إلى ٥٠٠
جنيهه منه، فرأيت شبح ابتسامة خفيفة يتجلى
على وجهه، ثم بسرعة حددنا يوم الأربعاء كميعاد
للمباراة المرتقبة، وتصافحنا مصافحة لاعبي جولف
محترفين، ثم تركته بعدما فرغت من طعامي، لكن
قبل أن أذهب سألته:

- حلوة الجزمة.

- ده من ذوقك. Air Jordan ٣٧.

- معلش ماتأخذنيش في السؤال، مقاس رجل

النجم كام؟

- ٤٦.



(٣٠)

عطل في الخطة

- ريم -

اصطحبتني نجاة للچيم في صباح اليوم التالي،
وذهبت مرتدية ملابس الرياضة التي نسيها جسدي
منذ زمن: صديرة رياضية وردية اللون، وسروالاً
رياضياً رمادياً، طقم كنت دائماً ما أبدو مثيرة فيه،
مما ضحك بعض الثقة في عروقي.

هناك، استقبلني هشام بتحفظ واضح، وسارت
تمارين التمدد والإحماء بآلية باردة، لكنني مدحته
مرتين وضحكت على نكتة من نكاته السخيفة،
وبداية التمرين نفسه ذاب كل جبل جليدي بيننا
وطار تحفظه بعيداً.

واتتني اللحظة المناسبة عندما طلبت نجاة
الذهاب لدورة المياه، فأذنت لها بعد أداء تمارين
البطن بالذهاب، ثم طلبت منه البدء بتمرين
السكوات حتى تأتي خادمتي. كنت أعلم تمام العلم
أنه سيراقب جسدي ومفاتيحي مستغلاً عماي، فرحت
أنزل وأصعد بنصفي السفلي متلقية التشجيع منه،
قبل أن أقول له في منتصف التمرين: «إنت عارف
إنك بتفكرني بحد يا كابتن؟».

- حد مين؟

- حد أذاني جامد.

صمت. لم يجرؤ على الرد، فقلت وأنا أو اصل
التمرين: «بس مش هسيبه كده كده». ولم أتلق
منه سوى المزيد من الصمت قبل أن يقول ببطء:
«قصدك إيه بالضبط؟».

- هبلغ البوليس.

- بوليس؟ بوليس إيه؟

- مش سرق عربيتي؟ يبقى لازم أبلغ عنه.

- إنتي بتتكلمي عن واحد سرق عربيتك؟

- الوسخ.. تخيل؟ رغم أنه كان صاحب پاڤي.

- لا لا يبقى لازم بوليس طبقًا، طبقًا.

تسرب الارتياح لصوته من جديد. كم أحببت تلك
اللعبة البسيطة التي قد تدفعه للجنون.

بعد نهاية التمرين لم تحضر نجاة، استغربت
تأخيرها، فدعاني لفنجان من القهوة حتى تظهر،
وقبلت عرضه بكل أريحية كفرصة قد تكشف لي
المزيد عن السفاح. رائحة المسك واللحية أدلة قوية
لكنها ليست كافية، أردت ما قد يربطه بجريمة
أنجيلا أو الجريمة الثانية، فسألته ببراءة من
على الأريكة الجلدية: «شوفت اللي بيحصل في
الكومپاوند؟ رعب».

- الدنيا بقت صعبة أوي، أوي بجد.

- ليلة ما أنجيلا ماتت أنا كنت جنب القفلا، تخيل

كان ممكن أكون أنا مكانها!

- ربنا ستر.

- إنت كنت فين ليلتها بقى؟

- كنت عند زوجتي الثانية.

- إنت متجوز اتنين؟

- وبدور على الثالثة إن شاء الله.

- واو. ومبسوط بقى؟

- أوي أوي.

- ليه ممكن حد مبسوط يقتل؟

- إيه؟

وقبل أن أرد أتت نجاة أخيرًا تعتذر وتهرول،
فودعته بابتسامة بريئة من جديد وكأنني لم أقل
شيئًا، ثم شكرته على تمرين اليوم ووعدته بالمجيء
غدا، وفي كل ذلك لم ينطق بحرف. لقد عثرت
على القاتل، بدون أدنى شك توصلت لسفاح پالم
تاون، وإن كان احتمال ميرفت لا يزال قائمًا أيضًا
بقوة، فتقول غريزتي أنهما شريكان بطريقة ما رغم
الفجوات في النظرية.

كنت أشعر بفخر غير عادي وأتمشى متبخترة وأنا
أتأبط ذراع نجاة، فعند هذه النقطة كنت قد تبادلت
قبلة لا تنسى مع محمود، وتمكنت من هشام وها أنا
أطهوه على نار هادئة، وكل شيء أصبح تحت

السيطرة. المرحلة الآتية من خطتي كانت المزيد من الأكاذيب، في الغد سأذهب من جديد وأتلاعب به.

ولكن الغد أتى، وعكس ما خطته جاء يومًا حزينًا قاسيًا، رغم خلوه من جرائم القتل والمؤامرات والخطط. من اللا مكان استيقظت على خبر خطبة (عُمر) حبيبي السابق، لواحدة من صديقاتي السابقات، التي دعت أُمي للحضور.

يومها لم أتحرك من السرير، ضربني الحزن مثل البرق ثم أتت الحقائق لتتساقط على رأسي تباغًا كالمطر في يوم قارس البرودة: العالم مكان بشع، لا وجود للكارما ولا العدل ولا كل تلك المفاهيم إلا في الروايات. لقد انتهت حياتي فعليًا منذ اليوم الذي فقدت فيه بصري، وعلى الأرجح لن أكون سعيدة أبدًا إلا للحظات دقيقة، مسروقة، فرغم أن الأمس كان يومًا رائعًا، ولكن كعادة الدنيا تضربك في خضم لحظاتك السعيدة، بموجة من بحر الماضي الميت، بذكرى عشوائية تهدمك تمامًا كقلعة من الرمال أمام الموج، واليوم ضربتني بموجة عُمر.

عُمر هو المجرم غير المدان بسرقة بصري بسبب قيادته المتغطرة على طريق العين السخنة، وإن كان جرمه الأكبر هو كسر قلبي. ظل عُمر هنا لثلاثة أيام من بعد خروجي من المستشفى، ثلاثة أيام فقط، قبل أن يبتعد ويختفي تمامًا، لا يرد على مكالماتي ولا يزورني ولا يتواصل معي بأي شكل وكأني مُت مع موت بصري، وبلا أدنى مجهود

تخطاني. لم يوجه لي حرفاً، لم يتركني بكل صراحة
أو يقول لوجهي أنني لم أعد أصلح، فقط سكت
كما لو أنني أحقر من بضعة أحرف ينطق بها لسانه.
والآن ها هو يخطب واحدة من صديقاتي.

الندبة الكبرى التي منحني إياها هي أنه كان شريك
كل شيء، فأصبح كل شيء يحمل تلك الندبة.
السينمات والطعام والأغاني والجنس والسجائر،
كل ذلك فعلته معه للمرة الأولى، علمني إياهم ثم
تركني، فانقطعت عن كل شيء تقريباً من بعده.
عندما تكبرين بلا أب، تبحثين عن أبيك في كل رجل
تقابلينه على أمل أن يكون هو الأب الحقيقي، أن
يمدك بالأمان والحنو والكتف التي تحملك وتلف
بك العالم، ولكن في الأغلب ينتهي بك الأمر بنفس
الإحباط الأول الذي جنيته من الرجل الأول في
حياتك، بل ويتعاضم ما زلنا بمحطات كل الإحباطات
التي تلتها.

فكرت أن أتصل به، الآن، أن أصرخ فيه وأخبره
بكل كلمة حادة وجارحة ادخرتها له منذ رحيله،
وأنني أفضل وأسعد بدونه. رغم كل محاولاتي
للغفران والنسيان لم أفلح، فكيف أنسى من طبع
بصمته على حياتي كلها تقريباً، من فض بكرة
عالمي وكتب على كل المرات الأولى اسمه؟

مزاجي غير رائق على الإطلاق، عكر ومظلم، وعليه
توالت أمواج الأفكار السوداوية تباغاً: أبي وأمي،
ظلام عيني، شلبي الذي مات، مستقبلي المهدر،

وكل الطرق غير المكتملة التي تركتها في المنتصف.
عند هذه النقطة -فجأة- بدا وكأن حياتي كلها تسير
في اتجاه خاطئ تمامًا، وكأنه لا يوجد شيء واحد
صحيح.

أنا أعلم أن محمود هو حبيبي، أنني أحبه وأهيم به
عشقًا، لكن سيظل عُمر شوكة في ظهره وفي ظهري
وفي حلق أي مشاعر جديدة تنمو بداخلي. هل
تنكسر مثل تلك الأشواك أبدًا؟

مدفوعة بذلك الإحساس الغبي اتصلت بمحمود،
طلبت منه أن نتقابل فاعتذر بسبب ضغط عمله،
لكنه تراجع في الحال وغير موقفه عندما سمع
نبرتي الباردة الغاضبة، وفي أقل من ساعتين قابلني
بسيارته عند المول. غلب الصمت علينا على غير
العادة، بدون كلام قال وجهي كل شيء عن حالتي
المزاجية، فخاف المسكين أن ينطق بأي شيء من
شأنه أن يفتح عليه بابًا من أبواب جهنم أو يكون
نواة عاصفة تبتلعه. أخيرًا قلت ببرود: «هو إحنا
إيه؟».

- إحنا homosepians؟ كائنات في قمة الهرم
الغذائي.

- أنا ما بهزرش!

- إحنا بنحب بعض.

- وطالما بنحب بعض مابتجيش بيتنا ليه؟

- مش جيت لك مرة؟
- جيت والبيت فاضي.
- هاجي وهو مليون حاضر.
- محمود ماتستهبلش إنت فاهم قصدي.
- أنا بجد مش فاهم حاجة.
- إنت بتقابلني دايمًا في أوقات يا إما بدري أوي يا إما متأخر أوي، وبنروح أماكن مافيهاش ناس كتير..
- إنت مكسوف الناس تشوفك معايا؟ بتعرف مني؟
- إزاي تقولي كده أصلًا؟! أنا مفهمك مواعيد شغلي.
- مامي بتسألني عنك.
- بتقولك إيه؟
- بتقول لي هي ليه لحد دلوقتي ماشافتكش.
- مش بدري شوية على الكلام ده؟
- إحنا مش عيال صغيرة، ولا أنت عايز بس تتشر...
- قاطعني: ممكن تهدي شوية؟
- أنا هادية جدًا.
- واضح. عمومًا ماشي، في الويك إند هاجي لكم.
- براحتك عادي.
- ما أنا بقول هاجي خلاص.
- الحاجة مالهاش طعم أما تطلب.

- ريم ممكن سؤال؟

- نعم.

- إنتي عندك البيريود النهاردة صح؟

- برافو. دي أغبي حاجة ممكن تقولها لي دلوقتي..
أنا عايزة أروح.

يا للرجال وغبائهم! يمتلكون موهبة استثنائية في
انتقاء أسوأ الأوقات لقول أسوأ النكات -بغض النظر
عن أنه كان موعد دورتي الشهرية بالفعل- خاصة
أنه كان يعلم أنه بالفعل يمشي على طبقة رقيقة من
جليد غضبي.

أعادني إلى منزلي في صمت لم يملؤه سوى أغاني
فرقة (guns'n'roses)، وأفكاري تتداخل وتطير
وتتزل داخل رأسي رغم كل محاولاتي لإبعادها، فلم
تهداً إلا عندما آويت أخيراً إلى فراشي، حيث لم
أعد أسمع أو أرى سوى رشدي أباطة الملتحي الذي
يرتدي تي شيرت رياضيًا بدون أكمام، وما سأفعله به
غداً.

(٣١)

مباراة جولف

-ماهر-

لم أتوقع أن أرى نجاة في الجيم. لمحتها وأنا
أجري على المشاية الكهربائية، فتوقفت عن الجري
وناديتها لتلتفت هي لي مستغربة، ثم اقتربت منها
أنضح عرقاً وأقول بابتسامة لاهثة: «بتعملي إيه
هنا؟»، فأجابتنني: «مع ريم بساعدها».

- العامية؟

- اسمها كفيفة. وبعدين مش سألتني السؤال ده
قبل كده؟

- وأسأله لك مليون مرة عادي.

- اللي تشوفه يا فندم.

- إيه فندم الماسخة دي؟ إنتي نسيتي اسمي ولا
إيه؟

- لا إزاي، ماهر الأسيوطي. ده حتى اسمك حلو
وبيعلم في الدماغ.

ابتسمت لها ابتسامة صادقة، ثم وجدتني أسألها
لو كانت مشغولة مساء اليوم، متحججاً بتبادل
المعلومات والحديث حول القاتل لأنني توصلت
لحقائق هامة، فأخبرتني أنها لا تعلم بعد، ولكنها
ستتصل بي لو كان بإمكانها المجيء. غادرت

الخادمة الخمرية الجميلة، فصعدت على المشاية من جديد ورفعت السرعة أعلى وأنا لا زلت أبتسم كالأبله، اسمي حلو؟ إنها المرة الأولى التي يخبرني فيها أحدهم بذلك. اسمي حلو بالفعل، ماهر، كيف لم أفكر في هذا من قبل؟

بنهاية التمرين تناولت قضيب البروتين الذي اشتريته من الكافيتيريا، لأن الخادمة لم تأت بعد، فاتصلت بمرقس لأوبخه بعد أن أخبرني أن آخر خادمة عثر عليها طلقها زوجها وأنها تطوف المحاكم خلفه. ثم أفرغت جدولتي لأقابل الخادمة الخمرية في المساء.

بعد يومين من المقابلات المتكررة مع نجاة، أخذت التلفريك إلى ملاعب الجولف المتواجدة على هضبة الكومباون من أجل مباراتي مع طارق، السفاح.

لا أعرف حتى كيف أمسك بمضرب الجولف، ولكنها بالتأكيد ليست كيمياء، عصا وكرة وحفر، نسخة محرفة من البلياردو، وأنا خبير في الأخيرة. في الطريق للملاعب -التي كان منظرها ساحراً من التلفريك- وردتني مكالمة من (أنيس) شتتني عن الاستمتاع بالمناظر الخضراء بل وسابت مثنائي لها قليلاً، فأجبتها متظاهراً بالتعب وملأتها بالسعال والحشرجة مع وعد بسرعة تصوير التمثال ما أن أقوم بالسلامة، أما هو فكان بارداً كالرخام في عز

ديسمبر، وأخبرني أن صبر الباشا قد بدأ ينفد، وأن هذا التمثال بالتحديد يهمه دوتًا عن غيره، ولو ظهر في الأمر خدعة سيشرف هو بنفسه على تصفيتي.

بعد نزولي من التلفريك وصلت ملاعب الجولف في السيارة الصغيرة، أصبح وأصرخ في مكالمات التليفون، مهندسين ومقاولين وعمال أصب غضبي عليهم من أنيس صبا، فأسب الأديان وألقي الألفاظ الخادشة بالكيلو على مسامعهم كالعربجي الذي بداخلي الذي نسيته تمامًا بين تلك الأسوار.

ثم في بقعة بعيدة بالملاعب الواسعة رأيت طارق بصلعته ولحيته واقفًا مع رجل أعمال شهير لا أتذكر اسمه، يأخذان الأوضاع المحفوظة للاعبي الجولف، حيث يظل واحد منهما عينيه براحة يده ويقف الآخر معتمدًا على مضربه. تنحنحت وأنا أقترّب منهما فالتفتا لي، صافحتهما وقدمت نفسي للغريب الذي انسحب مدرّكًا للتحدي بيننا وهو يرتشف من زجاجة بيرة مثلجة مثل التي يحملها طارق، ثم بدون مقدمات طويلة بدأت المباراة، فقط ألقى عليّ الثور أسئلة قصيرة سريعة لم أفهم منها حرفًا -وهو يقوم بحركة عصبية في أرنبة أنفه بسبب إدمان الكوكايين- ولكن من السياق فهمت أن كلها كانت تعني بطريقة أو بأخرى (هل أنت مستعد؟) فأجبتها كلها بالإيجاب، وبدأت المباراة.

ضربت الكرة بالمضرب عشرات المرات، ولم يحالفني حظ المبتدئين ولا مرة تقريبًا، فحاولت

أن أظهر بمظهر المحترف الذي يواجه يومًا صعبًا،
وبين كل كرة والأخرى كنت أتنهد أو أمثل التفكير
ونحن نتمشى أو نركب سيارة الجولف، أو أتصنع
الرد على مكالمات هاتفية هربًا من أي كلام يطرحه
في صميم تفاصيل اللعبة. أخيرًا قلت وأنا أتموضع
أمام الكرة لأضربها: «ماتأخذنيش يا طارق باشا،
دماغي مش فيا النهاردة خالص». ولم يسألني البارد
عما بي، فقط قال كلامًا بلا معنى عن مشاغل الدنيا
وهمومها، فأجبتته وأنا أضرب الكرة: «كلام في شرك،
عندي صفقة آثار مهمة قريب والجو لبش».

كنت متأكدًا من أنه سينتبه، فسارق تمثالي الأثري
على الأرجح لا يعرف كيف يتصرف في بيعه وماذا
يفعل به، أو ربما يطمع في المزيد. سأل بنبرة غطى
الاهتمام طبقاتها: «آثار؟»، فقلت ساخرًا وأنا أراقب
الكرة وهي تهبط بعيدًا بعدما ضربتها: «بتخاف ولا
إيه؟».

- أخاف من إيه؟ مستغرب بس.

- وإيه الغريب؟ دي شغلة ربحانة مليون المية.

قال مازحًا ونحن نركب سيارة الجولف للكرة
البعيدة: «مش خايف أبلغ عنك؟».

- صلي غالنبي يا أبو الكباتن. ما كلها هنا حرامية
وبتمشي بطال. ماتفرقش بقى بودة من سلاح من
شوية آثار.

- بس دي آثار، إنت بتسرق البلد.

- مش أحسن ما أخلي العيال تدمن، أو أتاجر في سلاح الناس تقتل بعضها بيه؟ دول شوية طوب وزلط.

- تصدق أقنعتني.

قالها وهو يضحك ماسحاً أنفه للمرة العاشرة، ثم يسكت في تركيز أمام الكرة التي وقف فوقها منحنيًا، يحدد ببصره كيف سيضربها. فقلت وقد اقتربت منه، بهمس مسموع: «بالك إنت؟ أنا عندي في الفيلا تماثيل تشتري الكومباون ده باللي فيه». هذه هي الخطة، ببساطة: بما أنه طمع في تمثال فسيطمع في المزيد، وعندما يطمع الإنسان فإنه حتمًا يخطئ. القناعة قد لا تكون كنزًا لا يفنى، لكنها بالتأكيد درع، وواقٍ ضد رصاص الطمع وهفواته.

الآن صار شكي يقينًا. عندما أخطأت ضربته الكرة وتجاوزها المضرب علمت جيدًا أن أعصابه مهتاجة وأن رأسه لا يرى المساحات الخضراء الشاسعة المتعرجة ولا ثقوب الجولف، هو لا يرى فقط سوى تمثال حتحور القابع في منزله أو في مكان ما آمن. سألته وأنا أميل عليه من جديد في انحناءته لضرب الكرة التي أخطأها: «بيني وبينك أنا بدور على شريك أمين، وكابتن طارق طول عمره لعب جوة الملعب. تحب تجرب ملعب جديد؟».

وكما يحيك العنكبوت خيوطه فيتساقط بداخله الذباب، تساقط طارق عبده في شبكة الأموال

المحتملة التي غزلتها. أوماً برأسه ومط شفتيه،
قال بصوت واهن: «وماله؟»، فحددت معه مساء
السبت في منزلي، بعد ثلاثة أيام، كي يأخذ فكرة
عن البيزنس ويعاين بنفسه، بعد أن ينتهي من عشاء
ضلح في بيت محسن سكر، بين ياسر الحسيني
وبين مروان، بسبب الكارثة التي حدثت في نادي
البوكر. عشاء لم أكن مدعوًا له كالعادة، ولكن لا يهم.
الخطبة ببساطة هي: سيأتي ليقتلني، سيأتي
ليسرق التماثيل الوهمية، ولكنه سيجدني مستعدًا.



لعب على المكشوف

-ريم-

قررت الانتهاء من كل شيء اليوم.

وفقًا للخطة الأصلية كنت سأتلعب بهشام لمدة،
وببطء أظهوّه في مرّجل واحد مع شكوكه حولي
وحول حدود معرفتي بجرائمه، لكن كعادتي، نفذ
صبري سريعًا. استمتعت بلعبتي في البداية ثم مللت
منها في اليوم الخامس، كما بدأ القلق في دق بابي
قائلًا أن هذا الفيل قد يعقد العزم على قتلي في
أي لحظة كما قتل غيري من قبل، فكان قراري هو
الانتهاء منه سريعًا.

كنا نتمرّن في الطابق الأول الخاص بتمارين
الكارديو، حيث جعلني أقوم بالجري في المكان،
وعندما نال مني التعب أمرت نجاة أن تجلب لي
قارورة المياه التي تركتها بالأسفل، متعمدة.

قال وهو يتثاءب: «خدي نفسك شوية لحد ما
تيجي». ولم أكن في مزاج رائع للألعاب، فقلت
مباشرة وباقتضاب: «أنا عارفة إنك اللي ضربتني
في الفيلا بعد ما قتلت ريهام». ثم حل صمت لبعض
الوقت لم يشغله سوى الأغاني الأجنبية التي تصدح
من السماعات، قبل أن يتحدث هشام ويقول: «فكري
بس تقولي حاجة، فكري بس، وأنا أقسم برّبي لا

هعمل من دماغك دي قازة».

لم ينكر ولا يلف ويدور، وهو ما أعجبني، فقلت
بهدوء لم يخل من استهانة: «ما أنت ماعرفتش
تعملها أول مرة. مع إنك المفروض خبرة».

صمت، كم أنا مستفزة. ثم قلت لما لم أجد منه
سوى أنفاس ثقيلة:

- بس أنا مش عايزة أقول لحد. لو كنت عايزة كنت
قولت من بدري.

- أومال عايزة إيه؟

- هنعمل deal. إحنا الاتنين هنكسب.

- إزاي؟

- مش كل حاجة تتقال في الـ outdoors يا كابتن
هشام.

- أنا مش عبيط.

- إنتي خايفة من واحدة عميا ياتي؟

كنت أعلم أن هذه النقطة بالتحديد ستثير جنونه،
ستهشم رجولته الهشة أصلاً، فضحك ضحكة
عصبية تداخلت مع أصوات حبات سبحته التي
تعاقت بسرعة، ثم شعرت به ممسكاً برسغي، يهرسه
بعنف ويقبض عليه كأنما يقبض على لساني كي لا
يفشي الأسرار، ثم يقول: «إنتي اللي تخافي على
نفسك يا حلوة». فأفلت يدي من قبضته وقلت

ببساطة: «طالما إنت جامد أوي كده قابلني النهاردة
بالليل الساعة ١٠ ونص في نفس الفيلا اللي قتلت
فيها ريهام».

- إنتي عايزة إيه بالضبط؟ خليك صريحة.

- عايزاك تقتل لي حد مضايقني أنا كمان. يبقى
win win situation. وكده كل واحد سره هيبقى
مع الثاني.

سكت لدقيقة يطحن الاحتمالات والأفكار بين
رحايا عقله، ثم قال بجفاء: «مش هقابلك في مكان
مقفول».

- يوغوتي إنتي خايفة ريم العامية تضربك؟

- احترمي نفسك يا بت!

- لا لا كده مستوى الحوار بقى بيئة أوي. عمومًا
زي ما أنت قولت المفروض أنا اللي أخاف تعمل فيا
حاجة مش إنت. بس أنا مأمنة نفسي anyway.

- إزاي؟

- وأنا غبية عشان أقولك إزاي؟ هقولك ثاني يا
كابتن هشام، لو كنت عايزة أضرك بأي طريقة كنت
قولت لبوليس الكومپاوند من بدري.

- لو لعبتي بديلك أقسم بالله ها...

- النهاردة بالليل الساعة ١٠ ونص.

هل سيأتي أم لا؟ لا أعلم، بل لا أعلم ما الذي كنت

أفعله من الأساس، فالخطة كلها كانت مرتجلة
وتتشكل في ذات اللحظة، ولم أكن أتحكم في
لساني، وإنما تركته يقودني على الطريق السريع
للجنون، إلا أن النتيجة كانت مُرضية بشكل
كبير عندما تمكنت في النهاية من ترويض هذا
الدب\الفيل الضخم. العلامة الأولى على تمكّني
منه كانت اعتذاره عن استكمال التمرين، والعلامة
الثانية هي صياحه في وجه أحد عمال النظافة
بالجيم في طريقه للخروج. تمنيت أن أرى وجهه في
تلك اللحظة، والرعب الذي غطى ملامحه مني.

اتصلت بنجاة-التي تأخرت من جديد- وخرجنا من
الجيم لنتمشى بعد أن ساعدتني في تغيير ملابسني،
وبناءً على رغبتني تناولنا الإفطار في أحد المطاعم
العالمية التي تطل على البحيرة. كان مزاجي
معتدلاً بعد مواجهتي مع هشام فأكلت إفطار
«انتركونتيننتال» شهى وطلبت لنجاة مثله، ثم بعدما
فرغنا أخبرتها وأنا ألعب بنظارتي السوداء أنني
أعرف من هو القاتل.

استشعرت الحماس مع القلق في صوتها وهي
تسألني عن هويته، فأخبرتها أنه هشام، وأني أحتاج
مساعدها في شيء يتعلق به مساء اليوم، ولكن
على غير المتوقع ارتبكت نجاة وأخبرتني أنها لن
تكون موجودة مساء اليوم، غلب الكذب على صوتها
وهي تقول أنه ظرف خاص بحالة والدها الصحية.
لم قد تكذب نجاة؟ أيّا كان السبب فأنا أثق بها،

وأعلم أنها لن تضرنني أبداً، ربما هي فقط تخجل
من الاعتراف بالسبب الحقيقي، وأنا لن أتدخل في
حياتها الشخصية.

لم أعلق على عذرها الواهي، فعلى كل حال
فمحمود سيكون مصدر مساعدة ودعم أكبر منها
بكثير في خطتي، المشكلة الوحيدة فقط هي أنني
لم أتحدث إليه منذ مشاجرتنا في السيارة، وأنه
لم يعتذر لي عما حدث، حتى لو كنت أنا المخطئة
في غضبي المبالغ فيه. بنهاية الأمر لم أجد بداً من
الاتصال به متحججة بحاجتي للمساعدة، وإن كان
الدافع الأقوى هو أنني أفقده، بشدة.

الخطة ببساطة هي: سيأتي هشام، سيأتي لقتلي
حتى يضمن أنني لن أتكلم أبداً، ولكنه سيجدني
مستعدة.



فاكهة محرمة

-ماهر-

رسالة واردة من أنيس فيرمونت:

«الباشا على وصول مصر يا ماهر، الصور لو
ماجتش الليلة هتحصل مصيبة وأنا اللي هاجي
أصوره بنفسي، على جثتك».

في طريق عودتي للمنزل أجريت مكالمة هاتفية
مع طارق لأؤكد ميعادنا الليلة، قبل أن أستقبل
مكالمة أخرى وضعت على وجهي ابتسامة عريضة.

اتصلت بي الخادمة المشاكسة لتخبرني أنها بحثت
عني في الجيم بلا جدوى، وأن لديها معلومات هامة
عن هوية القاتل، فأخبرتها أن نتقابل بعد قليل،
قبل أن تضربني الفكرة المفاجئة التي لم أتمكن من
كبحها وهي تخرج من جوفي: «بقولك إيه. أنا عندي
مشوار النهاردة برة الكومباون في السيدة، تيجي
معايا ناكل لقمتين وتقولي اللي عندك؟». ولدهشتي
لم تعترض الخادمة لكن على شرط أن نعود مبكرًا
قدر الإمكان، فوافقت بالطبع، مبتسما، وشردت أفكر
في لقائها منذ اللحظة.

أمام البيت، وعند الجهة المقابلة، رأيت نيللي في

حديقة فيلتها، ترتدي فستانًا قصيرًا باللون الأبيض
مُطعمًا بالورود الحمراء، ينحسر كاشفًا عن سمانة
قوية تذبح من يطيل النظر إليها، يا لها من فاكهة
شهية للأعين! تلك العاهرة، تستعرض جسدها في
وضوح النهار المشمس وتتخذ من سقي أزهارها حجة
حتى تميل وتعرض بضاعتها للمزيد من الرجال.
ألا يكفيها (مالك عز) وزوجها التيس؟ هل لا زالت
عطشانة؟

تلك الخاطرة كانت شرارة مفاجأة أحييت الرغبة
تجاهها بداخلي من جديد وأعادت تدفق الدماء
لمسارها الصحيح، في نصفي السفلي حيث تصب
كل تلك الأنهار الصغيرة. من الواضح أن نيللي لا
تكتفي بكل أنصاف الرجال في حياتها، الفرصة
الجامحة ما زالت تبحث عن الفارس الحقيقي الذي
سيتمكن من إلجامها وكبح جماحها، فارس صعيدي
متمرس في ركوب الخيل واللعب بالنبايت، وأنا
أكثر من جاهز. نيللي هي الجائزة الكبرى، هي الدليل
الحقيقي على أنني غزوت عالم الأغنياء بالفعل،
ولا أنثى أخرى، أو سيارة مرسيدس، أو چاكوزي،
سيقنعوني أنني واحد من هؤلاء، سوى امتلاك
نيللي.

ناديتها: (مدام نيللي) فالتفتت لي بخرطوم الماء،
وما إن رأني أشرق وجهها بابتسامة واسعة صائحة:
(دكتور ماهر) وكبادة ذوقية عبرت الشارع لها ثم
مددت يدي بالسلام، فعانقتني بنت الكلب من جديد

ولفت يديها الثعبانية حولي لتبت سمها في قلبي،
لكني أبعدتها في رفق حتى لا تظن أنني أريدها، ثم
قالت: «واااو، إنت خاسس موت».

- من كتر الشغل والله، مابسيبش المستشفى.

- لا بس god bless جسمك باين عليه.

- بشيل أوزان ثقيلة، ماعندكيش فكرة عصبي
شديد إزاي.

- معجبة بالدايت بتاعك. ممكن تساعدني؟

لم أعرف إن كانت تلك مهارتي أم أن نيللي هي
الصيدنة متناهية السهولة، ولكن الصنارة غمزت.
قلت: «أوي أوي»، وقبل أن نبحر في مواضيع
التخسيس وفقدان الوزن، انحرفت نيللي بحديثها
إلى حارة أخرى عندما حركت يدها بالقرب من
وجنتيها بسرعة كالمروحة وكأنها تبحث عن بعض
الهواء وقالت: «الجو فظيع النهاردة، إنت شكلك
حران موت. تعالى أشربك ليمونادة»، وبدون
مقدمات سحبتني من يدي إلى داخل فيلتها، وهكذا
فجأة، دخلنا وأغلقت بابها علينا، فضربني انتصاب
حاد حاولت أن أداريه بحقيبة الجيم.

سألتني. وهي تعبت بشيء ما في مطبخها
الأمريكاني الذي وقفت مستندًا على رخامته
السوداء: «إيه رأيك في فيلتي المتواضعة؟».

- جميلة ما شاء الله. قاعدة فيها لوحدك؟

- زي ما أنت شايف كده.

- أmaal فين جوز حضرتك يا مدام؟

فلتت منها ضحكة قبل أن تقول: «جوزي؟ في خيبته الثقيلة». ثم دار صوت الخلاط معلنا عن إعدادها العصير، فتأملت صالون منزلها بعض الوقت، الذي تزينت حيطانه ببوسترات عملاقة لأفلامها القديمة في فترة ما قبل الحجاب والاعتزال. قلت بصوت عالٍ حتى يتخطى حاجز الخلاط المزعج ويقفز فوقه: «بعشق فيلم الرغبة السرية». فقالت هي الأخرى بذات الصوت: «بجد؟».

- دخلته مرتين في سينما أوديون.

- عشاني ولا عشان هالة أمين؟

- هالة إيه وبتاع إيه بس. ده كفاية مشهد الذش.

وبينما أتحدث جاءتني حاملة كوبًا من الليمون المثلج، ثم ردت وهي تدفع بالكوب لحافة فمي حتى أشرب صاغراً: «طب ما تيجي نعمله سوا ثاني؟». كدت أبصق ما في فمي من ليمون، وعلى رقبتني وضعت يديها في غنج، فما كان مني إلا أن أخرجت المارد الصعيدي من قمقمه ليمسك بذراعيها ويلقي بها في عنف على الأريكة، ثم ينحني عليها متبادلاً القبلات.

لم أقبل امرأة في حياتي من قبل ولا أعرف كيف أفعلها. كل ما أعرفه عن القبلات أعرفه من الأفلام،

لذا حاولت تقليدهم وأنا أحتوي شفتيها بين شفتي،
وعلى ما أظن فالأمر كان يسير بصورة جيدة، من
حركات يدها المحمومة على جسدي وتأوهات،
بدأت في إخضاع اللبوة العنيدة والسيطرة عليها،
ها هي تنزل حمالة فستانها، وقبل أن تتعري لمحت
بركن عيني حركة في الصالون، فانتفضت وتركتها،
ملدوغًا بعقرب المفاجأة. كان هذا زوجها قصير
القامة، واقفًا يراقبنا في غضب جلي، عاقداً ساعديه
أمام صدره، وببطء تحرك ناحيتنا وهو يقول: «هو
أنا مش قلت لك كفاية؟».

ولدهشتي لم يظهر على وجه نيللي الكثير من
المفاجأة أو الفزع أو الندم حتى، بل مسحت وجهها
من لعابي في شيء من البرود، ثم قالت وهي تسوي
فستانها: «وهو أنا مش قلت لك ماتبقاش تيجي
الضهر؟».

- أنا عديت لك موضوع الجنينة الصيف اللي فات
وسكت على وساخة كتير عشان وعدتيني تبطلني.

- موضوع الجنينة يا حبيبي إنت ماتقدرش تفتح
بُقك بيه أصلاً.

- ماتستفزيني يا نيللي! اللي شفته يخلي الحجر
ينطق!

- كويس إنك مش حجر، إنت بني آدم عنده مخ
وعارف إنك ماينفعش تتكلم.

- لا أنا ممكن أتكلم وأوديكم كلكم في داهية، أنا

ساكت بس عشان بحبك.

- معلىش كلنا بنغلط.. مش هكررها تاني.

شعرت بالإحراج يدهسني وأنا أقف بين الزوجين،
لا أعرف ما الذي يتحدثان حوله وما قصة تلك
الحديقة التي يذكرها الجميع، بل لا أعرف أصلًا
ما الذي يتوجب عليّ فعله بالتحديد بعدما أمسك
بي الزوج المخدوع، فهل أضربه أم أتلقى الضربات
منه في رضا عقابًا على الخيانة؟ أعفتني نيللي من
الإحراج وهي تقول واضعة قدمًا فوق الأخرى ثم
تلتقط جهاز تدخينها الإلكتروني من على الكومود:
«باي دلوقتي يا دكتور ماهر، هكلمك بعدين».

تركت الفيلا شاعرًا بإحراج جم وكأني عاري الجسد
أمام البيوت والأسفلت، وهربًا من هذا الشعور
أخرجت هاتفي واتصلت بمقرس لأنشغل بالحديث
معه حول اللا شيء لكنه لم يرد، فأخذتني قدمي
في تمشية بلا هدف عاودتني خلالها ذكرى القبلية
من جديد بالتدريج، تزحف على رأسي ثم جسدي
في انسيابية كماء الاستحمام. يا له من إحساس!
كانت ناعمة ومغناطيسية، هي هدف الحياة والغاية
الأسمى، كيف وصلت إلى هذا العمر بدون قبلية
واحدة؟ كيف فاتتني الحياة بدون أن أنهل من تلك
البئر الساحرة؟

عدت أدراجي منتشيًا، وبعد الحصول على قسط
من النوم استعددت لمقابلة نجاة، فارتديت قميصي

السماعي المشجر الذي اكتشفت أنه أصبح واسعًا حقًا بعد فقداني الوزن، ثم وضعت اللمسة الأهم لفخامة المقاول أو رجل الأعمال، أو الرجل بشكل عام: المنظار المضاد للشمس. وقبل خروجي تعطرت برشة من الكولونيا التي يحضرها مرقس لي، وغسلت أسناني من باب الاحتياط.

في الطريق لنجاة بدأت أعراض نشوة القبلية في الانسحاب، ولما تبخّرت النشوة من عروقي حلّ شعور الخزي أقوى من أي إحساس. هل لأنني أفعّلها مع امرأة متزوجة؟ لست الأول ولا الأخير في حياة نيللي، كلهم أولاد كلب، هي تخونه وهو يخونها والدائرة تتسع وتكتمل، أما أنا فقط لم أرتكب سوى مجرد قبلة. لكن مهما أخبرت نفسي من مبررات لم أستطع الإفلات من الخزي.

بصعوبة أجبرت نفسي على التخلص من قمامة عقلي السلبية، وكما اتفقنا انتظرت نجاة خارج الكومباون، فوجدتها هناك بملابسها العادية، عند موقف للميكروباصات على بُعد دقائق من إحدى بوابات البالم تاون، نشأ عشوائيًا لنقل العمالة من على أطراف التجمع الخامس. في ميعادها بالدقيقة وجدتها واقفة هناك، بيدها تحمل الكيس البلاستيكي الذي يحتوي على ملابس العمل وتسرح ببصرها بعيدًا. كانت جميلة ورائعة، وبدت بملابسها الطبيعية كأني فتاة جامعية أو موظفة في شركة، بشعر بني منسدل على كتفها ونظرة واثقة تسكن

عينها.

توقفت أمامها فحيتني ثم ركبت على الكرسي
جواني في تحفظ لم يمنع أن تظهر بعض الود.
ودقت مطرقة قلبي على أضلعي دقة عشوائية
تكسر من الإيقاع المنتظم.



(٣٤)

بلا رفيق

-ريم-

- أنا آسفة.

- على إيه؟

- عشان اتعصبت عليك.

- إنتي شايفة إنك غلطانة يعني؟

- أو مال أنا بقول إيه؟

- أنا كمان غلطت. حقك عليا.

تبعها بقبلة على كف يدي، فهربت مني ابتسامة
سرعان ما طويتها، يا لي من هالكة. هذا الحب
الخالص النقي هو كل ما احتجته يومًا، هو ما كانت
تبحث عنه الطفلة بداخلي منذ أن استنشقت رثاها
هواء الدنيا: أن أحب بلا شرط ولا أن أدخل في
صفقة من المشاعر. ولكني أعني جيدًا أن هذا الحب
الحلو المذاق سيكون هلاكي الحتمي لو ابتعد يومًا،
لو أصابه ما أصاب عمر.

قلت ببراجماتية وأنا أتشبث بيده على الطاولة
الخشبية المريحة في حانة (ذا كوتيدج): «محتاجاك
تساعدني في حاجة».

- قولي يا حبيبتي.

- أنا عرفت مين السفاح.

- مش ميرفت؟

- شكلي كنت غلطانة. أو معرفش، ممكن يكون
بيساعدوها.

- هو مين؟

- هشام جابر بتاع fitness bear.

- بس ده.. ده راجل كويس.

- مافيش رجالة كويسة.

- شكرًا جدًا.

- أكيد مش قصدي عليك. المهم، أنا هقابله النهاردة
الساعة ١٠.

- ليه!

- تفاصيل كتير، long story short أنا قلت
له إني عارفة إنه اللي حاول يقتلني وهعمل معاه
deal.

- إنتي مجنونة يا ريم؟

- يمكن.

- باين الضربة أثرت على خلايا مخك.

- محمود، هتساعدني ولا لا؟

- أساعدك إزاي أصلا.

- أولًا، بما إنك مهندس وهاكر وبتاع، اعمل لي كود
في الريموت بتاعي ينفع يفتح الفيلا اللي قتل فيها
ريهام، عشان هقابله فيها.

- وثنائيا؟

- أنت هتبقى عيني، هتشوف كل حاجة من كاميرا
الموبايل، وهتقولي في الايربودز إيه اللي بيحصل.
هنسجل له اللي هيقوله.

- أنا مش موافق على الهبل ده. افرضي عمل فيكي
حاجة.

- مش إنت هتكون قريب؟ مافيش حاجة وحشة
هتحصل لي.

ضغط على يدي من جديد ساكتًا لا يعرف ماذا
يقول. وقبل أن ينطق أخذته نوبة سعال شديدة،
سعال غريب لم يهدأ بل تواصل وتزايد حتى خيل
لي أنه قد يثقب رئتيه في أي لحظة. بكل القلق في
قلبي ناديته مرتين وقمت من مكاني أتخبط في
الطاولة والكرسي، دون أن يجيبني سوى بمزيد من
السعال، حتى هدا أخيرًا، ثم طلب بهدوء أن نذهب
وهو يدفع الحساب للنادل.

في الطريق للمنزل ظل صامتًا. سألتها عما به،
فأجاب مقتضبًا أنه يعاني أنفلونزا حادة منذ أيام،
قبل أن يركن السيارة ليعبث بجهاز تحكمي ويعدله
حتى يفتح باب الفيلا.

راجعت معه الخطوط العريضة لخطتي فلم
يعترض وأجاب على كل شيء بهمهمات إيجابية
أثناء عمله:

سأدخل الفيلا مبكرًا نصف الساعة عن الميعاد،
وحددي، تحسبًا لاحتمالية مراقبة هشام لي،
وسيساعدني محمود -عن طريق مكالمة فيديو-
على وضع الهاتف في مكان مناسب يكشف الفيلا
جيدًا، ثم سيراقب معي من المكالمات كل ما يحدث،
وسيكون بالقرب من المكان في حالة استعداد، لو
استشعر نية الغدر من جانب هشام.

في منزلي مر الوقت بطيئًا، وزاد من بطئه اختفاء
نجاة الغامض، فمهما مارست من حيل لتسرية
الوقت كانت كل دقيقة تمر بثوانيتها الستين كاملة،
محسوسة على جلدي، وحتى النوم رفض مشاركتي
سريري وهرب إلى أي مكان آخر حيث لا أستطيع
الإمساك به. ثم أخيرًا جاءت الساعة التاسعة،
فارتديت ملابس بمفردي، واقشعر جسدي حماسًا
وأنا أرتدي سترتي الرياضية ذات الأكمام، ولكن
عندما انحنيت لارتداء الحذاء الرياضي عديم الرباط
بزغ الخوف في رأسي فجأة، لما عاودتني ذكرى ليلة
جريمة ريهام، عندما كنت وحيدة تمامًا.

المنطق والخوف صديقان عزيزان، وإذا حضر
الأول يأتي الثاني من فوره، يتكالبان عليك، يجثمان
على صدرك، يمزقان سيناريو (الاحتمال الأفضل)
الذي كتبت حتى يتشوه تمامًا. هل هناك أي

احتمالات أصلاً لنجاة فتاة كفيفة تزن ٥٣ كيلوجراماً
ضد ذكر مبصر يزن ٣ أضعاف وزنها؟ النهاية واضحة
للأعمى يا ريم! استلسمي.

ولكني بالكاد قاومت كل زعر تكوم بداخلي وطلبت
سيارة جولف كهربائية من جديد لتقلني حتى
الفيلا المنحوسة، مطمئنة إلى حقيقة أن محمود
سيرافقني تلك المرة حتى لو هاتفياً فقط.

أخذتني السيارة إلى هناك، وكلما قطعت من
مسافتها إلى الفيلا أحدثت في قلبي قطعاً يتسع،
فمحمود لا يرد. اتصلت به مرتين، ثلاثاً، وفي الرابعة
كنت أعرف أنه لن يرد. هل أصابه مكروه؟ هل
مرضه شديد إلى تلك الدرجة؟ أم أنه ببساطة نسي
ما أنا مقدمة عليه؟ أخشى الاحتمال الأول بالطبع،
ولكنه أقل إيلاًماً من الثالث. عندما توقفت السيارة
أدركت أنني وحدي من جديد، أنا والقاتل وحظي
التعس، في نفس المكان. ولم أملك إلا الدخول
والمواصلة.



إنذار بالقتل

- ماهر -

في البداية لعبت دور رجل الأعمال المهم، فتوقفت بسيارتي أمام أحد مُجمعات المكاتب بالقرب من الكومباون لما وجدت الإحراج يغذي الأجواء بداخل السيارة، فلا أنا أجد ما أقوله من التوتر، ولا هي تتكلم. كانت صامتة وكأنها شخص آخر خارج أوقات عملها، فأخبرتها أن لديّ مقابلة هامة سأنجزها بسرعة وأعود.

بالطبع لم يكن لديّ اجتماعات ولا مقابلات من أي نوع، بل دخلت دورة المياه مستئذناً من رجل الأمن بحجة مرض السكري، وفي الحمام عدلت من هندامي ونظمت أنفاسي، وكما يفعلون في الأفلام كلمت نفسي في المرآة بصوت واثق قائلاً أنها مجرد خادمة بسيطة وأنا رجل أعمال عظيم وصعيدي لا يقدر شيء أن يقف أمامي، ثم خرج من إحدى الكبائن عجوز متمنياً لي التوفيق ودعا لي بالذرية الصالحة وبالزواج منها، فاضطرت لنقده ورقة بمائتي جنيه.

عدت للسيارة أكثر ثقة، واعتذرت لها قائلاً أن صفقة أراضى المنصورية لم تكن لتحتل التأجيل، ثم سألتها بينما ننطلق من جديد: «تحيي تسمعي

إيه؟»، فقالت: «منير». وأجبتها مبتسماً وأنا أبحث
عن أغاني لمحمد منير في هاتفي: «طب والله
بتفهمي». بينما بدأت أغنية شبابيك تلعب في
الخلفية.

وبدون أن أدري كيف ومتى، وجدتني في حي
السيدة. مر الوقت بسرعة غريبة، تحدثنا حول كل
شيء تقريباً بانسيابية وسلاسة تجعل من الوقت
شيئاً شفافاً لا وجود له، فضحكت نجاة على كل
قصي الصعيدية ومغامراتي في القاهرة مراهقاً،
على المرة الأولى التي جربت فيها السلم المتحرك،
وتاريخي مع التيه في شوارع العاصمة، وحكت لي
هي عن أختها ووالدها وطموحها قديماً بأن تكون
لاعبة باليه قبل أن يصيب عائلتها داء الفقر. تحدثنا
عن الطعام والأغاني والعادات الشخصية، وقبل أن
نتطرق إلى موضوعنا الرئيسي كنا قد وصلنا أمام
مطعم (أبو وحيد) الكبابجي المفضل لدي.

جلسنا على طاولة من الطاولات المعدنية المتراصة
خارج المحل الصغير، وبعد ألف تحية من النادل
وصاحب المطعم والطباخ قلت لها وأنا أشرب من
الدورق الفضي، الذي دائماً ما يكون ماؤه بطريقة
ما باردًا: «أبو وحيد ده يا ستي أول كبابجي أجرب
عنده الكفتة في حياتي، عيل صغير جاي من
أسيوط ما يعرفش غير الفول والمش، يتيم، حافي..
ريحة الكفتة لوحتنني، وبأول قرشين حوشتهم جيت
زي الباشا حاطت رجل على رجل وجبت رغيف

كفتة، مش هنسى طعمه لحد النهاردة. مهما جربت
كبابجية ولا مطاعم جوة أو برة مصر، مافيش زي
المحل المحندق ده يكيّفني».

- ده إنت جاييها من تحت أوى بقى؟

- التحت اللي بتقولي عليه ده كان فوق بالنسبة
لي، وعالي عليا.

- عقبالي.

- قريب إن شاء الله، إنتي حلوة وناصحة وألف من
يتمناكي.

للمرة الأولى ظهر طيف خجل على وجهها، ثم
برومانية ارتشفت ماء السلطة من الطبق الصغير
أمامها على مرة واحدة، وقالت بجدية مفاجئة وهي
تمسح فمها بمنديل: «أنا عرفت مين اللي بيقتل».
فسألتها -محبّظًا من تغييرها للموضوع- عن هوية
القاتل بينما كان النادل يرص أطباق الكفتة والكباب
والطحينة وأرغفة العيش، وكانت إجابتها هي
الأخرى محبّطة.

قلت: «لا طبقًا مش هشام».

- بس ريم متأكدة.

- هتصدقني واحدة مابتشوفش؟

- والله دي أروبة وبتشوف أحسن مني ومنك.

- طب أنا عرفت هو مين وبقولك مش هشام.

- أومال مين؟

- طارق عبده.

- البودرجي بتاع الكورة؟

- اسم الله عليكى.

- وإنت عرفت مين بقى؟

- عيب يا بت، أنا مش أي حد.

سكتنا قليلاً نلوك الكفتة والطرب، يرقص قلبي للطعم الذي ألفته من عشرات الأعوام، ويرقص أيضاً لابتسامة نجاة التي أعجبها الطعام والمكان البسيط، وربما مضيفها أيضاً.

وبينما نأكل، قالت بعدما مضغ رأسها ما سمعته مع الكباب: «مش عارفة مين فيكم الصح الصراحة. طب إنت إيش دراك إنك صح؟». وببيدي الملوثة أخرجت الهاتف من جيبى ثم استخرجت صورة آثار الحذاء وكبرتها بأصابعي ذات بقايا البقدونس ودهون المشاوي، وسكتُ قليلاً مترقباً نظراتها المتسائلة أمام الصور، ساحباً بعض الغموض الذي يلقي على مظهري ظلالاً أذكى.

قبل أن أجيبها حاسبت النادل ونقدته بقشيشاً كبيراً، وعندما قمنا سألتني عما يعنيه هذا لكني من جديد لم أجبها، بل أشرت بيدي لبعض مبان قديمة ونحن نتمشى وسردت لها ذكرى أو اثنتين لي معهم، ثم جلسنا بمقهى قديم يدعى اللوتس وطلبت

شيشة لي وفخفخينا لها، وبعد سحبي للنفس الأول
حكيت مختالاً لها قصة الحذاء الآير چوردان وكل ما
قمت به، فقالت بعدما انتهيت: «كل ده على جزمة
يعني؟».

- مش أحسن ما يكون على مافيش؟

- قصدك على ريم ولا إيه؟

- على ريم أيوة، أصل عرفته منين هي؟

- من دقنه.

- طارق بدقن.

- هي مش عبيطة. دقنه وريحته بتقول.

- وإنتي مصدقة؟

لم ترد، وإنما ارتشفت القليل من الفخفخينا
أمامها شاخصة ببصرها للشارع الضيق، ثم قالت
وكانما تفكر بصوت عالٍ: «هي أصلاً كانت شاكة إن
ميرفت هي اللي بتقتل الأول، بعدين بقت شاكة
في الحلوف اللي اسمه هشام...». فقاطعتها ملوحاً
بـ(لي) الشيشة وقلت: «أنا كمان كنت فاكِر الممثل
الطري ده هو اللي بيقتل في الأول».

- فيه حاجة غلط في الحوار ده. أنا مش مطمئة.

- طول ما أنا هنا حطي في بطنك بطيخة صيفي.

بدون رد أخرجت هاتفها وأجرت مكالمة سريعة مع
سيدتها انتهت ببعض الرعب الظاهر على

وجهها وهي تقول: «يا لهوي! دي رايحة تقابله كمان شوية!»، ثم طلبت مني في إلحاح أن نعود في الحال، فطاوعتها وقطعت موعدنا الدافئ، وكبادرة اهتمام رجولية قدت سيارتي كالمجنون بطول شارع التسعين حتى أنني كدت ارتكب حادثتين وأنا أحيك بسيارتي غرزا في الطريق.

عندما وصلنا الكومباون كان القلق قد تضاعف وظهر على عضلاتها المتعبسة ووجهها المتوتر، خاصةً وأنها اتصلت بريم ما يزيد على ١١ مرة، وكانت الأخيرة ترفض الاتصال. أوصلتها إلى قيلتها، وعندما ودعتني تصافحت أيادينا مدة أطول مما تستغرقه مصافحة عادية، حتى أجابت ريم مكالمتها أخيرًا، فظهر عليها الارتياح وهي تسحب يدها من يدي ثم تلوح لي بالوداع.

كالتمل رحت أقود سيارتي في أنحاء الكومباون. أنا أيضًا نسيت ميعادي المقبل مع طارق، ولكن لا يهم، لا طارق ولا تمثال ولا أنيس ولا أي شيء الآن سوى الحب الذي يضرب في قلبي بجنون بطة ترفرف أجنحتها بعد أن تم القبض على قدميها.

غارقًا في سعادتي اتصلت بشريف، فالحب كان كثيفًا كثيرًا ويفيض من داخل نفسي، ويحتاج لمن يتشارك معي خفته وحلاوته. اليوم اكتشفت أن المحب ليس أنانيًا على الإطلاق فيما يتعلق بالسعادة.

قابله على أطراف القطاع A، حيث كان يمر على كاميرات المراقبة بالكومباوند من أجل صيانة شاملة. وجدته ممسكًا بجهاز التابلت أمام واحدة من الكاميرات المعلقة على عمود، وكان يبدو عليه التركيز، لكنه تركيز مرهق مخلوط بالإعياء، فبشرته شاحبة وعيناه محتقنتان وحركة يده ضعيفة مرتعشة، وحتى عندما ألقيت عليه سلامًا حارًا قائلاً: «إيه الأخبار يا هندسة؟». جاء صوته خافتًا غير واضح. سألته: «إيه يا عم هربان مننا فين كده؟»، فغمغم بعدما سعل سعالًا قويًا: «لا مافيش، الصيانة واحدة وقتي كله».

ربت على كتفه لأجده ضعيفًا بالفعل محلولًا من قواه، قلت: «طب مش تسأل على أصحابك؟ مافيش ألو حتى؟»، وبوهن، ارتعشت شفثاه قليلًا ثم أجابني: «معلش.. مش مركز».

- على فكرة أنا شوية ورايح الفيلا لطارق.

- هتعمل إيه معاه؟

- هشيّب لك أمه.

وبلا مقدمات سقط مغشيًا عليه. أصابه ما يشبه المس، مس راح يرتعد ويزبد على أثره، كانت نوبة صرع حادة وعنيفة. لثوان وقفت مرتبكا غير عالم بما يحدث أو ما يتوجب عليّ فعله، لكنني استجمعت تركيزي وحملته وبسرعة حشرته على أريكة السيارة، وفي حقيبة ظهره وضعت جهازه اللوحي

مع كل أجهزة تحكمه الصغيرة التي لا أفهم منها شيئًا وانطلقت إلى المستشفى. كاد القلق يأكلني وأنا أسدد نظراتي له في الخلف كل بضع لحظات فأراه في تلك الحالة، ينتفض ويتلوى. لا يختار المرض إلا الشباب الجيدين. في لحظات كتلك كنت أتمنى كوني طبيبًا بالفعل، لعن الله المرض، لعن الله العجز وجهلي.

عندما وصلت كانت النوبة قد تركته ولكن رعبها لم يتركني أنا، فأخذت أصيح في الممرضين والمسعفين بالاستقبال حتى يحملوه من السيارة ويقوموا بعمل باللازم، وبلا داعٍ أخذت أسب وألعن التراخي حتى تنتبه حاسة الجذات لديهم ويتموا عملهم بسرعة، كما أعلنت أنه شريف علام ابن علام بك صاحب الكومباون، فقامت الدنيا ولم تقعد.

نقالة، وصياح متداخل، وخطوات سريعة في الأروقة السيراميكية، ثم هدوء الغرف البيضاء وصفير الأجهزة ونبرات الأطباء الهادئة. أخبرني الطبيب أنه بخير، وأنه فقط بحاجة لبعض الأشعة والفحوصات، وعندما طلبت منه عدم إخبار الوالد وإثارة جلبة بلا معنى أخبرني آسفًا أن الوالد تم تبليغه بالفعل، وبالطبع أوصاهم بأعلى رعاية طبية ممكنة حتى مجيئه.

استفاق شريف بسرعة، في حال أفضل نسبيًا وإن كان لا زال الشحوب يملكه. قلت مداعبًا: «حمد لله عا سلامة يا عم». فأجابني مغمضًا عينيه، بعد زفير

طويل: «الله يسلمك.. آسف على اللي حصل».

- إنت عبيط يا شريف؟ ده أنت في مقام أخويا الصغير.

- شكراً يا ماهر. وإنت أخويا الكبير فعلاً.

قاطعنا صغير عال صادر عن حقيبة ظهره، فأشار صوبها قلقاً بما معناه أن أحضرها له، وهكذا فعلت بلا تردد وفتحتها لأخرج الجهاز اللوحي الذي كان يصدر صفيراً مثل سيارة إسعاف مجنونة، وعلى سطحه ظهر كلام كثير بالإنجليزية، يصاحبه تشويش أعرف معناه جيداً. التقط شريف مني التابلت بقلق، واعتدل في نومته وهو يتصفح الجهاز مغمغماً بقلق: «الكاميرات اتعطلت في فيلا محسن سكر».

هي نفس المعادلة البسيطة تتكرر بحذافيرها:

تتعطل الكاميرات في حالات القتل، وطارق موجود الآن في فيلا محسن سكر، مدعو لجلسة صلح أعضاء نادي البوكر، كما أن طارق سفاح مدمن أيضاً.

كل المعطيات تشير إلى حمام من الدماء على وشك الانفجار الآن.

في قفص الفيل

- ريم -

رغم كل قلق وتخوف انتظرت محمود، وبقيت في
ظلام القيلا أنتظر مكالمته قبل مجيء هشام. بمرور
الوقت راح القلق ينخر عظامي حتى كاد يحدث
ثقبًا بإمكانني إدخال أصابعي فيها لو أردت. ولم يأت
محمود.

ها أنا أقف وحدي، للمرة الثانية في نفس المكان،
بلا سلاح أو خطة أو رفيق، وأيًا كان عذره على
الاختفاء فلن أقبل به، ولو خرجت من هنا حية،
فسأدفنه حيًا. الصمت مرعب، يضغطني من جميع
الاتجاهات بصلابة الجدران، وكلما تذكرت ما
أصابني هنا منذ أيام، اعتصر العمي حلقي ببطء.

فكرت أن أجري في الحال وأنسحب، وبالفعل عند
نقطة ما اتخذت قراري بالجري، لكن شيئًا ما بداخلي
أصر على البقاء والانتهاه من كل هذا، فوقفت
ممزقة بين الاختيارين، ألهمت رغبًا عني وأخذ
الخطوة ثم عكسها، حتى اكتشفت بمرور الوقت أن
هشام أيضًا لم ولن يحضر!

أعلم أنه في الظلمة والانتظار يمر الوقت مضاعفًا،
يمر بلزوجة منزلقة على سطح الزمن الخشن، ولكن
الساعة تقول أنني لا أتوهم ولا أبالغ وأن هشام أيضًا

كان متأخرًا عن ميعاده لما يقارب العشرين دقيقة.
قبل أن آتي بقرار في حيرتي رن هاتفي للمرة الألف،
نجاة ما زالت تواصل الاتصال والإلحاح بدلًا من
محمود. بغضب أجبتها: «أيوة يا نجاة، عايزة إيه؟».

- إنتي فين؟

- عايزة إيه إنتي؟

- مش وقته يا ريم قولي إنتي فين بسرعة!

- أنا في C.05.

- طب أنا جاية لك حالًا. إوعي تتحركي من عندك.

الصراخ واللوعة في صوتها لم يكونا مؤشرات
جيدة، مما زاد من انقباض صدري، فانتظرتها
مكاني وأنا أصارع القلق بطول الوقت حتى سمعت
الطرقات المتعاقبة على الباب، مصحوبة بصوت
نجاة الملهوف ينادي: «ريم؟ ريم أنا نجاة افتحي».
فتلمست طريقي حتى الصوت وبصعوبة تحركت
وفتحت لها الباب، فإذا بها تعانقني عناقًا قويًا تفوح
منه رائحة عطرها وروائح لحم مشوي وهي تقول:
«إنتي كويسة؟ حد كلمك؟».

- أنا كويسة يا نجاة، مالك؟

سحبتني من يدي خارج الفيلا فحاوطني نسيم
الليل البارد ليخبرني أنني بأمان، ثم تكلمت نجاة
وقصت عليّ قصة غريبة بحق: منذ دقائق وصلتها
على تطبيق واتساب رسالة من رقم مجهول تحمل

فقط الكلمتين (إلى ريم) ورابطًا لبث مباشر من كاميرا تعرض مشهدًا صادقًا: جسد مقيد إلى كرسي، وعلى وجه صاحبه كيس أسود. ينتفض الرجل في زعر لأن أمامه فيلًا هائجًا مربوطًا بسلاسل معدنية، تسمح للفيل بالاقتراب منه -الضحية- إلى الحد الكافي بدون أن يفتك به، فقط يصرخ الفيل المهتاج ويطوح بخرطوميه ويرفس بأقدامه أمام وجهه، في الإضاءة الشاحبة لأقفاص الحيوانات، بحديقة الحيوان الموجودة بالپارك.

هذا هشام بالتأكيد، يتلاعب بي ويتحداني.

تزايدت أنفاسي وتعاليت وأنا أفكر، أيًا كانت هوية الضحية الموشكة على الموت فهي هناك بسببي أنا، جثة أخرى تتساقط مثل شلبي لمجرد أنها كانت في طريق سعبي للحقيقة. لم أتمكن من فصل الغضب عن الخوف، سئمت كوني عديمة الفائدة، سئمت كوني جميلًا ثقيلًا على كل من حولي، ثم فجأة لمع اسم محمود في رأسي. محمود لا يرد. هل هو ضحية هشام؟ هل أتى انتقام هشام أسرع من المتوقع؟

في نجاة صرخت بلا وعي وطلبت منها أن تحضر سيارة لتأخذنا إلى الحديقة في الحال. قبض الذعر على جسدي كما تقبض الطفلة على دمية، محمود هناك، سيفتك به ذلك الفيل بسببي، ليس لذنبي سوى أنني لم أعرف حدود إمكانياتي واخترت مقارعة قوة أكبر مني. ارتج كياني مع السيارة التي

ارتجت على الأسفلت، واعتصرت أنا يد نجاة في
مطلب لبعض الطمأنينة، شاعرة بالذعر ينهش مخي،
حتى توقفت بنا السيارة أمام حديقة الحيوان.

لم أجب أيًا من أسئلتها المتوترة، كنت فقط أصدر
أوامري وأسئلتني أنا: (خذينا بسرعة للبوابة - كم
الساعة الآن - اطلبي حراس الحديقة فورًا). كما
أخبرتني نجاة فلم يكن هناك حراس على البوابة
سوى واحد فقط نائم في مكتب الاستقبال، أيقظته
هي بشيء من الفظاظه ضاربة على زجاج الشباك،
وما إن استيقظ حتى أمرته أن يفتح الحديقة في
الحال.

بين النوم والاستفاقة قال كلامًا محفوظًا عن
مواعيد العمل الرسمية وأن الحديقة مغلقة،
فصرخت فيه أن هناك بالداخل شخصًا على وشك
القتل في قفص الفيل، وقبل أن يخبرني بأدب
أنني أهذي وأن هذا غير ممكن عرضت عليه نجاة
البث المباشر، فسمعت صلصلة مفاتيحه وهي
ترتطم بسطح رخامي، ثم الأصوات الإستاتيكية
لجهاز اللا سلكي متبوعة بنداء غاضب ويائس منه
لزملائه في نوبة الحراسة، لكن لم يجبه سوى الفراغ
الإستاتيكي. تبعناه وهو يفتح البوابة ذات الصرير
المعدني العالي الأشبه بزئير أسد يتشاءب، وهرولت
خلفه مجرورة في يد نجاة كالنعجة، لكنني لم أمانع
على الإطلاق الهرولة والتعثر وسط روائح روث
الحيوانات التي كانت تعجن الهواء هنا ما دمت

أقترب من محمود.

وبدون وجود نجاة حتى كنت سأعرف طريقي
بفضل أصوات الفيل المهتاج الآتية من الشمال،
والتي كانت تقترب وتتعالى مع خطواتنا، ومعها
بدأت أصوات أخرى في الارتفاع، بعدما تسببت كل
تلك الجلبة في إيقاظ الحيوانات النائمة.

عواء اختلط بزئير بزمجرة بنقيق، كان مهرجاناً من
أصوات الحيوانات الصاخبة التي تداخلت وصرخت
في أذني لتشتتني في سعيي. حتى توقفت نجاة
وبالتبعية توقف جسدي معها أيضاً، فعلمت أننا
وصلنا، خاصة وأن أصوات الفيل كانت أعلى من
أي شيء آخر. وبدأت نجاة تصف لي كل ما يحدث
بأصوات لاهثة خافتة:

نحن أمام القفص، الفيل الضخم لا زال يحاول
افتراس ضحيته على كرسيها، لكنه لا يصل بسبب
قصر السلاسل. يتجه الحارس للقفص من أجل حل
الموقف، الضحية بخير حتى تلك اللحظة، يفتح
الحارس باب القفص من أجل ال... تعالت صرخات
الفيل بصورة مفاجئة، تبعها أصوات اصطدام
وارتطام، ثم صرخات نجاة تشق السماء، فأصرخ
معهما كرد فعل طبيعي، ما الذي يحدث؟

من بين الأصوات المتداخلة سمعت الحارس
يصرخ في اللا سلكي من جديد منادياً أنها حالة
طوارئ قصوى، ثم سمعت ما اقشعر له جسدي

وارتخت أمامه أعصابي تمامًا: من القفص جاءتني
الأصوات المميزة لعظام بشرية يتم كسرها، سحقها
وعجنها، مصحوبة بصرخات مكتومة من تحت
الكيس الأسود. لا يمكن أن يكون هذا محمود، لا
يمكن، لن أتسبب في موته بالتأكيد.



تعطلت الكاميرات، لذا فالمنطق يقول أن القتل بدأ بالفعل في جلسة الصلح على يد المدمن المخبول، أو أن المذبحة على بُعد دقائق معدودة من البدء، في أفضل الظروف.

كل ما جال في عقلي تلك اللحظة هو مشهد غرفة المعيشة الخاصة بمحسن سكر وهي غارقة في الدماء، لذا لم يكن أمامي أي خيار سوى التوجه للقيلا التي كانت على مقربة دقائق من المستشفى -لحسن الحظ- كما أخبرني شريف: B١١ التي تلاصق النقطة الأمنية المركزية. بعد نظرة من شبابيك الغرفة تمكنت من تحديد موقعها، فطلبت منه الاتصال بالنجدة وانطلقت أجري.

لم يأخذ مني الأمر سوى أربع دقائق فقط حتى أصل، وبجسد أخف وأرشق كانت المهمة أسرع مما أتصور وأنا أقطع ليل الكومباون الهادئ حتى أتوقف أمام القيلا المنشودة، B11 التي تراص أمامها بضع سيارات مرسيديس وفيراري وتسلا. طرقت الباب بعنف أمعاء الشرطة وأنا ألهث. لا رد. ولما مرت دقيقة كاملة من السكون ركلت الباب بلا تردد، محضراً نفسي لكارثة، وحمام دماء بشع.

لكن لم تكن هناك أي كوارث من أي نوع، فقط وجوه ستة من الرجال كلها تحقق تجاهي، لا جرائم ولا قتلى ولا أي شيء سوى كنوس الخمر في الأيادي التي جلس أصحابها في تراخ على كراسي غرفة المعيشة. والمفاجأة الأكبر كانت أن طارق عبده لم يكن موجودًا.

وقفت في إحراج جم خلف الباب الذي انكسر قفله، وكان الحضور يرمقونني في ذهول فلم أجد بداً من اللعثة ثم القول بمرح: «سمعت كده إن ياسر مش عايز يتصالح. مش الصلح خير يا يسور ولا إيه؟».

قطفت بعض الورود من الحديقة في طريقي للدخول وأكملت قائلاً: «قولت أعمل عليهم كبسة أصالحهم بنفسي، علياً النعمة أدي شيك لكل واحد بمليون جنيه بس أشوفهم بيبوسوا روس بعض».

ثم خبطت على عارضة الباب وقلت لمحسن وأنا أدخل: «النجار اللي بتتعامل معاه مش قد كده يا محسن بيه، فكرني أدليك نمرة النجار الخصوصي بتاعي يصلح لك الباب».

ببطء عاد إيقاع الجلسة لطبيعته رغم غرابة المشهد، وبعدها اعتذرت عن الباب بحجة ضعف المفصلات أخبرني محسن أنه (حصل خير)، ثم قام بإجراء مكالمة لخدمة الصيانة الخاصة بالكومباون، في حين كان (ياسر) و(مروان) و(مالك

عز) والرجلان الآخران من مائدة البوكر حاضرين،
متناثرين على كراسي الأنتريه، مندمجين في
نقاشهم حول الصلح والقواعد الجديدة للعب حتى
لا تتكرر مثل تلك المشاكل، وعندما سألتهم: (أمال
فين طارق بيه صحيح؟) أجابوني بلا اكتراث أنه لم
يأت.

على الأريكة ألقيت جسدي في تعب ورميت
برأسي للخلف، وتلقائيًا انسحب عقلي إلى خلفية
المشهد مفكرًا: كيف لم يحضر طارق؟ ومن الذي
تسبب في إحداث التشويش بالكاميرات كما يفعل
القاتل؟ قد يعني هذا أن الآن وهنا، يوجد بيننا القاتل
الحقيقي سواء كان طارق أو سواه، وأنه كان على
وشك ارتكاب جريمته. عند هذه النقطة أنا لم أعد
أعرف أي شيء.

كانت الأغاني عالية بدرجة مستفزة تمنعني من
التفكير، فتداخلت الأفكار وتشابكت كلها ولم أجد
بداً من إغماض عيني محاولاً الحصول على قسط
من الراحة، وبعد دقائق بالفعل كدت أنزلق إلى
سهول النوم الواسعة، فأجفاني ثقيلة حقًا وأكلة
الكباب تكبس على صدري.

ثم تصاعد صوت ما.

في البداية بزغ خافتًا خلف الأغاني، ثم ارتفع
مصحوبًا بأصوات أخرى: حشرجة، تأوه مكتوم، ثم
صرخة رجولية، وجسم يرتطم بالأرض. كل ذلك

حدث في ثوان معدودة، ففتحت عيني لأرى مروان
ساقطاً أرضاً، يتلوى في شيء من الألم الواضح وقد
سقط الكوب الحراري الخاص به بجواره، وعلى
وجهه وشفاهه زحفت زرقة السم، والموت!

انكسرت حالة الأمان وتناثر الذعر على وجوهنا،
فالشاب كان يتشنج بشدة وهو غائص في قيئه،
وكلما تحرك كان يتقيء المزيد حتى فرغ ما في
جوفه تمامًا، بينما وقفنا جميعًا مشدوهين لا نعرف
ما العمل، حتى صرخ أحد العجائز: «حد يكلم
الإسعاف بسرعة!»، وبعد صرخته نفضنا عنا غبار
الذعر والبلاهة، فانحنى البعض عليه يجسّون نبضه
أو حرارته، ثم صرخ محسن فيّ لما رأيته واقفًا:
«إنت مش دكتور؟! ما تيجي تشوفه!».

دكتور مرة أخرى؟ الآن؟ لعن الله كليات الطب
والأدوية والمسكنات، لعن الله اليوم الذي واثقني
فيه تلك الفكرة الألمعية. الآن كل الأعين مصوّبة
على الطبيب الذي لم يترجم كونه طبيبًا أصلاً إلا
بعد لحظات كاملة من التحديق الأبله في الجميع،
ثم بارتباك قلت، وقد بح صوتي: «حاسبوا عشان
النفس».

انحنيت فوق مروان بأصابع ترتعش أتحمس
جبهته. جسده ثلجي يرتجف، وعلى وجهه طبقة
كثيفة من العرق والقيء، مختلطين ككل معلوماتي
-القليلة أصلاً- حول الطب والإسعافات التي ساحت
في بعضها. بدأت إجراءات الإنعاش بصفعة على

وجهه ثم تذكرت أنه لا توجد صفعات في التنفس
الاصطناعي وإنما ضربات على الصدر وقلبات، يا
لها من فكرة مقززة! لم أقبل في حياتي ولا امرأة
واحدة سوى نيللي، والآن عليّ أن أتبادل قبلة مع
رجل ميت! لكن نظراتهم الغاضبة لي كانت رادعة
وتمنعني من اتخاذ أي رد فعل آخر، فقلت لهم وأنا
أتأمل شفاهه الزرقاء: «أنا هعمل له نفس صناعي
بس أقسم بالله أنا مش لوط...». لكن قاطعني ياسر
الذي صاح في محسن: «إنت بتستهبل؟! ما أنت
عارف إنه مش دكتور، يلا على المستشفى على
طول!».

محسن: «ماتز عقليش يا ض إنت، أنا مش مركز
ودماغى مش فيا».

حسنًا، كان ذلك محررًا ومحررًا في الوقت ذاته.
لا مزيد من عبء التظاهر، لا مزيد من محاولات
الهروب من فخاخ تلك المهنة الغبية، المؤلم فقط هو
اكتشافى أنني كنت كاذبًا وساذجًا في أعين جميع
الكومباون بلا علم مني.

في إحراج قلت مغمغما وأنا أقوم من أعلاه: «بس
أنا بعرف أدي إبر»، بينما حملوا جسده المرتعش
وانطلقنا به للمستشفى.

بكل تأكيد كانت العودة للمستشفى مجددًا وفي
أقل من ساعة هي فال نحس، خاصة أنني صحت
في نفس الممرضين والأطباء في نفس الممرات

البيضاء الناعمة، بينما الشاب المسكين ينتفض بين
أيادينا انتفاضات الموت التي أعياها جيدًا، وأعي
أنها مسألة وقت حتى يفارق الحياة، ولكن يجب أن
نحاول حتى الرmq الأخير ما دام الأمر يتعلق بتلك
الشعلة الصغيرة التي تربط روحًا بالأرض.

انتظرنا خارج غرفة الطوارئ كلنا، وكان بإمكانني
الشعور بالتوتر في المكان حادًا يغرس أظافره في
لحم الحضور، الذين بدأوا بالتفكير في الجاني
وإلقاء اللوم على المشتبه به رقم ١ هنا، ياسر
الحسيني، الطرف الآخر في جلسة الصلح وعدو
مروان اللود بسبب مثلث الحب المبتذل.

لم يحتج الوضع الكثير من الوقود حتى يشتعل،
احتاج فقط سيجارة، طلبها ياسر من (مالك) الذي
انفجر فيه واتهمه بكونه القاتل الأكيد، وكاد الأمر
يتطور إلى اشتباك بالأيدي قبل أن نفذه بسرعة،
ونصيح فيهما بكونهما (عيال صغيرة).

(مالك عز) من جديد، المتهم السابق والحاصل في
محكمتي على إطلاق سراح مشروط بعد ظهور أدلة
تدين طارق، تعود أصابع الاتهام لتشير له من جديد.
(مالك) كان موجودًا أثناء الجريمة الجديدة، حاضرًا
بين الجميع، والكاميرات انطفأت في حضرته، ربما
أخطأت تفسير آثار الحذاء إذا.

لم يكن أمامي بداً من التقصي، فانفردت بمحسن
بعدما استخلصته من النزاع، ثم تعازمنا على

سيجارة وسألته عما حدث أثناء جلسة الصلح، فأخبرني أن كل شيء كان يسير نحو المصالحة حتى أتت خديجة -سبب الصراع نفسه- فنشب ما يشبه مسلسل ليالي الحلمية عندما بكت الأخيرة واتهمت كليهما بتخريب حياتها، وأنها لا تريد أيًا منهما، لا المشاعر التي تكنها لمروان حبيبها الحالي ولا لياسر حبيبها السابق، ثم هددتهما بالرحيل والاختفاء لو لم يتوقف كل منهما عن التخطيط لقتل الآخر، ثم انصرفت تجري دامعة.

التخطيط لقتل الآخر؟ المزيد من المعطيات هو آخر ما أريد الآن، ولكن معها طراً المزيد من التفسيرات على رأسي، كأطياف شفاقة غير كاملة: ما دام كل منهما يخطط لقتل الآخر، إذا نحن أمام جريمة انتقام بدافع الحب، أم أن عز استغل المشهد الدرامي ليدس السم لمروان؟ هل لدينا أداة جريمة أصلاً؟

أداة الجريمة في الأغلب هي الكوب الحراري الخاص بمروان، الذي شرب منه المشروب السام. وبالتأكيد هناك بصمات وهناك جان، وعلى حد علمي لم ألمح أيًا من يرتدي القفازات في الحاضرين، إذا هناك احتمال أقوى من أي وقت أن نعثر على الجاني الآن، لأن رجال الشرطة في قبلا محسن بالفعل، وسيفحصون البصمات على الكوب بأسرع ما يمكن.

بعد كل تلك التعقيدات قررت أخذ استراحة من اللغز والصراع بأكمله وأن أصعد للاطمئنان على

شريف بالطابق الثالث، إلا أنني لم أجده!

باستغراب بحثت عنه في الغرفة وخارجها، ولكن
بلا أثر، فسألت إحدى الممرضات عنه لتخبرني أنه
اختفى تمامًا، وبعد القليل من البحث أعلنت حالة
طوارئ في المستشفى لأن الكاميرات تعطلت من
جديد ولأن شريف تبخر تمامًا، فإما تم قتله أو
على الأقل اختطافه لو كنت متفائلًا. يا لها من ليلة
سوداء!

ثم اكتملت الليلة السوداء لما أتتني رسالتين على
الواتس.

الأولى كانت من الوغد المسمى أنيس، الذي كتب
فيها أنه على أعتاب الكومباون الآن، وأنه آت حاليًا
مع رجاله -المسلحين- ليضع حدًا لتلك المهزلة، فكاد
قلبي أن يتوقف عن النبض.

أما الرسالة الثانية فكانت من رقم مجهول، وتوقف
قلبي بسببها عن النبض بالفعل، لأن ما فيها جاء
ليعلن أن كل شيء على وشك الانقلاب.

-ريم-

أُتلمس طريقي نحو قفص الفيل.

أتعثّر، أصرخ منادية باسم محمود المرة تلو الأخرى، ثم أسقط أرضاً على وجهي. كنت على وشك الإصابة بالجنون بينما صرخات الفيل تمزق أذني، تلتهم أي فرصة لإنقاذ ضحيتها، محمود الذي لم أر وجهه قط، ولن أراه.

أخيراً أتى رجال الأمن، سمعتهم يصيحون في بعضهم البعض بكلمات لم أميزها، ثم سمعت ضربات معدنية تطول حديد الأقفاص وأبوابها، متبوعة بطلقات، وأخيراً خمدت أصوات الفيل، الذي بالطبع داس ضحيته حتى قتلها أشنع قتلة. قتل هشام محمود كما قتل شلبي وأنجيلا والباقيين.

رغم أمني الضئيل ألا يكون أي من هذا حقيقياً سالت دموعي بلا توقف، وعلى الأرض الترابية رحت أبكي كل شيء خسرت في حياتي تقريباً، وكأن العالم كله يحتضر. حتى شعرت بهزة من نجاة وهي تقول في رعب: «ريم، ريم إلحقي! اللي اتهرس في القفص ده مدرب الچيم بتاعك!».

هشام!

توقفت دموعي بغتة تحت تأثير المفاجأة. القاتل هو المقتول؟ استندت بيدي على الأرض رافضة مساعدتها، ثم سألتها وأنا أمسح مخاط أنفي بظهر يدي: «إنتي متأكدة!».

- آه والله! هو بدقنه بترابيسه، بس ده بقى كفتة خالص!

كيف يمكن أن يكون هذا؟!

استندت عليها بسبب الدوار الذي طالني، ثم طلبت منها أن تتصل بمحمود من هاتفي ففعلت كما أمرتها، ولم يجب تلك المرة أيضًا. أين هو إذا؟ ومن ذا الذي أرسل رابط البث لو لم يكن هشام؟ بكل الحيرة في العالم وقفت وسط الحديقة، رأسي يترنح بين الأسئلة والاحتمالات بلا هوادة، فقررت العودة إلى منزلي بعد أن نال مني التعب مع روائح الروث وضجيج رجال الأمن، وتحركت معها تاركين خلفنا جثة وحراس حديقة مرعوبين في انتظار شرطة الكومباوند. ورغم طلبهم المهذب لنا بانتظار الشرطة كشهود صرخت فيهم بكل ما أوتيت من غضب وسلطة أن يغربوا عن وجهي، فما كان منهم إلا الطاعة.

في المنزل جلست أقضم أظفاري وأهز أقدامي، تحاول نجاة تهدئتي بلمسات خفيفة فأبعدها عني في الحال، كما أبعده ذبابة صيفية لزجة، ثم أعاد الاتصال بمحمود الذي أغلق هاتفه تمامًا فأكاد أصاب

بانهيار عصبي. كل ما يحدث خاطئ ويشير توتري
لأقصى درجة، أريد إجابة، أي إجابة حتى ولو قاتمة،
فالمجهول الذي أعيشه يدفعني للجنون دفعا،
سئمته ومللت الحياة منقوصة التفاصيل. هل قُتل
حبيبي؟ هل مل مني وهرب؟ هل يخاف مواجعتي
بأن حبي صعب وأنه لن يستطيع العناية بفتاة عمياء
عصبية؟

ثم سمعت الرنين المميز لرسالة واتساب. رسالة
بطريقة ما كنت أعرف أنها تحتوي على إجابة. رسالة
كانت تحتوي على مقطع فيديو، وقائمة بصيغة
pdf، ونص قصير يخبرني أن محمود تم اختطافه
في القطاع A وأن خلاصه على يدي أنا فقط، لو
قمت.. بالقتل.



الصيف في پالم تاون

-شريف علام-

«أنا السرطان اللي بينهش في جسم المكان».

توقفت عن تسجيل الفيديو للمرة السابعة، ثم ضغطت زر الإيقاف في ضجر. لا تعجبني مقدمة التسجيل، ومهما حاولت أن أضع فيها من مجهود أو غرابة أطوار كانت تخرج مبتذلة وبلا معنى.

من على مكتبي التقطت سيجارة حشيش، أشعلتها ثم سحبت نفسًا عميقًا، ساعيًا خلف نهر الإلهام حتى أصل لمنبعه. أطفأت أغاني (led zeppelin) التي تصدح من السماعات، وفي إرهاق حقيقي تراجعحت بظهري على الكرسي، أغمضت عيني وركبت قطارًا لماض ليس بعيدًا للغاية، للصيف في پالم تاون.

عدة أشهر سابقة، حيث كان كل شيء مختلفًا. كانت الدنيا غير الدنيا، وكانت الشمس غير الشمس، والهواء والطعام والموسيقى، كل الموجودات حملت طعمًا مغايرًا. لكن الآن، في الخريف، تغير كل شيء وكأنما وقع عليه ظل رمادي واصطبغ بصبغة داكنة.

في الصيف كانت المسابح، والحفلات الصاخبة، والحياة التي تندفع إلى أقصى الحدود الممكنة، مخدرات وخمر وجنس، وفي پالم تاون اختلف هذا الصيف قليلًا عن مثيله في الساحل الشمالي أو

أي كومباوند آخر، فهنا لا مكان لقانون، والخطوط الحمراء شفافة غير موجودة.

كانت فكرة نيللي في البداية، أطلقتها في ليلة ماجنة من ليالي پالم تاون، عالمة أن المشاهير والمليارديرات بصفة عامة لا يرضون بما هو متوفر للعامة، ولا يهتمون به: «الجنس الممل vanilla لا يليق بنا، ولا يليق بهذا الصيف الحار».

نيللي قوادة محترفة، تعرف كيف تبيع الفكرة وتلعب على الغريزة، وفي حديثها هنا كانت تتحدث عن لذة جديدة لم تجربها من قبل. فعند نقطة معينة من الثراء، من السلطة والنفوذ، يصبح العالم دائرة مفرغة ومملة، ونيللي تعلم جيدًا أن الملل قاتل، الفراغ هو عدونا الأكثر خبثًا، وأن اللعنة الأكبر في الحياة هي ألا يكون لديك هدف تستيقظ من أجله في كل صباح، وأنا جميعًا هنا لُعنا بتلك اللعنة، بعد أن منحتنا الأموال مفتاحًا لكل بوابة فلم نترك بابًا إلا واقتحمناه اقتحامًا من دون طرق. سرعان ما يفقد كل شيء في حياتنا لذته، ولا يبعث فينا الروح من جديد إلا الجديد الشاذ الذي لم نجربه فقط.

كان اقتراحها نوعًا من أنواع الاتجار بالبشر والعبودية، فقالت ضاحكة وقد تلاعبت الخمر برأسها: «هل أوبرا وينفري أفضل مني؟ هل يستحق ممثلين هوليوود محدودي الموهبة صناعيين الجمال أن يستمتعوا ونحن لا؟».

جزيرة جيفري إبستين جديدة، حفلات p.diddy بلمسة شرقية، نسختنا الخاصة من كل ذلك. ثم أضافت اللمسة الأخيرة لاقتراحها عندما قالت: «سنجمع حثالة البشر ونسدي خدمة للعالم، الشحاذين والعاهرات والأقزام ومصابين متلازمة داون، سنخفف عبء الزيادة السكانية ونقضي على الزحام والفقر، لنستفيد منهم ولو لمرة واحدة».

وبغرابة شديدة، قوبل اقتراحها بنوع من الحماس، الذي تطور إلى أفعال منا جميعًا: مني، ومن (مالك عز) وزوجته سارة، ومن محسن سكر وهشام وطارق ومروان وخديجة وياسر وميرفت، نحو ٣٠ من سكان الكومباوند ممن اعتادوا الانضمام لحفلات نيلى الأسبوعية، وممن تأكدنا أنهم سيوافقون على جنون كذلك.

استغللنا حقيقة أن أغلب سكان الكومباوند يسافرون في الصيف إما إلى الساحل الشمالي أو خارج البلاد، تاركين نسبة قليلة جدًا هنا، وبسرعة انغمسنا كلنا في الإعداد لهذا النشاط الماكن، فأفرغنا حديقة الكومباوند من الحيوانات بحجة الإصلاحات والتحسينات، وسرًا أودعنا بالأقفاص كل أنواع البشر الممكنة: رجالًا ونساءً وأطفالًا، بيضًا وسودًا وُصفراء، ماليزيين وإسكندنافيين وعرب، حتى المعاقين والأقزام، كنا نمارس معهم كل أنواع الانحرافات المعروفة وغير المعروفة بعد منتصف الليل، عندما تسكن الحركة في الكومباوند، ونغطي

على أصواتنا بالموسيقى العالية التي تصدر عن سماعات الحديقة، التي بالطبع كان الاقتراب من أسوارها ممنوعًا تمامًا، بمساعدة مجموعة من رجال الأمن المخلصين لي.

كان احتفالًا ملتهبًا محمومًا استمر بطول الصيف، سيركًا مجنونًا ارتفعت فيه الهرمونات واللذة إلى آفاق لم نعرفها من قبل. تعذيب وعبودية وشذوذ وحتى ألعاب على المعاقين منهم، جنس لم نجربه من قبل وتجارب لم نفكر في خوضها مطلقًا كانت كلها معروضة أمامنا على المشاع، ولكن اللذة الأهم والأكبر كانت لذة السرقة، السرية، أن كل ذلك يحدث على بعد أمتار من الحياة الطبيعية هنا، تحت أنف القلة المتبقية من السكان، فكرة أننا كنا معرضين للفضيحة في أي لحظة، لكن لن يتمكن أحد من المعرفة أبدًا بفضل السلطة المطلقة التي نملكها جميعًا، التي كانت ألد من الجنس.

كنا ندخل بأقنعة الحيوانات حفاظًا على هوياتنا السرية، لكل واحد قناع ثابت دائم يدخل به ثم يفعل ما يشاء، الأسد، الحية، الثور، فكان الأمر برمته مشهدًا جحيميًا من قاع جهنم غلبت عليه أنوار الحديقة الحمراء: بشر بوجوه حيوانات، ببدلات وفساتين سهرة، أمام بشر مُقيدين بالسلاسل، موضوعين في الأقفاص أو خارجها، يُضاجعونهم ويتذوقون أجسادهم، يلعبون بهم ويُعذبونهم بأدوات شيطانية. أحيانًا كنتُ أقف في منتصف ليلة

من تلك الليالي، عاريًا، غارقًا في العرق، أتأمل ما يحدث حولي، وأتساءل: هل كل ذلك حقيقي؟ هل نحن هنا والآن، نختلف عن آلهة اليونان والأساطير في شيء؟

أن تُحضر إنسانًا وتضعه في قفص، أن تُقيده وتتحكم في مصيره، بكلمة منك يصير حرًا وبهوى منك يتعذب ويرى ألوانًا من الجنون، حتى يفقد ما لا يمكنه اكتسابه من جديد، أليست كل تلك صفات زيوس وهاديس وهيرا وپوسايدن؟ ألم ينصاعوا لرغباتهم ونزواتهم الوحشية بلا تفكير؟

لكن الوحشية الحقيقية كانت في الخطة التي وضعناها لما بعد الصيف. هؤلاء التعساء الذين لن يصلحوا للحياة مرة أخرى، اتفقنا أن ننقلهم لمشروع المساكن الشعبية بالكومباوند، وأن نكتب لكل واحد فيهم اسمًا وتاريخًا ونعطيه وظيفة: قهوجي، قوادة، بقال. حُرمت عليهم الحياة الطبيعية، مُنعوا من الخروج خارج أسوار تلك المساكن حتى نتجنب الفضائح. قررنا ألا نقتلهم، ملنا إلى استخدامهم بدلًا من التخلص منهم. في المساكن الشعبية سيندمجون ويمثلون أدوارهم، سيعيشون حيوات جديدة بشخصيات جديدة وستمحي القديمة تمامًا، وربما في الصيف القادم سننقلهم لحديقة الحيوان من جديد.

ثم انتهى كل شيء فجأة، وتم انتشاري من فيضان النشوة. تركت تيار اللذة مرغمًا في أواخر الصيف،

عندما اكتشفت إصابتي بسرطان المخ.

في البداية ضربني الفزع، كيف ولماذا؟ أعرف
إجابة السؤال الثاني، لكن الذي لم أعرفه هو لماذا أنا
فقط من بين هؤلاء؟ الجميع بصحة جيدة، الجميع
يأكلون ويمرحون ويمارسون جنسهم المنحرف في
المساء، ويكسبون الأموال ويفرقون في الشهرة
بالصباح، فلم تصب سهام العدالة المسمومة سواي.

جزاء الجريمة عقاب وأجرة الخطية موت، هذا
قانون إلهي ودستور عالمي، لكنه لم يطبق إلا على
شريف علام من بين كل الفجار الأنجاس الذين
قضوا ذلك الصيف في يالم تاون. رفضت العلاج،
عشت في حالة من الإنكار التام وخبأت الأمر عن
الجميع. تلك الكلمة (سرطان) كلمة أسمعها في
حكايات الآخرين، كلمة تظهر في المسلسلات
والأفلام كعقدة في الحبكة ومحرك كسول للأحداث،
إنما حياتي أنا؟ بالتأكيد أنا غير معرض لكل هذا
الهراء عن الكيماوي والإشعاع والعلاجات البطيئة
المؤلمة التي تجعل منك مسخًا وهيكلًا عظيمًا
ينتظر رمي غملة ستحدد مستقبله، بين ملك الموت
أو كتابة العلاج.

وخلف قضبان مرضي تغير كل شيء. انكشفت
خطايانا لعيني وزالت المساحيق التي تجمل هذا
المجتمع الناعم. كان السرطان صفقة هزتني،
وكالأعمى الذي يرى لأول مرة عشت الحياة من
جديد، طفل ولد لتوه في جسد مريض. كل الناس

هنا مدعون، مزيفون، الأشرار منهم والأخيار يعيشون في فقاعات منعزلة عن الواقع، في عوالم موازية. بين ليلة وضحاها صرت أمقتهم، وامتلات نفسي بالأحقاد تجاه كل الذين مارسوا ما مارسته لكن لم ينلهم أي عقاب.

بلا تخطيط مسبق تبلورت في ذهني صورة كاملة للمرحلة القادمة من حياتي: أصيب جسدي بالسرطان، بل أصيبت حياتي كلها بالسرطان، وأنا السرطان الذي سيصيب جسد هذا المكان. سأكون عقابًا عادلًا على كل ما اقترفوه من آثام، ولكنني لن ألوث يدي بالدماء، أنا لست قاتلاً طبغًا، أنا ورم خبيث، وكما يفعل الورم بالضبط سأجعل هذا الجسد يأكل نفسه، سيقتل الجار جاره والحبيب حبيبته، والأمر ليس صعبًا على الإطلاق عندما تمتلك مكتبة من التسجيلات لكل شبر في الكومباوند.

في صندوق كاميرات المراقبة الأسود آلاف الأسرار، تسجيل واحد قد يطيح بسمعة أي من السكان هنا، خصوصًا تسجيلات الحديقة، فكنت ألعب اللعبة الآتية: أرسل رسالة من مجهول «فاعل خير» مرفقة بتسجيل فاضح.

«عزيزي، قد لا تعرفني ولكنني أعرفك حق المعرفة، وأعرف ذنوبك وكل ما اقترفته من آثام. من حسن حظك أنني لست الإله حتى أحاسبك، ولكن من سوء حظك عثرت الخادمة (....) على تلك التسجيلات

الشائنة لك، وهي على وشك بيعها للصحافة مقابل ثروة صغيرة، هل تتخيل رد فعل العامة على رؤيتك وأنت تضاجع مُسنًا مشلولًا، أو تعذب طفلة مصابة بمتلازمة داون؟ لن يكتفي أعداؤك فقط بذبح جسدك والتغذي عليه، سينضم أhabاؤك أيضًا للوليمة، ستصير رمزًا للدنس والفساد، سيعدون عنك الأفلام الوثائقية وسينزف حسابك البنكي حتى يصاب بسكتة قلبية، والسجن هو أهون ما قد يقلقك من مصائب.

ولكني هنا لمساعدتك. مرفق بالرسالة صورة للخادمة، عليك قتلها والتخلص منها، وأمن الكومباوند سيتكفل بمهمة التستر عليك، فقط لأجل سمعتك وسمعة الكومباوند. كل ما عليك فعله هو الحضور في (.....) يوم (.....) وستجدها موجودة هناك في انتظار صحفي وهمي، أما بالنسبة لكاميرات المراقبة فلا تقلق، هناك عطل يصيب الكاميرات إذا ضغطت في الريموت الخاص بك على زر إغلاق الباب لمدة ٤ ثوانٍ مع زر استدعاء خدمة الهاوس كيبنج، يعطل الكاميرات في محيطك له دقائق كاملين، تستطيع أن تدخل خلالهم، تقتل وتخرج وكأنك شبح. إمضاء: شخص تهمة مصلحتك ومصلحة يالم تاون».

ومن هنا لم يكن الأمر صعبًا على الإطلاق، فالجنون مرض ينتقل بسهولة الإنفلونزا، ولا يوجد إنسان واحد منيع ضده مهما كان عقله حصينًا، فما بالك

بحفنة من الأغنياء الأغبياء الذين ترهلت مناعتهم
من كثرة الثراء والرفاهية؟

بالضبط وبدقة سارت الخطة كما رسمت: (مالك
عن) قتل الخادمة الأولى أنجيلا بعدما وصله التهديد
الذي صممه، وقتلت ميرفت القط (شلبي) بأوامر
مني، لإخافة ريم وإبعادها عن طريق خططي، لأنها
أصرت على البحث.

ثم قتل اللاعب (طارق عبده) الخادمة الثانية،
بنفس مصيدة التهديد، ومن بعدها قرّرت تغيير
نوعية الضحايا، فقتل هشام جابر المذيعة ريهام
رزق، التي هدّته بفضحه بسبق تلفزيوني بعدما
أرسلت لها تسجيلاته الجنسية. ريهام الوحيدة التي
عرفت بالصدفة أنني المُحرك الرئيسي خلف الجرائم،
فقابلتها في الكافيه الخاص بجميل العناني، على
طاولة ميرفت الخاصة، وهدّتها في البداية
بفضحها هي الأخرى ثم أعددت مصيدة أخرى تحت
راية المنفعة المُتبادلة: (مقابل سكوتك سأمنحك
تسجيلات من شأنها القضاء على مستقبل هشام
جابر ومنحك سبقًا تلفزيونيًا سيخلد اسمك).

ثم بالطبع تكفل هشام بكل شيء بعدما ابتزته.
والآن قُتل هو منذ ساعات، على يد نيللي التي
خدرته، وتحت أوامر «فاعل الخير» حبسته في
قفص الفيل. أما جريمة مقتل مروان الأخيرة فلم
أخطط لها ولا أعرف منفذها حتى، فكما خططت،
انتشرت عدوى الجنون بالفعل وصار لكلمة القتل

وقع خفيف على آذانهم، بل بدأ البعض يرى فيه
الخلاص من مشاكله.

ماهر وريم فقط كانا العقبتين الوحيدتين في
تخطيطي.

رغم أن الأول صعيدي ساذج، لكنه بطريقة ما
أصاب في معظم تخميناته. لا أنكر أن رفقته مسلية
وأنه خفيف الظل إلى حد ما، وفي النهاية هو يظل
فلاحاً أمياً لا يشكل أي مشكلة على خطتي مهما
أعمل عقله وخمن تخمينات صحيحة كما في حالة
(مالك) و(طارق)، فما يحدث هنا أكبر من إمكانياته
بكثير، وجهله هو حائط سد أمام أي إجابة صحيحة.

أما ريم الكفيفة فهي المشكلة الكبرى، ليس لأي
سبب سوى أنني، وبرغم كل احتياطاتي، أحببتها.
في البداية أردت إبعادها عن طريقي بعد الصدفة
التي جمعتها بالجريمة الأولى واقترباها من (مالك)
(عز) منفذها، ثم بمرور الوقت جذبني الفضول
ناحيتها، تعرفت عليها باسم (محمود) تحت هوية
مزيفة، مستغلاً عماها، لم أمانع بعض التسلية مع
الحسناء التي فقدت لمعانها مع بصرها، ثم بمرور
الوقت لم أستطع منع نفسي من ملاحظة كل
القواسم المشتركة بيننا.

كلانا غاضب، ناقم على الحياة، كلانا لم يعد
يشبههم، وكلانا في لحظة فقد المعنى وأي دافع
للاستمرار. موقفي تجاه ريم كان -ولا يزال- محيراً

لا أستطيع حسمه، فأحيانًا أشعر أنها توأم روحي
الذي خلق لي ومن أجلي، كثيرًا ما يدق قلبي لذلك
الجسد الضعيف الأنثوي التائه في غياهب الظلام،
وأحيانًا أخرى يخبرني الورم في عقلي ويوسوس
كما شيطان ساكن هناك أنها مثلهم وأن كل ذلك
الحب بلا فائدة، أن ميعادي يقترب بسرعة القطار
إلى محطة الوصول، فلا وقت ولا هدف سوى
الخطئة التي تقبض معها على أكبر عدد أرواح معي
إلى الجحيم.

ووفقًا للحيرة في قلبي، كنت أتلاعب بها هي
الأخرى ثم أسارع إلى إنقاذها في هلع، مثل
المرّة التي قابلت فيها ريهام على طاولة ميرفت
المخصصة وتعمدت أن أؤكد في التسجيلات
الصوتية الزمان والمكان لمقابلة هشام مع ريهام،
لأنني أردت رؤية رد فعل ريم وكيف ستتصرف، ثم
أكلني القلق عليها فأبلغت أمن الكومپاوند مخاطرًا
بكشف الجريمة، ومثل المرّة التي أجبرت ميرفت
فيها على قتل قطها شلبي قبل أن يصيبني ندم
عميق على حالها.

على كل حال، هي تظل واحدة منهم، والمساواة
في الظلم عدل، أليس كذلك؟

أنا أعرف أنني أموت، أتلاشى، هذا الجسد يصير
أضعف يومًا بعد يومًا، مستباحًا، ولكنني أتقبل الألم
وأستمتع به متطهرًا من كل آثامي وذنوبي، ولا مانع
من أن تُغرس تلك الشوكة في ظهري لعلّي أغفر

لنفسي ما فعلت في ذلك الصيف الأسود.

اليوم بدأ العد التنازلي للنهاية الحتمية، فالأمور تصاعدت بما يكفي وجسدي لم يعد قادرًا، صرت أبصق الدماء وأصاب بنوبات صرع. لقد حان موعد كشف الحقيقة وبدء التطهير، الجزء الأخير من خطتي.

رسميًا ومن الآن سيأكل هذا الجسد نفسه، من تلك اللحظة سأقطع كل الاتصالات بين يالم تاون والعالم الخارجي، سثغلق الأبواب الفولاذية الآمنة وترتفع الأسوار أمتارًا إضافية، كل إجراءات التأمين الفائقة الموضوعة خصيصًا لحماية هذا الكومباوند من أي اعتداء خارجي أو ثورة للجياع سأستخدمها لحبس الجميع هنا، حبسًا جهنميًا لا فرار منه ولا نجاة، ثم سأطلب منهم طلبًا صغيرًا، مفاجئًا، في البيان الذي أحاول تسجيله.

أما فيما يتعلق بريم وماهر، سأعد لهما مصيدة من نوع خاص، كما تجذب النار الفراشة فتحرقها. سيطاردان الهلاك في سعيهما وراء حبيب وهمي وصديق زائف، وحتى لو استطاعا النجاة وسط كل ذلك والوصول إلى هنا، سأكلهما بالبطيء.. ليس لشيء إلا عرقلتتهما العدل.

بحثًا عن الإلهام وقفت أمام كاميرا الفيديو، أطفأت لفافة الحشيش ثم أخذت أنفذ قرارًا كنت قد أجلته طويلاً وأمسكت بماكينة الحلاقة الكهربائية،

ضغطت زر التشغيل، وأخبرني أزيز الماكينة أن كل شيء سيبدأ الآن.

جززت شعر رأسي تمامًا كمريض سرطان رسمي، ثم حلقت حاجبي فصار منظري كريها، ولكنني ابتسمت في رضا. خلعت قميصي، وارتديت قناع الفيل الذي لم يرتده أحد في حفلات الصيف مع بعض أقنعة منبوذة، ولكنني تبنيته في الخريف عندما لاحظت كم هو حيوان متفرد، وأن لكل من هؤلاء الملاحين تقريبًا فيلاً في حياته، سواء في هيئة لقب أو عمل فني أو براند، فصار الفيل بعد كل شيء هو رمز الذنب الذي يتشاركونه جميعًا، واخترته كشعار للقتل وأجبرتهم على وضعه بجوار الجثث.

وأخيرًا، ضغطت زر التسجيل في الكاميرا بعد أن قررت صياغة بياني لسكان الكومباوند بالعربية الفصحى، وأن أستلهم من الخاطرة التي واثقني في ليلة الجريمة الأولى.

«أنا السرطان الذي سيأكل جسد هذا المكان.

أنا طوفان نوح من جديد، أنا النار والكبريت، أنا الضربات العشر على الفرعون الذي تجبر والشعب الذي تكبر.

أنا العقاب الإلهي، مثل الفيضان آت، أول غيثي قطرة صغيرة ونهايتي إعصار جبار يأخذ كل ما في طريقه ولا يترك أثرًا». ثم أكملت خطابي.

ليبدأ الجنون، الليلة.



(٤٠)

هدوء قبل العاصفة

-ماهر-

جاءت الرسالة لتعلن أن هذا المكان سقط في يد
شيطان. شيطان مجنون تمامًا، يرتدي قناع فيل.

رجل مجهول الهوية، لا اسم له أو تعريف، وقف
أمام الكاميرا يحكي بكل هدوء خطته الجهنمية:
من قتل من، وكيف فعلها هو وورطهم في بعضهم،
وكيف استكمل خطته اليوم باختطاف شريف
ابن مالك الكومباون، ورهائن من السكان الآخرين!
أما الجزء الأكثر رعبًا كان ما رواه وهو يضم كفيه
لبعضهما البعض، ببساطة محاضر يشرح درس
كيمياء:

«منذ اللحظة التي سيصل فيها هذا الفيديو
للجميع سئقطع الاتصالات بين پالم تاون والعالم
الخارجي، لا إنترنت ولا شبكات محمول ولا حتى
قمر صناعي، سئغلق البوابات الفولاذية المحيطة
بكم وترتفع الأسوار أمتارًا إضافية وفقًا لبروتوكول
الحماية. أما أفراد الأمن فمعظمهم بالفعل بالخارج
في أرض الحفلات الملحقة بالكومباوند، يؤمنون
حفل رابر شهير، والمتبقي منهم اشترت ولاءهم
ويحرسونني هنا».

«أما بعد ٢٤ ساعة فسئفتح الأبواب وستنزل

الأسوار، سأطلق سراحكم جميعًا لكنه إطلاق سراح مشروط، مصحوب بفضائح كبرى ستتسرب للجميع تقريبًا، فلا تنسوا أن الكاميرات التي اخترقتها تحوي تسجيلات وأسرارًا تكفي هد هرم عتيد. الحالة الوحيدة فقط التي يمكن لأي منكم الخروج فيها بدون فضائح هي إذا أحضر لي رأس ملياردير -أو أكثر- يساوي مجموع حساباته البنكية ٣٠٠ مليار جنيه على الأقل، إلى مكاني هنا في القطاع A».

وكدليل على صدق تهديده، عرض لنا بعض الفيديوهات الفاضحة لهشام رحمه الله مع مصاب بالعتة المنغولي في قفص بحديقة الحيوانات. فيديوهات انتشرت بالفعل على الإنترنت قبل أن تُقطع الاتصالات عن الكومباون. ثم ختم رسالته ببضع كلمات بسيطة، موجهة لي: «بالمناسبة يا دكتور ماهر.. حاجتك معايا»، ثم أشار بإبهامه إلى تمثالي القابع خلفه على أحد الأرفف، يظهر في الكادر بوضوح.

ابن الهرمة هذا هو من يملك تمثالي! كيف ومتى؟ لم أستطع هضم ولا فهم كل ما سمعت، هذا المعتوه يريدنا أن نقتل بعضنا في محاولة النجاة، يعرف جيدًا أن السمعة هي رأس مال الجميع هنا، وأن الكل على استعداد ليقاتل ويقتل ويقطع الرؤوس حتى يستر نفسه من أي فضيحة. يا لها من لعبة!

هل سكان الكومباون على استعداد للمشاركة في مذبحة كتلك؟ هل سينخرطون في لعبة القتل لمجرد اتقاء الفضيحة؟ رغم المنطق خلف الإجابة التي تقول (لا) قلبي ينبئني بأنهم لن يمانعوا، فالبعض منهم بالفعل قتل خدماً أو جيراناً له. قطار الخبال انطلق في هذا المكان منذ أسابيع بسرعته البطيئة التي أخذت تزداد بمرور الوقت، مع كل جثة تتكوم لتعلن عادية الأمر وبساطته.

وعلى الفور كان بإمكانني رؤية التأثير الذي أحدثته الرسالة في كل مكان. كحجر اصطدم بلوح زجاجي فامتلاً بالشروخ، ظهر القلق على الأوجه والتجمعات الصغيرة الموزعة في أروقة المستشفى، بان بشدة على كل هؤلاء الملتفتين حول أنفسهم، وكل من كان يحاول الاتصال من هاتفه ثم ينزله مجدداً من على أذنه في إحباط عندما يكتشف أن الاتصالات قُطعت بالفعل.

خرجت إلى الشارع فرأيت عدداً ملحوظاً من الناس خارج بيوتهم، يستفهمون بنظرات متوترة عما حدث أو يسألون جيراناً لهم عما يحدث، وبشكل عام طغت على المكان حالة من الفرع مع الإنكار. كان الكومباون مقشعراً كجسد خائف انتصبت كل بصيلة من بصيالاته مشدودة وواقفة.

للمرة الأولى أرى هذا الخوف الطبيعي هنا، لائخاً على الوجوه المتغطرسة التي لطالما اتخذت من الثروة ستاراً عن العالم الحقيقي، وجوه كان حلها

الأسهل دومًا هو مد اليد اليمنى في جيب السروال وإجراء مكالمة كفيلة بشق البحر الأحمر وإعادة الموتى للحياة، ولكن ما الذي سيحميهم إذا كان الخطر من الداخل، ويقترب بشدة؟ فبمرور الدقائق كانت كل كلمة من كلام البيان تتأكد أكثر، ليتأصل الذعر ويزداد وضوحًا.

بدأ الأمر يزداد جدية عندما رأيت البعض يخرج من بيوته بأسلحة، مسدسات ومدافع رشاشة وحتى سيوف يابانية، الكل يحمل إعلانًا عن تحصينه ويعطي تحذيرًا غير مباشر للكل. الآن أشم رائحة الجنون البترولية فواحة في الشوارع، مسكوبة على كل التفاصيل، في انتظار شرارة بسيطة أو أصغر فعل مجنون حتى يمسك حريق هائل بكل شخص وشيء هنا.

رن منظر الأسلحة جرسًا في مخي، فطلبت واحدة من عربات الجولف ولكنها كلها كانت مشغولة -بالطبع- لذا عدت مشيًا إلى فيلتي حتى أستل واحدًا من مسدساتي المخبأة هناك كإجراء وقائي.

ما الخطة الآن؟ أريد تمثالي من هذا المعتوه وأريد إنقاذ شريف المسكين، ولكن قبل أي شيء أريد الأمان. عند بيتي رأيت نيللي أمام فيلتها، تدخن سيجارة في فستان برتقالي، حيث حيتني بعصبية فبادلتها التحية واقتربت منها لا إراديًا، مجذوبًا لها مسحورًا أمام فتنتها التي لا تنضب حتى في ليلة كتلك، وبدون مقدمات أمسكت بيدي قائلة: «شوفت

اللي حصل؟».

- الجدع ده شكله مجنون رسمي.

- إنت تعرف هو مين صح؟ ده قال اسمك في الآخر.

قلت كاذبًا وأنا أحك ذقني مدعيًا التفكير: «تقريبًا كده».

- بجد!

- أmaal! الواد ده بيلاعبني بقاله كثير، بس أنا هجيبه خلاص.

- طب إنت عارف هو ناوي على إيه؟

كذبت مجددًا: «إلا أعرف، ده أنا عاجنه وخابزه».

- لازم تحضر الاجتماع معانا.

- اجتماع؟

- هتفهم أما تيجي، إحنا كلنا هنتجمع في بيتي كمان ربع ساعة.

- III والله.. يعني...

- مش فيه وقت يا ماهر! أنا خايفة.

تشبثت بذراعي وقالتها بضعف لم أدر إن كان حقيقيا أم مصطنعا، ولكنه كان كافيا لإصابتي بانتصاب قوي منعني سوى عن قول: «خمس دقائق وأكون عندك». وبصعوبة شديدة تركت يدها لأعبر

الشارع وأدخل فيلتي. من أحد أدراج الكومود في
غرفة المعيشة أخرجت مسدسًا ثقيلًا وآخر خفيفًا،
وبالتدريج عندما التقطت أنفاسي عاد المنطق
ليسكن رأسي... نجاة.

نجاة في خطر حقيقي وسط كل هذا العبث.
أحتاج إلى أن أطمئن عليها وأن أنقلها إلى مكان آمن،
يجب أن آخذها إلى فيلتي بعد ذلك الاجتماع، لأن
الأمر لا تدعو للتفاؤل على الإطلاق.



عناق متأخر

-ريم-

أتى مقطع الفيديو مفسرًا لحقيقة الجرائم في الكومپاوند، فسمعت تفاصيله مع نجاة في رعب لم يخلُ من حماس عندما تأكدت تخميناتي، حتى اختفى الحماس لما أعلن أن اختطاف بعض السكان هو جزء من خطته الدموية، على رأسهم ابن مالك الكومپاوند. هنا شعرت ببعض القلق ناحية اختفاء محمود المفاجئ، فأخبرت نجاة أن تفتح الرسالة الخاصة الموجهة لي، التي كانت مرفقة مع الفيديو:

«حبيبك مخطوف في Sector A وهيتقتل على آخر الليلة لو ماقتلتيش معاهم يا حلوة، قصة روميو وجولييت دي هتنتهي لو ماجيتيش براس ملياردير إنتي كمان».

الأمر صار واضحًا: إنه يريدني أنا. سيقتل محمود انتقامًا مني.

كنت في منزلي، أجلس القرفصاء على أحد كراسي غرفة المعيشة، بجواري تجلس نجاة محاولة تهدئتي، يرعبها صمتي أكثر من أي نوبة غضب مررت بها من قبل لأنها تعلم أن أسفل جمودي بركان سيثور في أي لحظة، فتخرج منها بين الحين والآخر كلمات مثل (ماتخافيش) و(إن شاء الله خير)، أو

تعد لي مشروبًا أو ساندويتشًا كل بضع دقائق، ولكن
كيف تخمد حريقًا بكوب من الماء؟!

لم أكرث للضوضاء الآتية من الخارج رغم أن
المسموع منها كان مقلقًا ويقول أن هياجًا بدأ في
إصابة الجميع، ولكنني قبعْتُ هنا محبوسة في ظلام
عيني، خائفة على مصير محمود إلى درجة تجعل
من أي شيء آخر في العالم مجرد حدث جانبي.

ثم انفتح باب المنزل بوقع غير معتاد وإن ميزت
من تتابع الأصوات أنها أمي، التي قالت ما إن فتحت
الباب: «ريم إنتي كويسة؟ حد جه جنبكم؟ الدنيا
مولعة برة».

لا رد مني، فقط نجاة هي التي قالت بأدب أننا
بخير. بعدها سمعت سلسلة أخرى من أصوات لم
أتمكن من تفسيرها، وإن كانت تدل في فحواها على
ذعر وتخبُّط: أدراج تُفتح، وأبواب تغلق، وخطوات
تجيء وتذهب بسرعة، ثم قالت أمي: «يلا يا ريري
قومي، إحنا لازم نمشي».

- نروح فين؟

- عند خالتو إيمان في مصر الجديدة.

- مامي my boyfriend مخطوف ولازم ألحقه.
وبعدين الكومياوند كله مقفول.

- أنا هزعل لبتوع السيكيوريتي عشان يخرجونا.

- كفاية عبط بقى please.

- ريم!

- أنا اتخنقت من الجنان ده، بطلي تمثيل
وبطلي تعيشي الدور العبيط بتاع جيهان الـ
sophisticated.

- إنتي اتجننتي؟

- إنتي اللي عايشة في اللالا لاند ومش حاسة بأي
حاجة بتحصل حواليك.

- لولا اللي إنتي فيه كنت خدت معاكى تصرف
تاني.

- إيه اللي أنا فيه؟ إيه اللي أنا فيه، ها؟ عمرك
ما هتفهمي أنا محتاجة إيه ولا بحس بإيه. Zero
empathy زي القروء.

صرخت فيها بكل تلك الكلمات ولم أجد ردًا،
فعدت إلى غرفتي سالكة طريقًا أحفظه، أتعثر في
السجاد والسالام، وعلى سريرى احتضنت وسادتي
وانفجرت في البكاء كما لم أبك من قبل، أبكي
الشخص الوحيد الذي اهتم لأمرى وأرثيه من كل
قلبي.

وبعد دقائق لم أشعر بها ودموع لم أحصها دقت
أمي الباب، ثم قالت بجفاء أن علينا الرحيل الآن وأن
نجاهة قد وضعت بالفعل كل ما نحتاجه في السيارة،
ولكنني أخبرتها أنني لن أذهب لأي مكان.

كنت أعلم أنها تود إعادة فتح الشجار ولكن منعها

منظري وبكائي عن ذلك، ثم -ولدهشتي- اقتربت
مني محاولة أن تحتضني، وتقول بصوت واهن:
«نجاة قالت لي كل حاجة»، ثم لفت أذرعها حولي،
لكنها لم تكن تدري كيف تفعلها.

توقفت أُمي عن احتضاني منذ زمن بعيد، قبل
حتى أن أتعلم الكلام بصورة صحيحة، لم تفعلها أبدًا
منذ أصبحت واعية، ومع كل فرصة عناق مهدرة
كانت المسافة بيننا تتسع أكثر فأكثر. طوال الوقت
كنا نلعب لعبة الأم والبنت، نتظاهر أمام الناس وأمام
أنفسنا بأننا عائلة، ولكن في حقيقة الأمر كانت كل
واحدة منا في عالم منفصل. هي لم تكن تهتم سوى
بما لنفسها أو ما قد يتداخل من حياتي مع حياتها،
وأنا تعلمت منها الأمر ذاته.

لذا كان عناقها الآن بعيدًا، متصلبًا، وكأن مفاصلها
نسيت كيف تفعلها، لكن تدريجيًا ذاب السور العظيم
بيننا وشعرت بها هي الأخرى تبكي. لم أرَ أُمي تبكي
من قبل، لا في شجارها مع أبي ولا عند الطلاق
أو وفاة جدتي، حتى أنني كنت أظن أن قنواتها
الدمعية جافة منذ الولادة، لكن الآن فهي تبكي
كإنسان عادي، مما أشعرتني بغضب متجدد على
حالتي المثيرة للشفقة، غضب ما لبث أن انقلب حزنًا
وتعاطفًا مع محاولاتها الواهية للتقرب مني. شعرت
بدموعها الساخنة تتساقط على وجنتي وشعري،
ومعها أصابني إحساس قوي بالذنب، هل أخطأت أنا
أيضًا في حقها؟ هل كان عليّ أن أمد يدي لها لو

كانت هي لا تعرف كيف تفعلها؟

انتزعني من دوامة مشاعري المتضاربة خبطات
متتالية مزعجة على باب الفيلا انتفضنا لها سويًا،
بعدها سمعت الحفيف لحركات نجاة السريعة وهي
تتحرك لتفتح الباب. ومن المسافة بين غرفتي
وغرفة المعيشة وصلتني صرخة عالية من نجاة،
وأصوات ارتطام عنيف.

هستيريا

- ماهر -

كنا نجلس حول السفرة في صالون نيللي، تشكيلة من المتوترين المتظاهرين بالصلابة، لكن تفضحهم تلك الإشارات البسيطة من أرجل تهتز بسرعة وحواجب معقودة وسجائر بأنواعها تشتعل بمعدلات جنونية، وأطباق تحتوي على بعض المخبوزات الصغيرة التي لم تمسسها يد أي من الحاضرين.

مالك عز الممثل مع زوجته سارة، محسن سكر رجل الأعمال، طارق عبده لاعب الكرة السابق، خديجة التهامي عارضة الأزياء التي مات حبيبها منذ ساعات معدودة، بجوارها ياسر المحمدي حبيبها السابق والمشتبه الأول في قتله، ونيللي صاحبة المنزل، وجميل العناني الذي قُتلت خادمته، مع ميرفت عشيقته، أو أخته كما يدعي.

من سياق الكلام استنبطت بعض المعاني: هم مجموعة من الأصدقاء أطلقت عليهم نيللي نفس الكلمة (شلة الجنيّة) كانوا يجتمعون صيفًا بصورة متكررة، وأن لهم سرًا هو على الأغلب السبب في كل ذلك. بعد التحيات والسلامات تناقشوا وتبادلوا كل وجهات النظر الممكنة، فرأى كل من محسن وجميل وطارق أن نمكث هنا سويًا حتى يحل الصباح وتمر

المُهلة التي منحها القاتل لنا، لأنه أيًا كانت هوية هذا المعتوه فهو أجبن من أن ينفذ تهديده ويفتح أبواب الجحيم عليه. أما (مالك) وزوجته وميرفت فكانوا يريدون الذهاب إلى مكانه بالقطاع A ومهاجمته والقضاء عليه، وكان رأي نيللي هو أن نزوره زيارة سلمية ونقنعه باللين، وربما كانت باللين تعني الجنس.

مر وجودي في بداية الاجتماع عاديًا غير ملحوظ، ذاب واختبأ في رعبهم مما يحدث، وإن كانت هناك بعض النظرات غير المرتاحة تطالني بين الحين والآخر، خاصةً من الممثل الناعس، الذي سرعان ما تحولت نظراته الممتعة إلى كلمات وهو يقول مشيرًا بجهاز التدخين الإلكتروني خاصته: «هو إيه اللي جاب البني آدم ده؟»، فقالت نيللي: «مالك بليز مش وقت خناق، دكتور ماهر عارف إيه اللي بيحصل».

- دكتور إيه إنتي كمان؟ ما كفاية استعباط. مالك مش مرتاح خالص يا نيللي.

تدخلت قائلاً: «بس أنا زعلان منك والله يا مالك باشا، مش كنت تقولي يا راجل إنك جاي تقتل الشغالة عشان أحط مشمع حتى؟».

أخرسه ما قلت، فنظر لي صامتًا عاقد الحاجبين، مما أتاح لي الفرصة للكلام بسطوة أكبر: «يا جماعة الجدع ده بقى له فترة بيلاعبنى لعب ثقيل».

مالك: «يعني نعمل لك إيه؟».

- يعني إوعى تفتكره مسدس صوت بيقول ومش هيفعل. ده واحد شكله مش باقي على حاجة. طالما قال هيفضحكم يبقى هيفضحكم.

صمتوا جميعًا يغربلون الكلام الذي زاد الوجوه همًا وزاد من وجودي قيمة، فأشعلت سيجارة لأحذو حذوهم ثم قلت مؤكدًا كلامي: «ضربة مرزبة ولا مية بالشاكوش»، فقال محسن:

- قصدك نخلص عليه؟

- برافو عليك، الظاهر كده الكل ملطوط في قصة الفضايح دي، مش هنقعد نحسس بقى ونستنى نشوف بسلامته ناوي على إيه.

كان الكلام يخرج من بين شفتي بلا ضابط ولا تفكير. تحت سطوة الأغنياء وانتباههم الذي أكسبه للمرة الأولى بهذه الكثافة لم أجد أفضل من هذا ليقال. ورغم أنني أردت أن أوقف لساني عن الحركة، لكن كانت له شخصية وإرادة مستقلان عني تلغظ وتأتي بكلام عكس ما أريد.. وفي تلك اللحظة فقط أدركت كم أنا صغير، كم أنا ناقص، وأن خلف كل تلك السنين وتلك الثروة لا زال يختبئ اليتيم الصغير الذي يبحث عن عائلة تقبله وأصدقاء يضمونه.

هنا توقفت عن الكلام، جذبت مكابحي قليلًا وقلت في سرعة متباطئة: «بس إنتم موافقين عادي كده تقتلوه؟»، فقال محسن ساخرًا وهو يلعب بقداحته:

«نص اللي قاعدين هنا قاتلين already.. ده
الباشمهندس ياسر لسه مسمم مروان من مافيش».
هنا انتفض ياسر ووقف قائلاً بعصبية: «أنا
ماعملتش حاجة». فأجابه محسن ببرود: «اقعد يا
راجل اقعد ماتتكشفش، كلهم هنا زمايلك». لكنه
لم يجلس، بل واصل قوله في ما يشبه الصراخ:
«خديجة هي اللي قتلته، قابلتني من يومين وطلبت
مني أستغل الشوشرة والدراما اللي هي هتعملها أما
تيجي وأبدل الـ water flask بتاعته بواحدة ثانية
هي ادتهاني وفهمتني إن فيها منوم، عشان أعرف
أنام معاها ليلتها!».

توجهنا كلنا بأبصارنا إلى خديجة التي تحلت بقناع
من الملامح الجامدة، ثم قالت بعد لحظات وهي
تزفر في ملل: «حمار، كل الرجالة اللي في حياتي
حمير. أيوة أنا قتلت مروان زي ما كلكم قتلتوا»، ولم
يرد أي من الحاضرين على كلامها لبرهة من الوقت،
فبالفعل كلهم قتلة.

فجأة رنت هواتفنا كلها، واستقبلنا على الواتس
الرسالة ذاتها. بسرعة فتحتها لأجد قائمة بثروات
كل سكان الكومباون، مُرتبة من الأكثر ثراءً للأقل،
ومعدة بعناية فائقة، فبحوار كل اسم كانت هناك
خانات أخرى في القائمة تحتوي على صورة،
وفضائح أو جرائم معينة.

ترتيبي في القائمة جاء متأخرًا ثروة وذنبا: بضعة

ملايين، وجرائم سرقة لا أعرف كيف علم هذا
الملعون بأمرها، ولكن بكل تأكيد كانت صفحتي
ناصعة البياض إذا ما قورنت بهم، والمثير للسخرية
أنه كلما ازدادت الثروة ثقلت الجرائم والذنوب
مقابلها.

صاحب قناع الفيل يلعب بالجميع، من جهة يؤكد
لنا تهديده ومن جهة أخرى يوسوس أن فكرته ليست
بهذا السوء: هذا الملياردير الذي تفكر في قتله ليس
ملاكاً، لقد باع بضاعة مسرطنة، واختطف رجالاً،
ومارس الجنس مع قاصر، وتلك المليونيرة التي قد
تكون تذكرتك للنجاة هي في الأصل قوادة وعاهرة
تتاجر بالبشر وتسببت في أذى المئات.

لكن الأمر الغريب والمرعب بحق في تلك القائمة،
كان أن ريم، سيدة نجاة، كانت تحتل رأس القائمة
بدون ذكر لثروة أو ذنوب، لكنها المطلوبة رقم واحد
هنا!

بسرعة حاولنا كلنا إجراء اتصالاتنا ولكن بالطبع
قُطعت الشبكة من جديد، فاعتلت الوجوه حول
السفرة إحباطات أثقل، وصاحبها تعبيرات جديدة.
تعبير الأرض التي ترتجف قبل الزلزال، تعبیر
الانتحاري الهادي قبل أن ينسف نفسه.

التقطت واحدة من الساليزونات أمامي وأنا أراقب
الوجوه المتجهمة، فعلى المكان حل شتاء مفاجئ
تجمد مع برودته الموجودين. كلنا متحفز،

كلنا عساكر في انتظار إشارة القائد، كلنا يتنفس
ببطء، بلا نطق، وأبصارنا كلها مشدودة لشاشات
الهواتف والقائمة. لم يمزق صمتنا سوى ضحكة
خفيفة ساخرة من (مالك) الذي قال بدون أن يرفع
عينيه من على الشاشة: «٤٠٠ مليار دولار يا محسن؟
مايبانش عليك والله». ثم، وبلا مقدمات، أخذ
(مالك) السكين من أمامه ونحر بها عنق محسن
السمين.

الآن بدأ الجنون.

في طرفة عين انفتحت أبواب الجحيم وانكسرت
سلاسله، واندفع شياطينه ليقلبوا المكان رأساً على
عقب. الدماء تطايرت، والنسوة صرخت، والأطباق
انكسرت، والأسلحة.. خرجت. كان جنون (مالك) هو
الإشارة الأولى للبدء والتصريح الرسمي لكل حتى
يتخلوا عن أي منطق أو عقل.

زُلزل العالم واهتزت أساساته، وكانت رؤيتي
مشوشة بسبب الحركة والرعب فلم أفهم نصف ما
حدث، ولكني رأيت ما يكفي حتى أدرك أنهم أصيبوا
بلوثة قاتلة: (مالك) على الأرض أعلى من محسن
ينحر رقبتة وقد غطت الدماء وجه كليهما، ميرفت
تكسر كرسيًا على جسد نيللي، وخديجة تفرغ خزانة
مسدس صغير في رأس ياسر عشيقها.

كان الحل الأمثل هو الهروب، وغريزيًا ذرت حول
نفسي باحثًا عن طريق الباب الذي ركضت إليه ما إن

لمحته، لكنني تعثرت في أحد الكراسي أثناء ركضي، فاصطدمت بالسجاد الناعم على الأرضية الخشبية.

على بطني زحفت بسرعة متجاهلاً سيرك الصراخ والتكسير خلفي، ثم اقتربت من باب الخروج داعياً الله أن ينسوني، لكن يداً أمسكت بكاحلي وجذبتني للخلف، وبرعب التفتت لأجد طارق الأضلع يسحبني من كاحلي بيد، وفي الأخرى يمسك العصا الحديدية التي تستخدم لتقليب حطب المدفأة، وتنتهي بما يشبه الخازوق. من النظرة في عينيه عرفت أنه على استعداد تام لعمل شيخ شاورما من جسدي، فتحركت بسرعة وبقدمي الحرة ركلت ركبته اليمنى حيث أصيب بقطع الرباط الصليبي من قبل، فأفلتني متأوهاً وهو ينعني بأقذر السباب، وقمت أنا مستنداً على أطراف الأربعة، مهرولاً خارجاً من الباب.

الأجواء بالخارج كانت ساكنة مقارنة بمستشفى المجانين التي تركتها لتوي، لكنه سكون سرعان ما اكتشفت أنه ظاهري خادع، فمن كل ركن من أركان الشوارع الخالية سمعت أصواتاً مشابهة لفيلا نيللي، صراخ ومقاومة وخطبات مكتومة، يبدو أن شرارة (مالك عز) أضرمت الحرائق في كل مكان. أمام ناظري فُتحت أبواب وخرج منها أناس يركضون، أو يزحفون، أو يلاحقون بعضهم بعضاً. من تقاطعات الشوارع والزوايا رأيت عشرات المعارك الجانبية الصغيرة تتكون وتندلع سواء بشد الشعر بين اثنين

من الهوانم، أو باللحم، أو بالذبح، فوقفت مكاني تأثها
قبل أن يُصب على رأسي دلو من ماء الرعب المثلج
صبًا. نجاة وسيدتها المطلوبة!

انقبض قلبي حتى صار بحجم حبة حصى.

مدفوعًا بذعري ركضت بأقصى سرعة إلى فيلا
ريم وأنا أتخيل مشهدًا لمليونير سمين يقتحم الفيلا
ليقطع رأسيهما ثم يحملهما في حقيبة سانسونايت
ويسلمهما للفيل البشري. سبقت قدمي أفكارني،
تجاهلت أيًا مما يدور حولي وجريت معتمدًا على
حدسي وذاكرتي قاطعًا الطريق شارعًا تلو الآخر إلى
الفيلا إياها، حتى لمحتها تقترب من بعيد.

غمرتني راحة بسيطة مع اقترابي من باب الفيلا،
راحة سرعان ما تبددت عندما سمعت صوتًا من
خلفي ينادي اسمي بغضب. (مااااهيييير)، كرهه
مرتين أو ثلاثًا، فاستوقفني النداء ولا إراديًا نظرت
إلى مصدره لأجد طارق يجري ناحيتي في منظر
عجيب، غطت فيه الدماء وجهه وصدره -وهو
مؤشر لمصيبة إضافية حدثت في فيلا نيللي- وفي
يده حمل الخازوق نفسه. كان يعرج وهو يجري،
فكان أشبه بمخلوق أسطوري من فيلم رعب يطارد
ضحيته الأخيرة.

صرخ قائلاً وهو يقترب مني: «أنا مابجبكش»،
ورغم أنه لم يكن الوقت المناسب لتبادل المشاعر
لكن أزعجني ما قاله تمامًا، لقد أصيب الجذع بلوثة

حقيقية. كان بالفعل على شفا حفرة من جراء
المخدرات والديون، والآن ركله صاحب قناع الفيل
ليسقط بداخلها. راعني منظره، لم أستطع رؤية أثر
لأي ما هو بشري فيه، لقد تحللت آدميته وبرز كل ما
هو حيواني على السطح.

مسدسي في جيبي. تحسسته في توتر وأنا أطرق
باب الفيلا طرقات متوالية عنيفة، وفي الثواني
التي فصلت بين انتظاري لفتح الباب وبين اقترابه
مني فكرت ألف مرة في إطلاق النار ورؤية مخه
يتفتت برصاصة أو اثنتين، لكنني كنت أعلم أن
رصاصة واحدة ستسحب معها العشرات وسأصاب
معهم يانفلونزا الجنون، لذا واصلت دق الباب بإلحاح
وهو يقترب مني، ثم وبلا مقدمات ألقى بخازوقه
المعدني نحوي، ولولا ردة فعل سريعة وأنا ألقى
بنفسي على النجيلة لكان اخترق هذا الخازوق
صدري بدلًا من الباب الذي رشق في خشبه.

لثواني تخط عالمي وانقطعت الرؤية، ثم تتابعت
الأحداث بعدها في سرعة: انفتح الباب كاشفًا
عن نجاة، وفي اللحظات التي قمت فيها من على
الحشائش كان طارق قد اقترب مني لمسافة كافية
مكنته من القفز ثم دفعني أرضًا لمرتطم بنجاة
ويسقط ثلاثتنا داخل الفيلا. لم أدر ما الذي يحدث
ولكن كانت صرخة نجاة كافية لأدرك أنها في خطر،
كافية حتى أقوم كالمارد من على الباركيه الخشبي
لأجذبه من ياقة قميصه بعيدًا عنها ثم أهوي على

وجهه بصفعة لعله يستفيق، لكنه ردها ببطحة قوية
غدارة من رأسه تلاعبت برأسي وتوازني حتى
صارت رؤيتي تتراقص، وقبل أن يعاجلني بلكمة
أخرى ركلته في صدره ركلة دفعت به عبر الباب
ليطير ويسقط خارجًا.

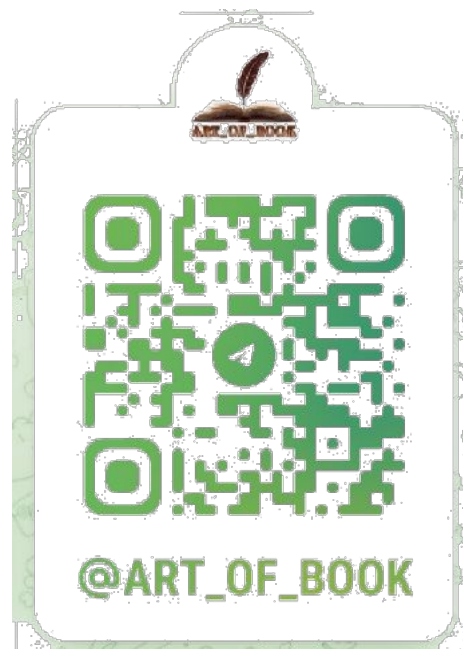
كانت نجاة هي من أغلقت الباب بسرعة وأنا
أحاول استعادة تركيزي ممسكًا برأسي، ثم سألتني
باكية بينما تعالت دقاته وخبطاته المجنونة
على الباب مع محاولات كسره: «هو فيه إيه؟!».
فأخبرتها وأنا أمسك بمرفقها مطمئنًا، رغم الدوار:
«ماتخافيش.. بس سكان الكومباون اتسعدوا، لازم
نغور من هنا حاليًا». لكنها قالت على خلفية أصوات
الطرقات العالية: «ماينفعش أسيب ريم خالص».

وقبل أن أخبرها أن سيدتها هي الأخرى ستصاب
بنفس السعار، خرجت ريم تتأبط ذراع أمها التي
رأيت على وجهها أقصى ملامح الانزعاج وهي تقول
متأففة: «إيه الإزعاج ده؟ فيه إيه يا نجاة؟». لكن
منظر بكاء نجاة مع ما اعتراني من إجهاد ودماء
كانوا كفيلين ياسكاتها.

ارتطم جسم ثقيل بالباب حتى كاد ينخلع فصرخ
ثلاثتهن من جديد، وسألت ريم الكفيفة في صوت
أقرب إلى البكاء: «مامي إيه اللي بيحصل؟».

قلت: «الفيلا هنا مش أمان، لازم تيجوا الفيلا
عندي».

إلا أنني فوجئت بطاقم من الأسئلة الغبية من
جانب الأم مثل: (من هذا؟) و(إلى أين تريد أن
تأخذنا؟) و(أين أمن الكومباون؟)، فتجاهلتها
وسألت نجاة إن كان هناك مخرج آخر بدلاً من الباب
الرئيس، وأخبرتني هي أن للمطبخ باباً خلفياً صغيراً،
فسحبته هي وريم من أيديهما نحو المطبخ، بينما
تركنا الأم في عناد وسارت في الاتجاه المعاكس لنا.
راقبتها مندهشاً وهي تندفع نحو الباب ببساطة و..
تفتحه.



(٤٣)

وداع

- ريم -

الأمر كبير الشبه بكابوس من تلك الكوابيس
التي تدرك في منتصفها أنك نائم، لكنك لا تملك إلا
الاستلقاء، والتعرض للجرعة الكاملة من الرعب،
بوعي كامل.

كان تسلسلاً من الأصوات لم أفهمه في البداية، ثم
سرعان ما فهمته بقلب يكاد ينخلع من صدري ذعراً
ونحن نخرج من الباب الخلفي للمطبخ:

أمي تصيح (مين الحيوان اللي بيعمل كده في
الباب؟) ثم صوت خطواتها التي تختلط بأصوات
الخبط، وبعدها انفتح الباب مفسحاً الطريق لأصوات
أعلى وأعنف. زمجرة رجولية عالية، وصراخ أمي
الذي أحفظه، ثم جسم حاد يخرق لحمها، مصحوباً
بطعنات واضحة الصوت، وتأوهات ابتعدت عنا
ونحن نخرج من الفيلا.

صرخت منادية أمي لكن وضعت نجاة يدها على
فمي لتكتنم ما تبقى من صرختي، ثم جرّاني من يدي
كالبهيمة عبر الليل الأسود الذي لم يترك لي حتى
فرصة للحزن. كل ما كنت أعرفه أن أمي يتم ذبحها
الآن وحالاً من قبل شخص أجهله، وأنني أجري من
خطر لا أفهم كنهه، ولا أعرف بالأحرى إلى أين أنا

ذاهبة.

رغبة عارمة في الصراخ استبدت بي، إلا أن
الأصوات المحيطة بنا منعتني من فعل أي شيء
سوى الركض، فالملاعب في عقلي كان جاهزًا لكي
ترسم الأصوات الهستيرية المتداخلة من حولي
مشهدًا أكثر قتامة من الحقيقة:

زجاج ينكسر

إنذارات سيارات تدوي

بكاء وصراخ

طلقات رصاص

ضحكات مجنونة

تحت قدمي كانت الأرض تجري، وفي حقول
العمى الشاسعة التي لا تعرف حدودًا كنت أقطع
طريقًا لا أراه وسط الجحيم الدائر، حيث تساقط
مختلف الأجساد أو تصادمت الجثث بالأسطح
حولي. سمعت كلامًا متطايرًا يمتلئ بالكراهية
والانتقام، تلقفت أذني أصوات الدم، وتوقفنا في
الطريق مرتين عندما تعرضنا لهجوم من الغوغاء
المحيطين بنا، ولكن كان مرافقنا يطلق رصاصه
ليبعدهم عنا ويخلي الطريق. وبعد مسافة غير
كبيرة من الركض واللهاث بدت كسنوات طويلة،
سمعت الصافرة المميزة لباب من أبواب المنازل
ينفتح، باب دخلت منه خلف نجاة ومرافقنا الثالث.

وتوقف الزمن أخيرًا داخل المنزل.

كنا نلهث، ونشع حرارة لا تتناسب مع الليل الخريفي البارد، وكان بإمكانني الشعور بجسدي مبتلًا تمامًا ويرتعش في ضعف، فسقطت على الأرض بدون مقاومة. احتويت وجهي بين يدي في محاولة للتأكد من أن كل هذا حقيقي ويحدث بالفعل، وحتى أمنع نفسي من الانفجار في البكاء من جديد سألت نجاة بهدوء: «مامي ماتت؟»، فأجابتنني مترددة أننا لا نعلم بعد. كفاكِ كذبًا يا نجاة، لقد سئمت تلك الحياة المغزولة بالكامل من الأكاذيب. سألت ماهر مرافقنا:

- هو إيه اللي بيحصل بالضبط؟

- الكل داير يقتل في بعضه.

- ماتعرفش مين اللي بيعمل كده؟

- أعرف إنه حد بيعزك أوي باين.

وشرح لي ماهر كل شيء حول القائمة التي أعدها هذا السيكوباتي بترتيب الثروات والذنوب، وكيف أنه وضعني على رأس القائمة، وأن الأمر تحول إلى نوبة قتل جماعي بين الأغنياء وبعضهم. على الأرض جلست أحاول استيعاب كل ما يحدث: محمود مخطوف، وأمي مقتولة، وخطر محقق من كل صوب سيستمر لمدة ٢٤ ساعة.

لقد وضعني هذا المختل على رأس القائمة لأنني

حققت في جرائمه وكدت أكشفه، ولكن ما ذنب
حبيبي الذي لم يقترب أي إثم سوى أنه أحبني؟
أقسم يا محمود أن أفعل كل ما بوسعي حتى أنقذك،
حتى لو كلفني الأمر حياتي.

بعد فاصل من صمت لم يعلم أي منا كيف وبما
يملؤه وصل إلينا صوت من مايكروفون، اقترب
قليلاً ثم ابتعد وكأنما يجوب الشوارع. كان صاحبه
يقول ويكرر أن هناك مزادًا على أثمن الرؤوس
سيقام في حديقة البارك بعد ثلاث ساعات من الآن،
وأن الجميع مدعو للمشاركة فيه وشراء ما يريد.
يا للجنون! بتلك السرعة قرروا واتفقوا على تقنين
الأمر وتنظيمه؟

شعرت بمعدتي تتقلص رعبًا وقلقًا، سألت عن
هوية صاحب الصوت فأخبرنا ماهر أنه في الأغلب
يعود لواحد من أفراد أمن الكومپاوند، ثم قال: «لو
خرجنا من هنا يا الجيران هيقتلوننا يا بتوع الأمن
هيدبحونا ويبيعونا في المزاد. خلينا مرزيين لحد ما
الكام ساعة دول يعدوا على خير. التلاجة فيها جبن
والديب فيه زفر، والمطبخ مليان نسكافيه وشاي
وقهوة».

قلت: ماينفعش، أنا لازم ألحق محمود.

- إنتي لو خصلة بس من شعرك اتلمحت هيتعمل
مننا حواوشي.

- مش مهم. وبعدين مش بتقول إن الراجل ده

عايزك إنت كمان؟

- آه عايزني، وهروح له، بس أنا مش غشيم.

- يعني إيه؟

- يعني اصطبري شوية ناخد نفسنا، ونكون عملنا خطة ولا أي نيلة.

ثم سمعته ينهار على أريكة أو كرسي من التعب.
صحت فيه قائلة: «لو ماجتش معايا أنا هروح لوحدي!»، فجذبتني نجاة من ذراعي لتهدئني قائلة:
«لوحذك إيه بس اهدي كده هو مش قصده»، إلا
أنني أفلت ذراعي وواصلت الصراخ: «محمود ممكن
يموت في أي لحظة! ماعنديش استعداد حد ثاني
يروح مني فاهمة؟!».

ماهر: «ما تتكلمي عدل!».

- إيه البرود اللي إنت فيه ده! مين ده يا نجاة؟

نجاة: «ده أستاذ ماهر اللي...».

قاطعها ماهر: «إنتي ما حدش عارف يلمك ولا إيه؟
اهدي على نفسك كده يا أنسة ريم عشان السخونية
دي مش حلوة عليك».

كدت أواصل صراخي فيه إلا أن خبطات متتالية
على الباب أجبرتنا على السكوت، فيما يبدو ستكون
الليلة طويلة وبلا نهاية. استمر الدق على الباب
للحظات، بالتأكيد تبادل خلالها ماهر ونجاة نظرات
متوترة أو حتى مرعوبة، ثم أتى صوت نسائي

من خلف الباب يقول: «ماهر افتح أنا نيللي، ماهر
إلحقني».

لا تفتح يا أحمق، قد تكون تلك الحيزبون حاملة
لمدفع رشاش لن تتوانى عن تفريغه فينا حالاً! لكن
قبل أن أنطق حتى بتحذيري سمعت الخطوات
المتتابة الثقيلة لماهر وهو يفتح الباب، ثم صاحبتة
خطوات أخرى للداخل، قبل أن يُغلق الباب بقوة،
وتقول نيللي عدة كلمات متداخلة متلعثمة: (ميرفت
- تقتلني - الدم)، ثم تبكي بشدة بعدما أخبرها ماهر
أن هناك جروحاً بارزة في وجهها.

سمعت صوت الاحتكاك الخاص بكرسي خشبي
يُسحب على الأرض، مصحوباً بكلمات مهدئة من
ماهر ونجاة، وكما فهمت من السياق فقد أحضر
ماهر بعض القطن والشاش وأدوات الحياكة،
وجلست نجاة تعالج جروح وجه نيللي. هدأت
الأخيرة قليلاً، ولم يعكر صفو الصمت سوى بعض
التأوهات والآهات التي كانت تفلت منها بينما نجاة
تعالج جروحها، حتى تكلمت هي قائلة: «معك
سيجارة؟»، فأعطاهها ماهر واحدة تلاها الصوت
الشهير لقداحة تُفتح ثم تشتعل، وبعد نفس أو اثنين
منها خرجا برائحة التبغ القوية قالت نيللي وهي
تزفر: «الصوت اختفى.. هو الناس اللي برة راحت
فين؟».

فأجابها ماهر: «تلاقي كله استخبي دلوقتي يشوف
هيعمل إيه، الحمى هديت طبعا».

- أنا مش فاهمة إيه اللي حصل، الناس بتاكل بعض!

- ده الطبيعى يا نيللي. كل ده صديد متكوم بقاله ياما، الراجل ده بس فرقع الدم.

- قصدك إيه؟

- مانتوش بتحبوا بعض، كله بيغل من التاني وعينه في اللي في إيد غيره، ما صدقتوا الفرصة جات.

- إنتو؟ هو إنت دلوقتي مش مننا ولا إيه؟

- والله كنت بحاول، بس كويس إنني ما عرفتتش.

- إنت بس مش في وعيك يا حبوب. أما كل حاجة ترجع لأصلها هتنسى الحكم والمواعظ دي كلها.

بعد دقيقة أو اثنتين لم يعثر خلالهما ماهر على رد، عاودت نيللي الكلام وقد بدأ دخان سيجارتها يعبئ المكان: «المهم دلوقتي نهرب من هنا، أنا عندي فكرة بمليون دولار». ثم سكتت تمتص ما استطاعت من التبغ ودخانها، واستطردت قائلة:

«أنا هشوف أي حد من السيكيوريتي أو من أهالينا الجمال البلي شغالين هنا، كام واحد جامد بعضلات كده وأدي لهم فلوس كتير أوي عشان يحموني من الناس برة، ويقتلوا لي أي حد الـ net worth بتاعه كبير».

سأل ماهر مستغرباً: «حتى إنتي؟»، فأجابت
بضحكة مريرة: «الوضع دلوقتي يا تقتل يا تتقتل..
وبعدين أنا هشوف ناس تقتل لي، مش هوسخ
إيدي». وهنا تدخلت نجاة بسخرية واضحة في
صوتها: «وهي جات على إيدك؟».

- إنتي مين يا شاطرة؟

نجاة: «مايخصكيش».

- مين دي يا ماهر؟ مش دي الشغالة بتاعة سلوى؟

ماهر: «نجاة تخصني يا مدام نيللي».

- إمممم، وإنتي ريم بنت سلوى، صح؟

بالإيجاب أومأت، فقالت نيللي بصوت تغيرت نبرته
لسبب ما: «ليه الولد ده حاطك رقم ١؟ ده إنتو حتى
مش من أغنى ٣٠ في الكومباوند. إنتي تعرفيه؟
الولد ده كان عشيقك ولا إيه؟».

أنكرت بهزات عنيفة من رأسي، فقالت وهي
تضحك ضحكة خليعة: «السيكوباتيين دول بيقوا
جامدين أوي في السرير على فكرة».

ثم تغيرت لهجتها لتقول بجدية: «الولد ده ناوي
على إيه يا ريم؟».

- ماعرفهوش أصلاً!

- عليا؟ إنتي وراكي حاجة غريبة.

- لأ خالص. ده خطف خطيبي وبيهددني يقتله.

- اممممم.. يا حرام.

ثم وجهت حديثها لنجاة قائلة: «معلش يا شاطرة ممكن قهوة بليز؟ أنا هموت من الصداع». فسمعت بعد ثوان حفيف خطوات خادمتي المخلصة باتجاه المطبخ، قبل أن تطبق علينا لحظات الصمت من كل الاتجاهات: داخل المنزل، وخارجه، وفي عقلي. في دقائق فاحت رائحة القهوة في المكان ومعها ارتخت أعصابي قليلاً، كدت بالفعل أطمئن، قبل أن يتهدم بناء الهدوء فجأة بصرخة نسائية شرسة.

كانت صرخة نيللي المميزة، تبعها ارتطام أثاث ينقلب، ثم نصل بارد يوضع على عنقي، وأيد رفيعة تقيدني في وضع أشبه بالرهينة، لتقول صاحبته ببرود: «لو ماسبتوناش نخرج حالاً البنوتة هتموت».



البقاء على قيد الحياة

- نيللي -

رغم كل شيء، ما يحدث هنا يشعرني بالإثارة إلى أقصى حد.

بخفة لبؤة اقتنصت الفرصة، راقبت الصالون مدعية التعب والصداع، وفي الوقت المناسب انقضضت على الفتاة الكفيفة، وعلى رقبتها وضعت نصل المقص، فما كان من ماهر وخادمتها إلا أن وقفا في جمود، وخرجت أنا من الفيلا مولية ظهري للباب. حضرت الخطة كلها في ذهني عندما تركت الخادمة المقص الذي حاكت به جروحي على الطاولة.

جروحي! آلمتني عندما تذكرتها، وآلمني أكثر فكرة تشوه هذا الوجه الملائكي، ولكني أعلم أن طبيب التجميل الخاص بي سيتمكن من إصلاح كل ذلك، فقط لو مرت تلك الليلة السوداء على خير. بين يدي تذكرة الخروج من هنا، الجائزة الكبرى، أجرها كالنعجة بالإجبار، وها هي متجمدة بين ذراعي غير قادرة على الإتيان بأي رد فعل سوى الطاعة.

الشوارع الآن هادئة، الكل في جحوره كما قال ماهر بعدما عبرت موجة الجنون، ولكن الآثار في كل مكان على مد بصري: سيارات بورش محطمة،

جثث على قارعة الطريق، وشظايا زجاج مكسور
أخطو عليها. ورغم أن الطريق بين بيتي وبيت ماهر
كان مسافة لا تذكر، فقط عبور الشارع، لكني خلالها
رأيت ما يكفي حتى أدرك حجم الكارثة التي حلت
بالمكان.

لا أعرف إن كان قرار الرجوع لبيتي صائبًا أم لا،
فخوفي عظيم مما قد ينتظرني هناك، وربما أجد أيًا
منهم متربصًا ينتظرني ليحصد رأسي، لكن خطتي
الجديدة تتطلب إحضار مفاتيح السيارة من الداخل.
شجعت نفسي قائلة أن بالداخل خطر، ولكن بالخارج
أخطر، ولا مكان آمن الآن إلا لدى القاتل نفسه.. لو
فقط عرفت من هو!

اعتصرت مخي لأحصي المشاركين في أحداث
الصيف الماضي ولكن كان الأمر شبه مستحيل،
فعددنا كان يزيد على الثلاثين ولا تنطبق مواصفات
هذا القاتل على أي منا، بالإضافة إلى أن أكثر من
نصفنا مات مثل محسن، أو تم اختطافه مثل
شريف. ولم يرتد أحد قناع الفيل أبدًا.

خرج ماهر والخادمة من قبال الأول، وقفوا على
العتبة يحدقان بي قليلًا ثم قال هو بصوت جاهد
ألا يرفعه لكن يظل مسموعًا: «اعقلي يا نيللي، البت
مالهاش ذنب». فأجبت ببساطة وأنا أقترب بظهري
من باب فيلتي: «ولا أنا ليا ذنب».

- لو حد شافك برة هيدبحك.

- ومين قال إني برة؟

ثم فتحت باب فيلتي بالريموت وأغلقتة خلفي
بسرعة.

رغم العاصفة التي حلت بمنزلي وقلبت كل شيء
رأسًا على عقب وجدت الثيلا آمنة، فلم أعثر بها إلا
على جثة (محسن) التي تمت تصفيتها بطعنات عدة
وقُطع رأسه، وجثة جميل العناني التي خوزق بطنه
بتمثال نحاسي على شكل يد ممدودة كنت أحتفظ
به أعلى المدفأة، يا له من أمر.. مثير! ممارسة
الجنس على الأرض هنا وسط كل تلك الدماء
بالتأكيد تجربة لا مثيل لها.

بين برك الدماء خطوات خطوات واسعة حريصة
حتى لا يتسخ حذائي، وتركت ريم واقفة مكانها
كالحيوان الأليف، المطيع. يا ربي! لقد صار المنزل
خرابة، تصلح كل ذلك سوف يكلف عشرات
الملايين، ولكن لم يعترض زوجي أبدًا على الدفع،
وهو ما لم ولن أفهمه، ولم أفهم كيف لم يطلقني
بعد كل ما فعلت، ولكني مؤمنة أن لي عليه نوعًا
من أنواع السلطة المطلقة، غير المبررة، وكأنه خلق
ليطيعني أنا فقط. الحب سم زعاف، بالفعل.

لحسن الحظ وجدت المفاتيح على الأرض بين
حطام الأطباق الخزفية، فالتقطتها بسرعة وأنا أعد
طريقًا للخروج، لأن ماهر بالتأكيد يقف الآن أمام
بابي مفكرًا في المفاوضة أو الاقتحام.

دنت مني نظرة لريم الواقفة مكانها حائرة،
احتقرتها فجأة من كل قلبي وأنا أتأمل جمالها
المُهْدَر.. يا لها من مُضِيعة للشباب والصبا. وددت لو
اقتربت منها الآن وعلى عنقها لففت يدي، أن أُلثم
فمها في قبلة طويلة أمتض عبرها كل رحيقها حتى
ينتقل لي، إلى جسدي المُترهل فلا أحتاج إلى حُقن
الكولاجين ولا زراعة السيليكون.. ألا لعنة الله على
التقدم في السن. الزمن عجوز حقودة تتسلّى بسلب
الجميع شبابهم ثم تقف في شرفتها تُشاهدهم في
استمتاع وهم يتلاشون، عاجزين.

الطفلة المعجزة كان لقبها، عشر سنوات من
النجومية المطلقة أسفل أضواء الكاميرات، سينما
وتلفزيون وصحافة، كنت رمزًا للبراءة والطفولة
ثم الشباب والخصوبة، كنت أفروديت وحتحور
ومارلين مونرو، وبقرار واحد غبي خسرت كل ذلك
عندما تزوجت من زوجي السابق رجل الأعمال
والدولة في الثمانينيات، الذي اشترط ارتدائي
الحجاب وابتعادي عن السينما والشهرة تمامًا.

تخلص مني الفن ولكني لم أتخلص من نشوته،
والشهرة إدمان، لعنة. عندما تحصل على العالم كله
في سن صغيرة فلن تكفيك كل المجرات عندما
تكبر. في داخلي ثقب لا يلتحم، مهما ملأته بالسفر
والطعام والشراب والجنس، أنا دائمًا جائعة لهيروين
الشهرة الذي لا يماثله شيء. بعد وفاة زوجي حاولت
الرجوع بشتى الطرق للفن ولكن كانت كل إجابات

المنتجين هي نفسها، لقد كبرت يا نيللي والجمهور
لا يتذكرك إلا طفلة وشابة مفعمة بالحيوية والجمال،
الشباك لا يبحث عن امرأة أوشك طمئنها على
الانقطاع، فلا تشوهي إرثك الذي تركته ولا الصورة
التي يحتفظ جمهورك بها عنك. انتهت صلاحيتي
رسميًا بظهور تجاعيد وجهي ولجوئي لأطباء
التجميل.

لكن هذا ليس وقت الرثاء.

سحبت الكفيفة من يدها وعبرنا الصالون حتى
بلغنا إحدى النوافذ الجانبية المنخفضة التي تطل
على باحة الفيلا الخلفية، وأجبرت ريم على الخروج
من خلالها عندما وضعت نصل المقص على رقبتها
من جديد، فأطاعت الشابة صاغرة عندما أمليت
عليها ما تفعله، ثم قفزت خلفها إلى حيث سيارتي
رابضة. هامسة قلت: «اركبي من سكات عشان
المقص ماينامش في رقبتك الكوتوموتو دي»،
فقلت بهدوء: «ماعنديش مشكلة، بس بشرط».

- إنتي هتتشرطي؟

- شغلي لي أغنية stayin alive.

- إيه؟

- بتاعة bee gees.

- عارفها.

- بتهديني، أنا هپانيك ومحتاجة حاجة تهديني.

وافقت على مفض وأنا أفتح الباب لها، ثم ركبت
وبلا تردد انطلقت بالسيارة إلى القطاع A حيث
العنوان الذي حدده المختل. الطريق إلى هناك ليس
طويلاً، ربما ١٠ دقائق على أقصى تقدير، وهو طريق
أحفظه عن ظهر قلب بعد كل تلك المرات التي زرت
فيها السكان هناك ومارسنا كل ما يمكن ممارسته.

أغنية (stayin alive) تصدح من سماعات
السيارة، بينما ريم تحقق أمامها في لا مبالة غريبة،
بالأحرى تحقق في ظلام عينيها. أفكر، ما الذي تراه
بالضبط؟ هل تتذكر وجهي؟ كيف يمكن أن يكون
الإنسان أعمى؟ يا له من منفي بغيض. لم أستطع
المقاومة فسألتها:

- عامل إزاي؟

- هو إيه ده؟

- السكس وإنتي مش شايفة. أكيد يجنن.

- إنتي مريضة.

- أحسن ما أكون عامية.

- بيتيالك.

- بيتياللي؟ ده قُصر ديل يا بيبى.

- على الأقل مش شايفة وشك الغرقان بوتوكس
وفيلر.

ضحكت ثم قلت: «عسولة أوي. بجد قولي لي بقى

الموضوع عامل إزاي؟ العمى على بعد...».

قطعت حديثي بضغطه على المكابح، عندما فوجئت بحاجز خشبي قائم على الطريق أمامي، أسفل بعض الإطارات المشتعلة بالنيران وبجواره بعض من أفراد الأمن حاملين أسلحتهم على دراجاتهم البخارية، التي قادوها باتجاهي ما إن رأوني، شاهرين المدافع. اللعنة!

بكل ما أوتيت من قوة أدت مقود السيارة للاتجاه المعاكس. زدت من سرعتها عندما راحوا يطلقون الرصاص نحوي، وصرخت في خوف وأنا أضغط بقوة على دواسة الوقود لكنني فوجئت بريم تبتسم، ابتسامة عريضة رغم الرصاص الذي تتبعنا، ثم سمعتها تصرخ وتغني مع الأغنية وكأنها ثملة:

(Well you can tell by the way i use my
walk i'm a womans man, no time to
talk)

والتفتت لي قائلة: «إنتي عارفة إنني ما عنديش
حاجة أخسرها؟».

ثم فوجئت بها تقفز علي وتدفعني باتجاه الباب، ليفلت المقود من يدي وتدور السيارة حول نفسها، ثم تنقلب مرة، ثم مرات ومرات، وفي النهاية تصطدم بسور إسمنتية.

معمودية

- ريم -

أطير..

في الفضاء يطير جسدي، داخل السيارة التي انقلبت عدة مرات أتخبط، فتستعيد ذاكرة جسدي بالتفصيل ما حدث منذ عام ونصف.

كل شيء بدأ بحادثة سيارة، فلم لا ينتهي بأخرى أيضًا؟ إنه العماد، المطهر، الصراط المستقيم، إما أن أخرج منه مولودة من جديد وإما أن ينتهي كل شيء. تلك كانت الفكرة المُلحة على ذهني في اللحظة التي سبقت عناقي لنيلى. دورة تلو الأخرى كنت أشعر بعظامي ترتج، بالمعدن والزجاج والحرارة، ربما أنا أموت بالفعل.

وأخيرًا جاء الارتطام.

لم يكن الأمر مؤلماً، فلا أجسام حادة اخترقتني ولا فقدت بصري من جديد، فقط انحسر جسدي بين الحطام المعدني المتلاحم في وضعية غير مريحة التوت فيها رقبتني بشدة، وبجواني سمعت أنفاس نيلى اللاهثة ومحاولاتها اليائسة للخروج من هنا، تدفع جسدها خارجًا بصعوبة رغم شظايا الزجاج، على أنغام الأغنية التي لا زالت تخرج من سماعات السيارة.

انضم إلينا الهدير المميز لمواتير دراجات نارية
تبطئ من سرعتها، تتوقف بجوار السيارة، حينها
سمعت نيللي تقول بلهفة لأحد راكبيها: «thanks
god إنكم هنا، أنا كنت بدور عليكم من بدري. إيه
رأيكم أديكم ضعف اللي بتأخذه من الراجل ده بس
تحموني؟».

فأجابها صوت غليظ: «ماحناش تبع حد»، قبل أن
أسمع صرخاتها متبوعة بهدير الدراجات النارية من
جديد، التي أخذت تبتعد مع صوتها. هل قتلوها أم
أخذوها لذلك المزاد الملعون؟

لم أقو على الحراك أمام كل الاحتمالات القائمة
التي طرحها لي العمى، ولكن القلب الجديد في
صدري ضخ دماءً حديثة وبصقها قائلاً: «ما أسوأ ما
قد يحدث؟ الإنسان لا يموت مرتين».

انصياغاً لمنطقه حاولت الخروج لكن الأمر كان
أشبه بمتاهة مستحيلة بين الحديد والجلد، وبعد
بضع محاولات فاشلة سمعت صوتاً مألوفاً يأتي من
بعيد: «دي عربية نيللي».

- يا نهار إسود! أنت متأكد يا ماهر؟

صرخت قائلة: «نجاة! نجاة أنا هنا»، وبسرعة
هرولت أزواج من الأقدام على الأسفلت، ثم شعرت
بجمل السيارة فوقى وهو يخف قليلاً ويبد تجذبني
من بين الأنقاض. كان عناق نجاة حاراً وهي تقول
متحسرة وجهي وكل شبر من جسدي عندما

خرجت: «إنتي كويسة يا حبيبتي؟ حصل لك حاجة؟ إيه اللي حصل؟».

وقبل أن أحكي ما حدث قال ماهر: «مافيش وقت للمساهرة دي دلوقت، لازم نستخبى في أي مخروبة».

أخذاني من يدي وحثثنا الخطى في الطريق الذي لم أحتج لبصري لأشعر بالدمار في كل ذرة من ذرات هوائه، بالأخص في رائحة الدخان القوية، وفي درجة الحرارة المرتفعة التي لا تناسب الخريف على الإطلاق، وفي الوزن الثقيل المحسوس للموت الذي يخنق المكان. كم من جثة سقطت هنا وكم من حريق اندلع!

سألت هامسة ونحن نسير مسرعين: «كام واحد ماتوا؟».

نجاة: «كثير أوي، الجتت مفرقة الشارع».

- أعرف منهم حد؟

- شفت ياسر أبو توكة، ومدام جيهان صاحبة سلوى هانم.. الله يرحمها.

الله يرحمها؟ يا لها من كلمة غريبة. ماتت أمي بالفعل. لست مقتنعة، لا أصدق، خاصة وأن الحياة لا تسير مثل الأفلام الرخيصة، لا يمكن أن تموت أمي بعد أن منحتني العناق الوحيد الحقيقي، يبدو هذا مبتذلاً للغاية... لكن أليست الحياة كلها مبتذلة؟

أليس الفصل الأخير من حياتي كله مسرحية سيئة
الكتابة؟

بعد شهيق قلت: «إحنا ماينفعش نستنى أكثر من
كده، لازم نلحق محمود حالاً». فقال ماهر: «إحنا
في السكة أهه.. إوعي تكوني فاكراني بارد ولا مش
فارق لي، أنا صاحب عمري مخطوف هناك وعاييز
ألحقه زيك».

بعد قليل من الهرولة، جاءت أصوات تأوه بشعة
لتجبرنا على التوقف. صوت رجل يعاني آلاماً لا
توصف، خاصةً أنها اختلطت ببكائه الذي لم يختلف
عن طفل صغير، مما بث القشعريرة في جسدي
كله. اقترب منه ماهر وحاوره ففهمت أن هذا واحد
من زملائه في نادي اليوكر، وأن أحدهم قد اقتلع
عينيه، وتركه ليهيم على وجهه. أعمى ينزف، مثنخ
بالجروح. زميل.

كل ما قاله كان جنوناً تاماً، فأخبرنا بعد أن سقاه
ماهر بعض الماء أن السعار ضرب الكل، وأن الجميع
صار يقتل بغرض القتل فقط ليس إلا. الأطباء في
المشفى يقتلون كل من يقترب من هناك، الكنيسة
احترقت عن بكرة أبيها عندما صرخ أحد الأثرياء
أن هذا هو المجيء الثاني وأنه المسيح الدجال ثم
أضرم مع البعض النيران فيها. أقام آخرون محاكم
صغيرة حاكموا فيها الخطاة منهم على الذنوب
المكتوبة في القائمة، كما طالت اللوثة البعض
فدخلوا المول الكبير ليتسوقوا في إنكار تام لكل ما

يحدث بالخارج، حتى قتل كل منهم الآخر في شجار
حول بعض قطع الملابس أو الأجهزة.

وعندما سأله ماهر عمن فعل به تلك الفعلة
الشنعاء، أخبره أن أعضاء نادي البوكر قد أخرجوا
طاولة القمار إلى منتصف الطريق وجلسوا حول
الطاولة يراهنون على حياة وموت اللاعبين، أو حتى
سيئي الحظ من المارة، حيث أعدوا كميًا خفيًا فيه
بعض من رجال الأمن المأجورين مع مدفع رشاش
عملاق (جرينوف) يعود لأحد الأعضاء.

اقشعر جسدي مجددًا لقصته وتفصيلها، فزعت
لفكرة أنه كان أحد اللاعبين الذين خسروا أعينهم
في رهان فاشل، ثم ارتخت أعصابي تمامًا لما
سمعت نبرة الاحتضار وهي تخنق صوته بوضوح،
قبل أن يخفت تمامًا.

- مش بقولكم لازم نتاوى في أي حطة لحد ما
نشوف هنعمل إيه؟ القعاد في الشارع هيجيب أجلنا.

قالها ماهر بحزم قبل أن يشد يدي أنا ونجاة،
ونسير بخطوات واسعة. كنت أجري معهما بلا عقل،
فعقلي سقط خلفي ووقع في مكان ما، محشورًا
بين أفكاره عن الموت والحياة والذكريات، مسحوقًا
تحت سؤال إن كنت أحب أمي أم لا.

كان ذلك قبل أن تستوقفني يد ماهر الغليظة
وهمسه الحاد بأن هناك مصيبة. ومن بعيد بلغتني
أصوات جمدت الدماء في عروقي: نداء رجولي،

وطلقات نارية، ونباح كلاب.



مقامرة

-ماهر-

حظي التعس يعرفني، يستطيع الوصول إليّ ولو
في الصين. وفي ليلة فوضوية كتلك آخر ما كنت
أتوقعه هو أن أرى (أنيس) أمامي واثنين من رجاله
مع كلاب بوليسية، لكنهم بطريقة ما وجدوني.

ألجمتني المفاجأة فوقفت مشلولاً، تذكرت رسالته
التي قالت أنه كان على أعتاب الكومباون قبل كل
ذلك العبث، فعضضت شفتي السفلى في إحباط.
أشار (أنيس) لي فأسرع رجاله الخطى ناحيتي
شاهرين مسدساتهم، وكان هو يتوسطهم بصلعته
وشاربه الذهبي وقد ارتدى بدلة زرقاء لوثت بالدماء،
ولبس على وجهه أشد ملامح الغضب ونفاد الصبر.
بدون تفكير تحليت بابتسامة منافقة، وبدلاً من
الهرب منهم أقبلت عليهم قائلاً: «حمدلله عالسالة
يا جدع، بتعمل إيه هنا؟!».

لم يمهلني الفرصة، فقيدني رجاله ثم انهال هو
عليّ بصفعتين وضربة من كعب مسدسه جرحت
رأسي وأدمته فصرخت النسوة معي، ثم قال وهو
يجذبني من ياقة قميصي، بعد أن جردني من
أسلحتي: «فين التمثال يا حرامي! وإيه الجنان اللي
بيحصل هنا ده!». أجبت بهدوء مجروح، وقلت

وأنا أبصق الدم الذي غزا فمي: «لو صبر القاتل على
المقتول يا باشا كان مات لوحده.. هو مش كان فيه
بيننا ميعاد ولا إيه؟».

- إنت هتستعبط بروح أمك؟ ما أنت عمال تلاوع
بقالك قد كده.

- وإيه بس اللي دخل الحاجة في الكلام؟ يا أنيس
بيه مش عشان جالي دور برد شديد حبتين أبقى
بتهرب منك. هو أنا مغفل برضه؟ أهرب من الباشا
الكبير وأروح فين.

- لا ياخويا؟ التمثال فين يا ماهر؟ أنا عايز أمشي
من هنا حالاً!

- في الحفظ والصون، تعالى ورايا.

اللعنة.

رأسي مجروح من كعب مسدسه، وكرامتي
تنزف لأن هذا يحدث أمام نجاة التي سألتني ألف
سؤال في الثانية وصرخت مع ريم طالبة مني
تفسيرًا، لكنني لم أجبها. أين أذهب؟ ماذا أفعل؟ أنا
الآن ارتجل الاتجاهات والكلمات بسرعة الصاروخ،
أخاطر بوجود نجاة وريم معي، وإن كانت المزية
الوحيدة لوجودنا مع أنيس ورجاله وكلابه هو أنهم
سيحرسونا لو فكر أي من المهاويس المتجولين في
المكان في أذيتنا.

سألني:

- إنت رايح فين؟

- إنت مش عايز تمثالك؟

- اللي هو فين يعني؟

- في الخزنة عند حكيم باشا. أنا مش عبيط عشان
أشيله في بيتي.

بالطبع لم يكن هناك حكيم ولا يحزنون، ولكن كان
عليّ الارتجال وفعل ما أجيد فعله: الكذب. بدا عليه
الاقتناع قليلاً، ووفقاً لأوامره أفلتني رجاله ونحن
نمشي. كاد قلبي يتمزق من عدم قدرتي على تفسير
ما يحدث لنجاة وتجاهلي أسئلتها، لكنني بموهبتي
الفطرية أخذت أتحدث معه متصنعاً الراحة والهدوء
وأنا بين رجاله، أخذه في موضوع وأصعد به إلى
آخر ثم أنزل به تلاً من الأحاديث الجانبية، من الآثار
إلى البيوت الآيلة للسقوط ثم فساد رجال الأعمال
وأفضل طاجن ورق عنب يمكن الحصول عليه، حتى
هدأ تماماً وقل غضبه، بل توقفت كلابه عن النباح
وكانها تنصت، بينما عقلي يعمل في خلفية كل ذلك
ليرتجل خطة أو حركة تنقذنا.

حتى تفتق ذهني عن فعلة من شأنها أن تنقذنا، أو
تقضي علينا تماماً.

أخبرته بالاتجاهات بهدوء، الشارع المقبل،
يساراً ثم دوران، الطريق كما أحفظه إلى نادي
البوكر. وبنهاية الطريق الذي خلا تماماً من الحركة
والأصوات بدأت مائدة القمار والمجموعة حولها في

الوضوح أمامنا، من بعيد. عندما تسلك الشك إلى قلب أنيس قلت بابتسامة تدحض أي نظرية يتبناها عقله: «أمانتك في الحفظ والصون مع حكيم ييه اللي قاعد هناك ده. هو صاحب الخزنة».

- أنت بتلعب بديك يا ماهر؟

- عيب والله، بقى ده منظر واحد بديل؟ آدينا رايعين له ورجالتك معانا.

وبينما تقدمنا من المجموعة المقامرة في حذر، صحت فيهم: «حكيم باشا عمي وعم عيالي». ثم حبست أنفاسي في انتظار رد الفعل، وحدث كل شيء بسرعة. فعلى أثر ندائي التفت أعضاء المجموعة إلينا، أشهر كل منهم سلاحه ونحن نقترّب، وقبل أن يتخذ أنيس أو رجاله أي رد فعل اندفع رجال الأمن المأجورون من الكمين الخفي، وبرصاص سريع أردوا الكلاب قتلى، فوقف الثلاثة مجمدين لما رأوا أنفسهم محاصرين وطرفاً خاسراً في معركة. بدأت نيتي في الوضوح للجميع. المقامرة على النجاة، المقامرة على الحياة.

المقامرة الأكبر كانت الاقتراب منهم بصحبة ريم، صاحبة الوجه الأكثر طلباً الليلة، لكنني عملت بالمعلومات البسيطة التي أخذتها منذ قليل، وهي أن هؤلاء الرجال حول مائدة القمار مسحورون تماماً بالنرد وواقعون تحت حكمه، وببساطة لن يتخذوا أي قرار إلا باستشارته أولاً.

لم يمنحوا الفرصة لرجال أنيس لإطلاق رصاصة واحدة حتى، بل طوقونا من كل اتجاه وأمسكوا بنا وسط سباب الأخير، لكنني كنت أعرف -نوفا ما- ما أفعله.

اقتادونا إلى الطاولة التي جلس حولها ٤ من الأعضاء على كراسي عادية، وواحد لا أعرفه على كرسي عال مرتديًا تاجًا من التيجان التي كانت مرصوفة بداخل النادي على التماثيل، يدعي كونه ملكهم أو شيئًا من هذا القبيل، وهو ما تأكد لي عندما أشار بقضيب معدني ناحيتنا قائلاً: «مين يراهن على حياتهم ومين يراهن على موتهم؟».

كانت الثمالة تظهر على كلامه بوضوح، وتفوح رائحة الخمر من كل حرف ينطق به.

قلت: «أنا» بصوت عال منعهم من الإجابة، ثم رفعت بين الوسطى والسبابة بطاقة عضوية نادي البوكر التي منحني شريف إياها، والتي لم أخرجها من محفظتي أبدًا كعادتي في الاحتفاظ بأصغر ورقة فيها. «أنا عضو في نادي البوكر ومن حقي اللعب»، هكذا قلت شاهراً بطاقتي أمام اللاعبين، مما أربكهم قليلًا، فأعضاء النادي هم أشبه بأخوية ولا يستهينون بالقواعد كما أخبرني محسن. أكملت قائلاً:

«أنا اللي جاي أراهن، جاي برجلي هنا عشان أشوف الحظ عايزني ولا لا.. فيه رهان أحلى من ده؟».

وصلني سباب (أنيس) الذي كان يحاول التملص
من رجال الأمن لكنه لم يفلح، وأكملث: «أنا عضو
معاكم في نادي البوكر يا باشا وعارف القوانين،
الزهر هو اللي بيحكم، وأنا عايزه يحكم.. لو رقبتي
هي الرهان هراهن بيها، حياتي أنا والاتنين اللي
معايا قصاد حياة أنيس بيه واللي معاه».

طلب قائدهم التحقق من بطاقتي، فنقلها له واحد
من أفراد الأمن، وبعد ثوان هز الملك رأسه وقد راقه
رهاني كما توقعت، وقال:

- الحظ مايرحمش، مايعملش خاطر لحد ولا
يكافئ الأشر، ودي أجمل حاجة فيه. الحظ
كافر وبجح، مايتكسفش ידי اللي مايستاهلش،
مايتكسفش ياخذ من اللي يستحق ويدي اللي
مايستحقش.

وهو كلام أعيه تمامًا.

أنا من المؤمنين بالخط قلبًا وقالبا، كنت أعرف في
صغري أنه ليس حليفاً، هو لا يحبني ولا يزور منزلنا
الحقير، في حين كان يدخل منازل أخرى مجاورة
بقريتنا حاملاً كل أنواع الهدايا. لذا في كل سنين
حياتي حاولت أن أستميله، قَدَرته وبجلته عالماً أنه
هبة عظيمة تفتح الأبواب وتبني الجسور، ومع أنه
لم يخط عتبتني مرة واحدة، وأن كل ما أملكه في
حياتي امتلكته بالكد والعرق والمعافرة، لكنني أعلم
أنه يقدر مجهوداتي وكل سعيي خلفه، وأثق أنه

سيكرمني تلك المرة، إن لم يكن لأجلي فلأجل نقية
القلب التي أطحبها معي.

وعلى كل حال، فاخياراتي كانت محدودة أصلاً
بين أن أرمي النرد وأقامر بحياتنا، أو أن يقتلنا أنيس
عندما يكتشف أنه لا توجد تماثيل.

قلت: «عشان كده أنا هسيب الزهر يختار، هسيب
الحظ يقول كلمته».

صرخت نجاة: «إنت بتهبب إيه!».

ورغم صرخات نجاة ومطالباتها لي بالتراجع ضرب
الملك المخمور بصولجانه على سطح من المعدن
مصدرًا قعقة عالية تعني أن أتقدم، فأطعته بعد
أن أفسح لي المقامرون المجال على طاولة القمار
مانحين إياي الأمان المؤقت تحت مظلة الحظ الذي
سيقرر مصيري. تم منحي النرد وتحديد الرهان
من قبل الملك على كرسيه، فأخذت نفسًا عميقًا ثم
ألقيت بالنرد.

الرهان كان: حياتك تساوي أرقامًا فردية، وفي
الأرقام الزوجية هلاكك.

ثم ألقيت بالنرد.

لا أحد

اسمي لا أحد.

صفتي لا أحد.

لا مستقبل لي، وحاضري هو الجحيم بعينه،
وماضي كله طار واختفى كملء قبضة من التراب
تذروها الرياح. آسف، كلامي ليس دقيقًا تمامًا،
فأنا لم أعد أستطيع التعبير بطلاقة. بالتأكيد كان
لي ماضٍ لكني لا أتذكر منه سوى القليل. ربما مُت
وبعثت من جديد في هذا الجسد التتن، أو ربما كلام
زملائي وجيراني صحيح، وأنني تعرضت لعملية
غسيل مخ.

ربما كان لي أب وأم، ربما كانت لي حياة طبيعية
وأصدقاء ووظيفة محترمة، إلا أن كل ذلك يبدو
ضبابيًا، وكأنما أرى تاريخي من خلال ستار كثيف،
في ضوء خافت للغاية.

كل ما أتذكره هو الأشهر الثلاثة السابقة في حديقة
الحيوان، الحرارة والحديد الساخن على جلدي،
العرق والدماء والمني: اركع، افعل كما أمرك، فتى
مطيع، فتى سيئ، تأوهات ولطمات واغتصاب
وحشي.

في المساء كنت أصرخ بكل ما أوتيت من قوة
لأنهم في الصباح يكممون أفواهنا ويسلسلوننا. كنا

محشورين ومتلاحمين في أقفاص كالماشية، تقطر
أجسادنا العارية عرقًا دائمًا، وأحيانًا دموعًا، في
وصلات بكاء ما إن يبدأها أحدهم حتى ننطلق كلنا
فيها تباغًا كالأطفال.

باب القفص كان يُفتح ٤ مرات يوميًا.

في المرة الأولى، يدخل رجل أسمر طيب الوجه
صباحًا، حاملاً دلوًا معدنيًا ضخمًا يحتوي على الكثير
من العصيدة أو الفول المدمس، ويصبه على أرضية
القفص لنأكل منه كالحيوانات بالضبط، بينما يغض
هو البصر قدر استطاعته، وعلى وجهه نفور واضح.
المرة الثانية يدخل فيها رجل في بدلة بلاستيكية
بيضاء، يغطي وجهه بقناع مضاد للغازات ويحمل
على ظهره خزان مادة مطهرة يرشنا بها حتى لا
تفوح رائحتنا وتتكاثر ميكروباتنا. أما الثالثة في
وقت الغروب فكانت أكثرهم كرهًا لي، عندما يدخل
رجال الأمن بلا أي سبب ويضربوننا بالعصي أو
يركلوننا بالأحذية، ثم في المساء يدخلون مجددًا
أمرين إيانا بالخروج من الأقفاص بعد فك أصفادنا،
حيث يأتي الأغنياء ببدايتهم الباهظة وفساتينهم
اللامعة، وأقنعة الحيوانات التي تعتلي وجوههم،
وبعد قليل يخلعون كل ذلك ويبدأون في ممارسة
لذاتهم وشهواتهم المنحرفة.

كانت دائرة لا تنتهي، يوميًا ولمدة أشهر ثلاثة
أخذت نفس المأساة تتكرر بحذافيرها، دلو ومادة
مطهرة وضرب، فقط فترة الليل كانت تفاجئني في

كل مرة بألوان وطرق جديدة للعذاب والانتهاك،
أقلهم كان لساعات سوط أو أسياخ ساخنة. أحيانًا
كان يرغمني أحدهم على بلع كميات ضخمة
من الأدوية المهلوسة، أو الطعام الحار، أو حتى
فضلاتي، وفي ليالي كاملة كنت لا أعني أيًا مما يحدث
حولي من فرط المهانة والإذلال اللذين كانا يخدران
وعيني وحواسي.

عند نقطة ما في هذا الروتين الجحيمي تاهت
ذكرياتي واختلطت كلها خلط الألوان المائية ببعضها
فلم تعد هناك ذكرى واحدة سليمة. نسيت من أنا
وماذا أكره وكيف كان شكل أمي وملامح أبي، عند
نقطة لا أذكرها صرت لا أحد.

قبل نهاية الصيف بأسابيع أسكنونا في تلك
المساكن الشعبية ومنحوا كل واحد منا دورًا في
مقابل الطعام والشراب والمعيشة الآدمية: أنت
صاحب محل للقول والفلافل، وأنت ميكانيكي
سيارات وأنت مصففة شعر في كوافير شعبي. لا
تتكلم ولا تخرج عن دورك وستضمن حياتك، ولو
تفوهت بشيء على كل حال فغالبية زوار المكان
يعرفونكم ويعرفون ما حل بكم، لن يتغير شيء
سوى أن تقتل كالكلاب.

في أوراقهم الرسمية صرت أنا محروس ميكانيكي
السيارات، وهو أمر لم يكن صعبًا عليّ على الإطلاق،
فخمنت أنني كنت بالفعل ميكانيكيًا أو مهندسًا في
حياتي السابقة، وكى أنغمس أكثر في دوري كانوا

يأتون لي بسيارة من سيارات الأمن أو الجولف بين
الحين والآخر حتى أصلحها سواء مر أي من الزوار
أو لا، وهكذا فعلوا مع أم حمادة بائعة الخضرة التي
لم يكن لها حمادة، وحمدي الحلاق الذي كان يقص
شعرنا جميعًا.

كنا كلنا بمثابة عائلة، اجتزنا سويًا ذلك الجحيم
في الصيف وخرجنا منه مترابطين، حتى أن حالة
الزيف والتمثيل هنا انكسرت وبمرور الوقت صرنا
نعيش بصورة طبيعية وكأنها حياتنا العادية الأصلية
بمشاكلها وعلاقاتها وتشابكاتها، وتقبلت في النهاية
كوني محروس الميكانيكي الذي نzf إسته عشرات
المرات وفقد رجولته، ويبيت ليلته كل يوم باكيًا.

أما الليلة فكانت مختلفة.

الهواء نفسه أتاناً مضطرباً وثقيلًا من خلف الأسوار،
شعرت به يحمل سخونة غريبة، مشبعًا بجنون تام
ينفذ إلى العقول والصدور، بالإضافة إلى الأصوات
البعيدة التي جرها خلفه بين الصراخ والبكاء، كما
لو كانت مسافرة من قاع الجحيم. أين رجال الأمن؟
أين ذلك الثور العفي الذي يحرس بوابة المساكن
في المساء؟ لا أثر لأي منهم، فقط البوابة الحديدية
المغلقة تقف وحيدة في مشهد مغرٍ وغريب لفت
انتباه آخرين غيري بمرور الوقت، فتجمع بعض منا
في الحارة نواجهها، أنا وبلبل القهوجي وفتحي
العطار. ندت عنا نظرات ثم محاولات لفحص السور
عن قرب، ثم نادينا بعضنا البعض عندما سمعنا

أصوات الأعيرة النارية تشق الهواء وتفتته.

هنا أيقن جميعنا أنها لم تكن ليلة عادية، وبلا مقدمات استبدت بنا طاقة عجيبة، وتفشيت حمى الثأر وسط الواقفين.

ربما قال أحدهم كلمة أو صرخ صرخة كانت بمثابة غمزة الخيل، التي جعلت الكل يصل صائحا بالسباب أو بصراخ مبهم، ظل معلقا في الهواء طوال الوقت، تتلقفه الألسنة والحناجر من بعضها.

لم نتفق على شيء لكن كان الكل يعلم ما عليه فعله من تلقاء نفسه، فتوجهت لورشة الميكانيكا التي أعمل بها، ضربت الباب المعدني بقدمي وهرولت للداخل في الظلام، أخذت مفتاح ١٠ ثقيلاً وجركن بنزين وبعض الجنازير. غضبي يتأجج أكثر بالصرخات والصيحات في الحارة، وفي مخي تلاحقت الوجوه التي نسيت كل شيء ما عداها، الوجوه التي كانت تخلع الأقنعة الحيوانية بين الحين والآخر مبتسمة.

الليلة لن أعود (لا أحد)، حتى لو لم اتذكر اسمي ولا عائلتي. بعد انتقامي سوف أعود أنا.

(٤٨)

دين جديد

-ماهر-

في المسافة القصيرة بين مغادرة النرد ليدي
واستقراره على الطاولة ارتفعت دقات قلبي حتى
كاد يتمزق. ترقبت الأعين، وتعرقت الأيدي، في
انتظار حكم الحظ، حتى خرجت النتيجة.

تقدم أحد اللاعبين من الطاولة ليعلن النتيجة:
«خمسة».

رقم فردي.

شعرت براحة غير عادية عندما سمعتها، راحة لم
تكتمل إلا بعد ثوانٍ متوترة سكت فيها الكل، حتى
قال رئيسهم في نوع من الإحباط: «امشوا.. قبل ما
نغير رأينا».

بلا تردد أمسكت بيد كل من ريم ونجاة وجرينا
مبتعدين، ولتسامحني أمي رحمها الله على كم
السباب الذي نالته بسببي من أنيس، والذي اختفى
على كل حال تحت الأصوات القاسية لإطلاق
النيران، واختنق تمامًا وسط صرخات متألمة
محتضرة.

لا أصدق أنني تخلصت من خطر أنيس بتلك
السهولة، ولكني أحتاج للتمثال حتى أتخلص من

خطر أي أنيس جديد تابع للبasha.

بعدها ابتعدنا بالقدر الكافي، توقفنا في الشارع الأصم نلهث، ثم لكمتني نجاة في كتفي لكلمات معاتبة وهي تقول في دهشة: «إنت عبيط؟ إيه اللي عملته ده؟»، فأجبتها مبتسمًا: «محسوبك أحسن واحد يقرص في الزهر ويغش في الطاولة».

لم أجد منها سوى المزيد من اللكمات التي ابتسمت لها، والأسئلة التي لا تتوقف منها ومن سيدتها حول التمثال وأنيس وعن عملي الحقيقي. على الأرض جلست في تعب، أحاول استجماع طاقتي قبل أن أشرع في فقرة جديدة من الأكاذيب المركبة، ثم قلت لنجاة بهدوء: «هفهمك كل حاجة، بس ناخذ نفسنا». فجلست معي هي وريم على قارعة الطريق، نلهث محاولين استجماع طاقتنا.

كان هذا قبل أن يتبدد الهدوء من حولنا بأصوات طلقات نارية جديدة قادمة من بعيد، توجسنا لها في البداية قبل أن نلمحه في نهاية الشارع. (مالك عز) عاري الصدر، يحمل رأس محسن المقطوع وبندقية آلية في يسراه، وبيميناه يمسك بكاحل جثة يجرها خلفه وهو يمشي. مشهد سينمائي بامتياز لم نملك أمامه سوى الاختباء خلف صف صناديق القمامة حتى لا يصطادنا نحن أيضًا.

بين الحين والآخر كان يصرخ، يقلد ذئبًا يعوي أو يصرخ بكلام لم أسمعه، أو يضحك بجنون. لقد

جُنَ تماقًا، لم يعد الأمر حول صفقة للخروج من هنا
بدافع الخوف من الفضيحة، لقد خرجت شياطينه
من قمقمها وأحرقت كل قناع كان يرتديه، وبينما
غالبية السكان الآن مختبئون في بيوتهم يخططون
للهرب أو للقتل، يخرج (مالك) ليعلن أنه لم يعد
يباري سوى ياشباع رغبة دفينه داخله للقتل
والتدمير.

لم أكن أعرف ما الذي سيفعله بهذا الجسد على
وجه الدقة، لكن مع اقترابه قليلًا فهمت أنه كان
يمثل دور إمبراطور روماني من فيلم أجنبي، يمشي
بخيلاء في ساحة وهمية أمام ضحيته، يصرخ بكلام
إنجليزي وبتمثيل رديء، وبين كل جملة وأخرى
كان يتوقف ثانية ليطلق النار على جزء حساس من
جسد الرجل: إصبع أو ركلة أو مرفق، وينحني بعدها
لجمهوره الوهمي في تحية لا تُقابل إلا بصرخات
الرجل وبكائه. إنه يصفيه بالبطيء، يتأكد من أنه
يسدد أقساط حياته السابقة كلها ألقا قبل أن ينطلق.

بلا مقدمات، صعد على مقدمة سيارة مُدمرة،
ثم وقف على سطحها، واصل عواءه وقال كلامًا
غريبًا عن سكان الكومباوند كلهم تقريبًا، أفضى
أسرارهم وسبب بعضًا منهم أو قال صراحة وعلانية
حقيقة مشاعره: (لقد ضاع مالك زوجتك يا يحيى
وأخبرته أنك لست بنصف رجل حتى - سالي
الشمطاء تشبه الدرفيل - تجعلني رائحة ماهر أرغب
في التقيؤ)، ولا إراديًا اشتممت تحت إبطي في

مخبئنا خلف صناديق القمامة.. يا ابن الملاعين!

على كل حال، لم يكن هناك وقت للقلق حول رأي (مالك) في رائحتي، فبعد فاصل الجنون هذا راح يطلق النيران هنا وهناك بطريقة عشوائية قد تطولنا معها رصاصة من رصاصاته. لم أعرف ماذا أفعل، في رقبتي امرأتان مسئول عن حمايتهما، ولو رأنا هذا المعتوه أو شم رائحتنا سوف يتلاعب بجثثنا، وربما يأكلها حتى.

نظرت حولي بحثًا عن مكان آمن خارج نطاق بصره فلم أجد سوى الجامع الكبير الذي تقبع أمامه كنيسة الكومباون المحترقة. بسرعة وبدون كلام تحركت، وإلى الجامع أخذت نجاة التي كانت عيناها تنطقان بذعر واضح، مثل ملامح ريم، ولكن كانت القاعدة الليلة هي (خير الكلام ما قل ودل).

من الهواء الساخن بالخارج دخلنا إلى برودة المكيفات التي ملأت الجامع، وبالداخل غشائي هدوء مفاجئ كأني انتقلت من عالم لعالم آخر تمامًا، في خطوتين فقط، بين الذعر والسكينة. كان الجامع كبيرًا حقًا ومفروشًا بأفخم السجاد الكحلي والرخام الأبيض والنجف الذهبي، مريحًا للبصر والنفس، بالأخص في ليلة كتلك.

لم نكن هناك وحدنا، بل رأيت مجموعة واسعة من الرجال والنساء، النسبة الأكبر منهم كانت مشتركة في حلقة غريبة تشبه حلقات الذكر مثل الدراويش،

يتطوحن فيها يمينًا ويسارًا، لكنهم كانوا يرتدون
الصلبان مختلفة الأشكال والأحجام في الوقت
نفسه!

كان هناك آخرون متناثرين بالداخل أيضًا، منهم
من نام ومنهم من استند بظهره لحائط أو عمود من
الأعمدة، ومنهم من كان يسجد في خشوع. أصابني
قلق قوي حيال وضعنا وحيال ريم، فأني من هؤلاء
لو أدرك وجودها وأنها الجائزة الكبرى سيتم أكلنا
أحياء. فكرت في الخروج بسرعة، لكن الغريب في
الأمر أنهم لم يكثرثوا على الإطلاق لوجودها، بل
بدوا وكأنهم في عالم آخر تمامًا غير الذي نعيشه.

«يا سامعنا يا الله

بص علينا من السما

يا سامعنا يا قدوس

طل علينا من الفردوس».

كانوا يرددون تلك الكلمات مرارًا وتكرارًا مع كل
تطويحة ذات اليمين واليسار، فتقدمت أنا ونجاة
وريم منهم أكثر في تلك الأجواء الغريبة بخطوات
بطيئة مترددة، حتى بلغنا مائدة عليها دورق للماء
وبعض القربان. قربان في الجامع؟ قررت تجاهل
كل تلك الغرابة لما ذكرني منظر الدورق بعطشي
الشديد، فشربت الماء منه مباشرة حتى بللت
قميصي، بينما ريم تسأل: «هو إحنا فين؟».

أخبرتها: «في الجامع».

- جامع إيه؟! مافيش وقت! لازم نروح لمحمود.

- وبعدين بقى؟ عايزة تخرجي وابن الأ...
والمجنون اللي برة ده ينشك طلقة في نص راسك؟
- أنا هعرف منين؟ أنا مش شايفة حاجة.

صوتها كان مكسورًا، محبظًا بشدة، وأكثر ما
يشير التعاطف فيه هو تلك الطبقة الاصطناعية
من اللا مبالة التي حاولت أن تغلف بها صوتها،
لكنها تفضحها بشدة. هنا نبذت تمامًا كل عصبية
واستخفاف أشعر بها ناحية ريم، رأيتها على
حقيقتها وشعرت بآلمها الخاص، ولم أمتلك سوى
الشعور بالتعاطف. تابعتها وهي تجلس أسفل أحد
الأعمدة الرخامية الضخمة ببطء، ربما أثارت فيها
أصوات الفصلين شيئًا ما حتى تخرج الصليب
الذهبي الملفوف حول صدرها وتمسك به، ثم
تطلق صلاة خافتة هامسة لم أسمع منها سوى اسم
(محمود) هذا كثيرًا.

نظرت إلى نجاة في إشفاق فأومأت برأسها وكأنها
تفهم كل ما أريد قوله، ثم جلست بجوار ريم في
انتظار أن تفرغ من صلاتها، ففعلت مثلها. على
مقربة منا رأيت رجلًا مألوف الوجه اعتدت أن أراه
في الجيم، يستند بظهره للحائط مغمض العينين،
فسألته بدون مقدمات: «هو إيه اللي بيحصل هنا
بالظبط؟».

أجابني مشيرًا برأسه ناحية حلقة الذكر: «دول أصحاب الساعة الـ١١».

- مين؟

قالت ريم: «ده مثل عندنا من أمثال المسيح، عن الناس اللي بتتوب في آخر لحظة».

- وإيه اللي جاب المسيحيين عالمسلمين؟

قال: «في وقت زي دلوقتي لازم ربنا يبقى موجود في كل مكان».

- لا مؤاخذه يعني أنا مش فاهم حاجة.

أشار الرجل بسبابته ناحية حلقة الذكر ثم بدأ يحكي: احترقت الكنيسة عندما لجأ إليها البعض، فعرض عليهم الشيخ طه -شيخ الجامع- أن يدخلوا ليختبئوا فيه، وانضم المسلمون للمسيحيين. وهناك بمرور الوقت تسلفت حالة الذعر من الخارج للداخل بين كل التائبين المتأخرين، شعر الكل بتعاضم ذنوبه وبحجم غفلته وكم كان مغيبًا، أراد أن يحجز مكانًا في الجنة كما يحجز مكانه في كل كومباون ومطعم وحفل فاخر، فتحول ما بدأ كدعاء عارض إلى مناظرة حادة بين أفراد الطرفين، أين الحقيقة؟ من سيدخل الجنة منا؟ على الأرجح سنموت الليلة لذا يجب أن نتأكد، يجب أن نحسم صراع العقائد وننضم كلنا للحق.

ثم احتدمت المناظرة متحولة إلى مشاجرة،

بل صارت معركة كلامية داخل الجامع، حتى
بكى البعض وتكلم صوت العقل الذي فلتت
صواميله ومساميره: لا يمكن أن نخسر بعد كل
تلك المكاسب، نحن قوم اعتدنا الاحتكار والشراء
والفوز بالمناقصات، لذا سنتبع الديانتين، سنصلي
للإلهين والحقيقي منهما سيسمعنا، سنلبس
الصلبان الموجودة في الكنيسة ونسبح على السبح
الموجودة في الجامع، سنرتل وندعو حتى طلوع
الصباح.

سألت الرجل بعد الحكاية العجيبة: «وانت مش
معاهم ليه؟»، فقال دون أن يرفع عينيه عن حلقة
الذكر: «الكل ملحد حتى يسقط الكومياوند».

- مش فاهم.

- يعني استنى الليلة تعدي بس ويلاقوا نفسهم لسه
عايشين، كل الهستيريا دي مش هيبقى لها وجود.
ماحدث هيعتبها ثاني.

- يبقى إيه اللي جابك هنا بقى؟

- عادي.. مستخبي زيك.

- مش خايف من ربنا يعني؟ مش طمعان في كرمه
حتى؟

- أنا راجل athiest عمري ما آمنت بربنا ولا
اقتنعت بفكرته.. مش هاجي أغش في الامتحان
على آخر لحظة. أنا هسقط بشرفي، ده لو فيه

امتحان فعلا.

- هو إنت خسران حاجة؟

- خسران ٩٥ سنة بدافع فيها عن فكرة هاجي في الآخر أليها بفكرة عكسها، كان حياتي كلها غلطة كبيرة، بشطب عليها بإيدي.

في عدم اقتناع أومات برأسي ثم تركته ورحت أتابعهم وهم يتميلون وينشدون نشيدهم الركيك، أشاهد الكهنة الجدد وهم يمارسون طقوسًا هجينة مستحدثة بعدما اتفقوا عليها، فيرشون الحضور بالماء المقدس وهم يهتفون في الوقت نفسه «حي» أو ينطقون بالفاتحة، وفي ركن الجامع كان الشيخ يستعد للأذان، ويتناقش مع أحد المسيحيين في الكلمات الجديدة المضافة.

أمسكت بيد نجاة التي كانت درعي ضد كل هذا الجنون، في عينيها نظرت بحيرة بددتها هي بنظرة تقول بدون كلام: «لا لوم على أحد الليلة». سألتنا ريم: «هو إيه اللي بيحصل؟»، فروت لها نجاة ما يحدث ووصفت المشهد، وعندما انتهت مطت الكفيفة شفتيها في دهشة ولم تعلق.

وفيما نحن نشاهد حلقة الذكر العجيبة، تساقطت واحدة من أعضاء الحلقة أرضًا ثم تبعها اثنان آخران، بدا أن الإنهاك قد استبد بهم أخيرًا بعد الكثير من العرق والتطويح، وبالتدريج بدأوا يتوقفون عن الإنشاد والحركة متبادلين نظرات

ذات مغزى، حتى قال أحدهم لاهثًا أن الساقطين
الثلاثة كلهم من المسيحيين وأن هذا بالتأكيد يعني
شيئًا ما، لقد أرسل الإله رسالة أخيرًا حول الحقيقة
الأقوى، وبعد نقاش آخر ظهرت فكرة: آخر من
يسقط متعبًا في حلقة الذكر هو من يعبد الإله الحق.

من جديد عادوا إلى حلقتهم وقد انضم المزيد من
رواد الجامع إلى المنافسة، وصار الأمر أقرب إلى
حلبة تنافسية يبذل الكل فيها جهدًا حتى ينصف
إلهه في معركة تمييز الباطل من الحق. راودتني
مشاعر عدة مختلطة، لماذا لا أفعل مثلهم؟ لماذا
لا أشعر بالغيرة كما يشعرون، هل نسيت الله فعلاً
مثل الرجل الجالس بجواري؟ أنا لست بكافر والعياذ
بالله، ولكن أظن أن إجابتي هي أبسط من كل هؤلاء،
وهي دستوري منذ الحداثة تقريبًا.

في قريتي قديمًا كنت أسمعهم يقولون إن ربنا رب
قلوب وأن الأعمال بالنيات، قد لا أصلي ولا أركعها
لكني لا أؤذي أحدًا، حتى في سرقاتي كنت أسرق
من اللصوص والفسدة كنوع من العدالة، أنا أعلم أن
قلبي بسيط رغم كل شيء، وأن هذا الإله -أو ذاك-
عندما ينظر داخلي سيدعوني إلى جنته.

استمر الإنشاد أعنف من ذي قبل، وتعلمت ريم
في جلستها فسألتها: (مالك؟) لتجيبني هي بنفاد
صبر واضح أننا نضيع وقتنا واحتمالات الوصول إلى
حبيبها وصديقي كلما مر الوقت. قلت بلطف: «طب
والكينج كونج اللي واقف برة ده؟ اصطبري شوية».

- هو لسه واقف؟

فقلت نجاة: «أنا مش سامعة حاجة. ما تيجي
نجرّب كده».

في أثناء كلماتها لاحظت اضطرابًا جديدًا ما في
صفوف المصلين، حيث بدأ البعض منهم في دفع
آخرين عمدًا والبعض الآخر راح يعرقلهم سّرًا. ربما
سينشب هنا حريق آخر. علينا أن نترك هذا المكان
قبل أن يُزج بنا في معركة أخرى.

مستندًا على الأرض قمت وأخذت بيد نجاة، ثم
ألقيت نظرة من فتحة الباب إلى الليل الخارجي
الهادئ ظاهريًا، وسحبت شهيقًا قويًا قبل أن أخرج،
وخلفي أصوات معركة على وشك البدء.



أهالينا الجمال

-شريف علام-

كاميرات المراقبة هي أقرب ما توصلت إليه البشرية لفكرة الإله المراقب في السماء، لهذا اخترت أن أتحمّل مسئوليتها في الكومپاوند. اعتاد الجميع أن يستغرب اختياري هذا: «أنت ابن صاحب الكومپاوند وواحد من أهم رجال الأعمال في العالم كله، لماذا تصر على وظيفة مهندس صغير؟».

كنت أكذب وأقول أنني أبحث عن الخبرة التي لا تأتي إلا بالاحتكاك، والحقيقة أنني كنت أبحث عن عين الإله التي ترى وتعلم كل شيء، عن الأسرار التي هي القوة الأعظم على الإطلاق. ومنذ إصابتي بالورم مارست دوري كإله، أرى وأسمع وأسجل وأسحب الخيوط في كل الاتجاهات التي أريدها حتى وصلت إلى النقطة الحالية.

في غرفة الكاميرات الخاصة بي في قبو القصر كنت أقف، كما أنا، عاريًا أمام عشرات الشاشات المتراسة فوق بعضها، أمارس سلطتي الإلهية في مراقبة هذا الجسد الذي يأكل نفسه بأمر مني.

فاجأني هؤلاء الغوغاء أكثر مما توقعت، رغم أن الفوضى كانت منتظرة ومتوقعة وإلى حد ما توابعها محسوبة، لكن ما يحدث أشرس بمراحل

من حساباتي. من كان يصدق أن تقتل حفنة من عجوزات (نادي الشاي) بعضهن بعضًا مثلاً؟ لقد رأيت واحدة منهن، لا قيمة لها ولا اسم وسطهن، تضرم النيران في جيهان الزعيمة وبقية الأعضاء المجتمعات في منزلها، ثم تغلقه من الخارج وتتقف لتشاهد المنظر ببرود، وبعد برهة انفتح الباب ليخرجن جميعًا بأجساد مشتعلة، صارخات، يجرين في كل اتجاه ويتدحرجن على الأرض، حتى تفحمن كلهن.

زوجات قتلن أزواجهن وأصدقاء قتلوا بعضهم، بل تطور المشهد إلى درجة أنني شاهدت رجلًا يطارده والديه في الحديقة حاملاً سوطًا كما لو كان يروض حيوانات، يتلاعب بهما بضربات في الهواء، قاتلاً إياهما بسلاح الرعب بدلًا من سلاح الألم.

باهتمام لا يخلو من رضا كنت أتابع الشاشات أمامي، بالفعل نجح الكثير منهم في القتل وقطع الرؤوس، لكن كانت الطرق تفاجئهم بمفاجآت غير سارة: صياد يقابل آخر في الطريق، كل منهما بغنيمة، ولأن الرؤوس الآن أصبحت الثروة والعملية الرسمية في پالم تاون، والجشع طبع لا يُستأصل من نفوس أصحاب المليارات، يطمع كل منهم في ثروة الآخر حتى ينتهي الأمر بكليهما ميتًا.

رأيت ماهر وريم تائهن، من مكان إلى آخر يهرولان وتتعثرن خطواتهما في السعي وراء المصيدة. كان بإمكانني من مكاني هذا رؤية اللففة والقلق على

ملاحمهما، والحرص الساذج على الوصول إلى جبل المشنقة. لا أنكر أن قلبي دق بعنف، راقبت ريم بنوع من الفخر وقد راودتني رغبة في عناقها وتقبيلا، في مداعبة شعرها والاستماع إلى يومها، وربما تبادل الأحاديث مع ماهر.. ما الذي أريده؟ لا أعرف، لا أريد إلا أن أرتاح وأن يترك الألم جسدي للأبد. لقد اتخذت طريقي ولا مجال للتراجع.

ثم في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل، لفت انتباهي تغيير مفاجئ في إحدى الشاشات التي قلما تتغير. الحارة الشعبية، المساكن العشوائية المتواجدة على أطراف الكومپاوند، بدأ سكانها أيضًا في التحرك. في البداية خرج واحد أو اثنان لما لاحظا غياب الأمن وسمعا أصوات الصراخ والرصاص بالخارج، ثم خرج المزيد منهم من البيوت والمباني بعد ما أيقنوا أن هناك أمرًا ما، حركهم حماس جماعي، أو خوف ربما، لكن كانت النتيجة واحدة عندما تكالبوا على الأبواب المعدنية وكسروها.

لم يكن هذا متوقعًا ولم أخطط له على الإطلاق، ولكنه ينقل الليلة واللعبة كلها إلى مرحلة أعلى. بحسبة بسيطة، هؤلاء المساجين سيدركون بسرعة أن أسيادهم صاروا مجموعة من الفئران المذعورة والحيوانات المجنونة، وأن كل حاجز كان يحول بينهم وبين هؤلاء العتاة الذين نكلوا بهم أبشع تنكيل قد سقط.

راقطني الفكرة، أرسلت كهرباء في أعصابي وتبعثها
قشعريرة في جلدي، من الحماس وربما الخوف
أيضًا، فأنا كنت من ضمن هؤلاء الذين نكلوا بهم
وعذبوهم وانتهكوا حرماهم بشتى الأنواع، ربما
سيصل واحد منهم هنا ويقبض على رقبتني منفذًا
عدالة أقوى وأعظم مني.. لنرى.



في بيت القعيد

-ماهر-

لحسن الحظ ترك (مالك) المكان وابتعد، ليمارس
جنونه في منطقة أخرى.

لم نمتلك الآن سوى الجري باتجاه هدفنا حيث
محمود وشريف وتمثالي في القطاع A، فصرنا
نركض وننهب الطريق بما تسمح به سرعتنا، التي
خفض منها وجود ريم معنا، مع سعيها إلى الهدوء
بقدر الإمكان. مررنا بجثث مخوزقة وأخرى مصلوبة
وبرك من الدماء، وكلما رأيت منها كلت عزيمتي
وانعدمت رغبتني في الحصول على التمثال. أريد
فقط أن تعبر تلك الليلة بسلام، لكن شريف قد
يكون صديقي الوحيد في هذا العالم، وهو يستحق
المحاولة.

دقائق من الجري المتواصل كانت كافية حتى
يتمكن التعب منا، فوقفنا نلهث ونعتمد بأيادينا على
أفخاذنا في ساحة محطة للوقود، لم تحتو سوى
على مضخات ضخمة للوقود وصف من السيارات.

شعرت بشفقة شديدة على ريم التي كانت تتعثر
الخطى وتجهل في ظلامها أيًا مما يحدث حولها،
ومع ذلك هي مصممة على مواصلة السعي خلف
هذا الحبيب.

سألتها: «إنتي كويسة؟»، وأجابتنى فقط بإيماءة من رأسها، ثم واصلت لهاثها، فتركتها هي ونجاة ووقفت على أطراف المحطة لأمسح محيطنا ببصري كي أتأكد من خلوه من أي أخطار، واضعًا الخطة لحركتنا التالية، وإن كنت أعرف جيدًا أنه لا مكان للراحة، لا مكان للاختباء الليلة.

على كل حال، لم يزد الأمر على بضع دقائق لالتقاط الأنفاس، فعلى مسافة بعيدة نسبيًا اقتلعتني صوت عالٍ من تربة أفكاري. في نهاية الطريق رأيت مطاردة تدور في ميدان صغير بين دراجات نارية يركبها أفراد الأمن وسيارة جولف يقودها أحد الفلاك، سيارة ضعيفة لم تستطع الصمود أمام محركات الدراجات القوية التي سرعان ما لحقوا بها وأجبرها ركابها على التوقف. منها نزل شاب من الذين اعتدت رؤيتهم في الكومباون، لكن على عكس شكله الواثق أغلب الوقت وقامته المنتصبة العريضة، كان هنا ذليلاً منكسًا، وبأدنى مجهود أرغموه على الركوع أرضًا وسط ثلاثتهم، فلم يكن حاضرًا من جانبه إلا الخضوع أمام مناظرهم المخيفة، بالأقنعة السوداء على وجوههم.

كتعبان صغير كثير الفحيح التف الخوف حول أعصابي وأنا أراقبهم يخرجون هواتفهم ثم ينظرون في وجه الشاب. لم أستطع تبين ملامحهم بسبب الأقنعة لكن وشت لغة جسدهم بالإحباط، وبعد نقاش بين ثلاثتهم هوى واحد منهم على رأس

الشاب بعثلة حديدية فسقط ميتًا في الحال.

وهنا فلتت من نجاة شهقة مسموعة، فالتفتوا
جميعًا باتجاهها، وأقبلوا بخطوات بطيئة. هل
سمعوها؟ هل رأونا؟

كان من الصعب الجزم بإجابة في ظلام محطة
الوقود، لكننا انحنينا مختبئين خلف واحدة من
السيارات المصفوفة، وقلبي داخل صدري يرفرف
ويخفق خفقان طائر على وشك الذبح. وضعت يدي
على فم نجاة ويدي على فم ريم، في حين أخذت
أصوات خطوات أفراد الأمن تتجه ناحيتنا ومعها
يكاد ضغط دمي ينفجر. كانوا يتبادلون حوارًا
صاخبًا لم أستطع تفسير الكثير منه، لكنني كنت
أعرف أنهم في طريقهم إلينا.

ومن مسافة على يساري، سمعت صوت نداء كالذي
يصدره الإنسان لينادي قطرة (بسبس)، فالتفتت
لأجد عجوزًا من سكان الكومباون بمنظار سميك
ووجه مألوف بابها موارد، ومن الفتحة تطل برأسها
وتنادينا للدخول. لم أنتظر لحظة، وبسرعة أخذت
نجاة وريم وعبر ثلاثتنا بخفة إلى حيث فيلا
العجوز.

لم أصدق أننا دخلنا وأنا في أمان. فكرة أن الباب
انغلق وأن هناك جدارًا يفصل بيننا وبين هؤلاء
الملاعين كانت فكرة أفضل من أن تحدث في ليلة
كذلك. قالت العجوز ذات الشعر الفضي الذي يلامس

كتفاها: «إنتم بخير؟»، فأجابتها نجاة بأدب كعادتها:
«الحمد لله، مانتحرمش يا ماما».

لقد تذكرتها، إنها العجوز زوجة القعيد الذي
شاركني مائدة البوكر من قبل، الغراب الذي لا
يتبادل الكلام مع أحد. ها هو يجلس هنا في
الصالون الفاخر على كرسيه المتحرك، يراقب
المشهد في الخارج من خصاص النافذة. بدون
أن يتلفت قال: «إعملي لهم حاجة سخنة ياكلوها
يا إيزيس». ثم التفت بكرسيه المتحرك يواجهنا
وسألني: «إنتو إيه اللي مخرجكم في ليلة زي دي؟».

لم أجد إجابة، أو بالأحرى لم أقو على الحكي،
فرفعت كتفي للأعلى صامتًا، وأطرقت برأسي في
تعب واستسلام جالسًا على الأريكة. وبعد وقت لم
أحص دقائقه بين السكون داخل المنزل هلت علينا
إيزيس بصينية عليها أطباق من الحساء الساخن
وشطائر من الجبن الأبيض والرومي، فشعرت بجوع
مفاجئ، وأدركت أن آخر وجباتي كانت الكفتة في
لقائي البسيط مع نجاة في السيدة زينب، الذي بدا
وكأنه حدث منذ عام وليس بضع ساعات.

وضعت إيزيس الصينية على طاولة صغيرة في
الصالون ثم وزعت على كل واحد منا طبق حساء
ساخنًا منعشًا تفوح منه رائحة الليمون وبعض
الشاندوتشات، فانقضضت على الأكل كالجاموس
أرتشف الحساء بصوت عال، بينما كانت نجاة تطعم
ريم في فمها ببطء وتنسى نفسها، يا لها من ملاك.

قال العجوز مغمغماً: «أوباش». ثم وجه كلامه لي:
«كل، إنت تلاقيك شوفت المربرة».

أجبتة: «آه والله يا حاج، الناس اتجننت».

هنا تدخلت زوجته قائلة بلطف: «حلو الأكل؟»،
فأومأت مجيباً وفمي ممتلئ عن آخره: «تسلم إيدك
يا نينة»، ثم سألت نجاة: «إيه يا حبيبتي مابتاكلش
ليه؟ الأكل مش عاجبك؟».

فأجابت عصفورتي: «لا والله يا مدام الأكل جميل
وباكل أهو، ده حياق الشربة ملبس، زي العسل». ثم
جلسنا نأكل في صمت لم يخل من أصوات المضغ
والبلع، وكلام العجوز الفارغ حول الطعام والوصفات
والحبهان، مما أضجرتني قليلاً، ولكن ما أحلى الضجر
في أوقات كتلك لأنه يعني الأمان!

بعد الطعام أعدت لنا السيدة الكريمة أكواب
الشاي، فأخذناها كلنا ورحنا نشربها في راحة لا
تليق بالجنون الدائر بالخارج، ثم طلبت ريم دخول
الحمام، فأرشدتها السيدة مع نجاة إلى حمامهما
تاركين إياي مع الزوج.

كان القعيد ملتزماً الصمت يشرب الشاي وهو
يراقب النافذة، وكنت أراقبه أنا بركن عيني متأملاً
ردود أفعاله. فكرت أن أسأله عما يحدث بالخارج
لكني تراجعته، ربما خوفاً من الإجابات، أما هو فلم
يبدُ عليه أي شيء، كتمثال من الرخام يشاهد، وإن
كان الاستياء مطبوعاً على وجهه من اللحظة الأولى،

لكنه التفت لي فجأة وقال بخفة دافعا عجلات
كرسيه المتحرك باتجاهي: «ماتعرفش مين لسه
عايش؟».

فقلت والشاي يلوث شاربي كالقطط: «الدنيا
خربانة يا حاج، ده نص الجتت مش باينلها صاحب».
- أحسن.. ياكش تولع خالص.

- إنت عاجبك اللي بيحصل ده ولا إيه؟

- مش عاجبني بس لازم. التطهير مايحصلش غير
بالنار.

- بس دي مش نار، دي مدبحة مالهاش ملامح.

- التاريخ علمنا إنه شر لا بد منه. سدوم وعمورة
مثلا اتحرقوا عن بكرة أبيهم، طوفان نوح ماسابش
على الأرض غير ٨ عايشين.

- ياه.. إنت موافق؟ مايبانش عليك البقين دول
خالص الصراحة.

- الحقيقة إن فيه ناس هنا يابني ماتستاهلش الهوا
اللي بتتنفسه.

- ولاد كلب، بس أخذ النفس دي حاجة بتاعة ربنا.
مش كده ولا إيه؟

- وهو إحنا مش أدوات في إيد ربنا ولا إيه؟

- لو مشيتها كده ما إنت ذات نفسك ممكن تموت
حالا. أي حد من المجانين اللي برة دول ممكن يدخل

يجز راسك حالاً.

فأجابني بابتسامة بسيطة: «يبقى أستاها».

ثم دفع الكرسي مجدداً ليرجع لبقعته خلف
النافذة، ولم أستطع التغلب على فضولي ناحيته
ففتحت الحديث مرة أخرى قائلاً: «يعني كل دول
مافهومش حد يستاهل يعيش؟».

- تسمع عن الانتخاب الطبيعي؟

- انتخابات مجلس الشعب يعني؟

ضحك ضحكة بسيطة ثم قال: «قول لي يا ماهر،
مين يستاهل يعيش فينا.. أنا ولا أنت؟».

ترددت في الإجابة ثم قلت: «إحنا الاثنين». فقال
بدون أن يرفع رأسه عن النافذة: «كذاب، إنت
طبعا. شاب بصحته يستاهل يعيش أكثر من عجوز
مشلول». لم أنطق من باب الاحترام، وإن كنت
أوافق منطقته بالطبع، لكنه فاجأني عندما أكمل
كلامه وقال:

- «غلط. عجوز مشلول بس دكتور جراح، معاه ٢
دكتورة، أهم من شاب جربوع بصحته. السياق هو
كل شيء».

كدت أجيبه لكني لم أستطع، شعرت بتنميل ما في
فكي، لحق به دوار خفيف سرعان ما ثقلت وطاقته.
شلل مفاجئ أصابني وأنا جالس على الكرسي،
وهبط عليّ كليل ثقيل، مثل سيل جارف قطع كل

قدرة في البدن على الحراك، فقط جلست أستقبل الكلام داخل أذني بلا مقاومة تذكر.

قال وهو يقترب مني: «اشتغل؟ هایل.. بعذرلك، إحنا حطينا لكم منوم من بتاعي في الأكل، هو قرص واحد كفاية على كل واحد فيكم».

قالها بنغمة مستفزة بحق، حتى وددت أن أركله هو وكرسیه المتحرك وأن أبصق في وجهه المتغضن، لكن في قدمي تنميل يمنعني من أي شيء. كان السؤال المتردد في ذهني هو (لماذا؟)، فأجاب وكأنه يسمعني:

«ميزة من المميزات القليلة اللي بتحصل عليها وإنت عجوز زيي إن عندك كل الوقت في الدنيا تراقب الناس وتعرف أسرارهم. أنا عارف كل اللي بيحصل في الكومباوند ده يا أغبيا يا مغفلين، عارف مين بيقتل ومين بيكذب ومين عامل التمثيلية دي كلها».

«شريف، شريف ابن علام اللي عامل فيها صاحبك وبيفسحك، اللي ضاحك على البنت الكفيفة ومفهمها إنه قيس وهي ليلي، هو اللي بيعمل كل ده».

ثم انطلق يحكي لي القصة بتفاصيلها كما راقبها وتلصص عليها من على كرسيه المتحرك. شريف هو محمود، هو المحرك الرئيسي خلف كل ذلك!

لم أصدق أذني وأنا أستمع له. شريف لم يكن شريفًا، كان مجنونًا وملعونًا ابن ستين كلب،

خدعنا جميعًا وأنا أولهم، أو لوجه الدقة ثانيهم،
لأن المسكينة الكفيفة هي من انخدعت فيه حق
خدعة. في البداية - ورغم منطقية قصته وفصولها -
رفضت التصديق، ثم نفذت الأدلة عبر فتحات وعيي
الفتداعي لتستقر في عقلي، شريف هو محمود
خطيبها، هو المختل الذي يتلاعب بالجميع، هو ابن
حرام كاذب.

كيف لم ألاحظ كل هذا الجنون في عقله؟ كيف
يمكن أن تختفي كل تلك الأفكار الشيطانية خلف
ابتسامة ودود وأخلاق حميدة، ولغة جسد لا تتصف
إلا بالأدب؟!

ثم قال العجوز بعدما انتهى من قصته:

«وبما إن العامية اللي معاك دي تبقى حبيبة شريف
ابن علام، فاهي التذكرة اللي هتخرجني من هنا أنا
وإيزيس. إنت بقى والبنت الثانية هتموتوا دلوقتي،
من غير ما تحسوا بحاجة. إنما هي هنساوم بيها
شريف».

حتى أنت يا ابن الأبالسة تتمسك بالدنيا ولديك ما
تخاف منه أو عليه؟ اللعنة يا نجاة. سيدتك ريم تهمة
نصطحبها معنا، جرح مفتوح ينزف وتجذب رائحته
كل القروش المهووسة في هذا البحر المضطرب،
قطعة من ال....

فقدت وعيي قبل أن تكتمل الفكرة.

فتحت عيني بصعوبة على ضوء ثريا أبيض مبهر
سرعان ما أجبرني على إغلاقها مجددًا. الصداع
يتحرش برأسي في فجاجة مزعجة.

كنت مبتل الجسد تمامًا وكأن دلوًا من الماء قد
ضُب عليّ، وعندما استفاق ذهني أدركت أنني كنت
أنام على أرض الصالون، مقيد اليدين إلى كرسي من
الكراسي الخشبية، ومربوط القدمين إلى الأريكة.
أدركت أيضًا بوعي كامل أنني تعرضت إلى الخدعة
الأكبر في حياتي، ورغم موقعي المتأزم كنت
حانقًا بشدة على شريف، شاعرًا بكم هائل من الغل
والغضب تجاهه.

أعلى مني وجدت العجوز المخبول على كرسيه
المتحرك وهو يحمل في يده دلوًا أزرق من الماء
وعلى وجهه ابتسامة هادئة، ثم يقول: «صح النوم».
نظرت حولي باضطراب، وبصوت مبحوح ناديت
نجاة لكن لم يأتني أي رد، فقال العجوز واضعًا الدلو
أرضًا، قبل أن يدفع كرسيه بعيدًا: «مش بقالك كثير
نايم، نحو ١٥-٢٠ دقيقة بس على ما ربطتك. اطمئن،
هم مع المدام جوة في الحمام، أظن أغمى عليهم».

رغم الخمول والشلل الذي كان يسري في أطرافي
اهتجت وحاولت الفكاك ولكن العجوز كان قد أحكم
ربطي! هل تكون نهايتي على يد كيس العظام هذا؟
يا له من عار.

قال مجددًا عندما وصل للمنضدة الرخامية

السوداء التي تراصت عليها بضع أدوات لم أستطع
رؤيتها من رقادي على الأرض: «تحب تموت إزاي؟
دي حقنة فيها شوية هوا ممكن تنغرز في رقبتك،
ودي سكينه ميرسر ألماني، أقطعك بيها الشريان
السباتي يصفى دمك، طبقاً عارف الشريان السباتي
يا دكتور»، ثم انطلق يضحك في وصلة قهقهة
طويلة، أضحكته الدعابة أكثر من اللازم، واستطرد
بعدها مكملًا: «دكتور يا جربوع يا... ما علينا.
والكيس الفوشيا ده بقى أحفادي كانوا بيشيلوا
لعبهم فيه عشان أما ييجوا هنا، ده ممكن أخنقك بيه
لحد ما يجيلك asphyxia. اتفضل اختار».

كانت إجابتي مُختصرة ومُحددة: سباب يخضُ
شرف المرحومة أمه، فلم يكن منه إلا أن قهقه أكثر
ثم أمسك بالكيس البلاستيكي وتنفس رائحته قليلًا
وقال حالقًا: «وحشوني ولاد الإيه دول. إنت عارف
بقالي كام سنة ماشوفتهمش؟ ييجي ١٠ سنين».

قطعت قلبي يا ابن ال سألني مرة أخرى عن
الطريقة التي أريد أن أموت بها، فماطلت وأنا
أحاول الاستفاقة مقاومًا عقلي الذي كان بمثابة
قدم مغروسة في رمال متحركة، وقلت وأنا ألهم:
«هتستفيد إيه؟ إنت راجل رجلك والقبر».

- عزيزي، دي مسألة مبدأ. أنا ليه أموت يوم واحد
بدري، وواحد زيك يعيش سنين ويخرب في الأرض
بجهله؟

- ما نعيش إحنا الاثنين.

- لو دي ظروف عادية هقول لك مايجراش حاجة،
علمي يعادل جهلك والأرض تفضل زي ما هي. لكن
خلي بالك كلنا مهددين بالفضيحة دلوقتي، المخبول
ده لو سرب لي أي حاجة أنا هيبقى موقفني إيه؟

- إنت كمان عليك فضايح؟

- للأسف التاريخ مش هيفتكر إن الدكتور مكرم
تادرس كان جراح عالمي وأنقذ الملايين، هيفتكر
بس إنه كان حرامي وبيععمل تجارب محرمة على
المرضى.. وإنت عارف، السمعة هي الحاجة الوحيدة
اللي باقية للإنسان. إنما إنت؟ حياتك زي موتك، أو
يمكن موتك أفيد.

- مانتاش ربنا عشان تقرر.

- أنا طبيب، والطبيب يقدر يحيي ويموت زي ربنا.

- بلا خيبة. كنت شفيت نفسك.

- بس كده؟

قالها ثم قام من على كرسيه، بكل بساطة.

فتحت فمي ببلاهة لا إرادية عندما تمشى ناحيتي
خطوتين، وأكمل كلامه قائلاً: «الكرسي ده مفيد
أوي، يفتح بيبان ويكسبك تعاطف ويخليك تعمل
حاجات كتير صعب تعملها وإنت على رجلك..
وبعدين مريح، تخيل تأخذ معاك كرسي أي حنة».

كان يتمطى ويتمايل بجسده، يتمشى بخطوة غريبة بها نوع من الإعاقة الملحوظة. ولما لاحظ نظراتي المرتابة تجاه خطواته قال متفاخرًا: «شوية ضمور في العضلات، كان لازم ألزم الكرسي بالساعات عشان أتعود على الدور. حتى إيزيس نفسها ماتعرفش إني بتحرك». ثم ختم كلامه وهو يتثائب قائلاً: «ها، هتموت إزاي؟ أنا ميعاد نومي جه».

بعد هنيهة من تفكير قلت مدعيًا الاستسلام بأكثر أصواتي خنوعًا: «الإبرة». وكان اختياري لها منطقيًا، فالجزء الوحيد الحر من جسدي كان الرأس، وأنا أحताجه ليقترّب منه قدر الإمكان.

في زعر متصاعد راقبته وهو يقترّب بابتسامة عريضة، ثم ينهمك في إعداد المحقن كي يغرسه في رقبتني، فمثلت الضعف والنعاس مغلقًا عيني حتى اقترب تمامًا، ثم عند اللحظة التي مال عليّ فيها ليحقنني نطحت رأسه بعزم قوتي فتراجع وسقط متعثّرًا في كرسيه، وانقلب به أرضًا. تشاركنا سويًا في معركة ألقى فيها هو بكامل جسده على جسدي ودخلتها أنا برأسي فقط، فأطبقت أسناني على يده العظمية بشدة وتأوه العجوز وهو يخنقني باليد الأخرى، حتى فوجئت بضربة من خارج مجال رؤيتي أسكنت حركته تمامًا.

كانت تلك هي نجاة التي هوت على ظهره بتمثال رخامي ثقيل لملاك ثم أزاحت جسده بقدمها،

فهمت قائلاً: «نجاة! إنتي صاحبة!»، وقالت هي
عندما انحنت تفك أربطتي: «ما شربتش من الشورية
المعفنة بتاعتهم. طعمها نجس وإنت عامل تلهط
فيها زي الجاموسة».

- جعان طب أعمل إيه؟

- رمرام.

بدلال غاضب قالتها وهي ترمقني بينما تفك آخر
أربطتي، ثم حكّت لي ما حدث في الحمام وكيف أنه
عندما بدأت ريم في فقدان الوعي لم يظهر عليها
-نجاة- هي أي شيء، وكيف أصيبت العجوز بالهلع
وهددتها بفتاحة خمر حادة لو لم تذعن وتطيع، وبعد
معركة صغيرة بينهما تمكنت من تقييد العجوز، لكن
لم تنطق ريم، فكادت حبيبتي أن تموت من الرعب
عليها وحاولت إفاقتها بشتى الطرق حتى استفاقت
أخيراً.

اجتاحني رغبة مفاجئة في عناقها وتقبيّلها،
فأقبلت عليها لكنها أبعدتني بيد صارمة مع نظرة
معناها (هل جننت؟)، فتجاوزت الإحراج المفاجئ
بأن تنحنحت وقلبت: «إحنا اتضحك علينا جامد».

- إزاي؟

- شريف ومحمود طلّعوا نفس البني آدم.

- نعم؟ إزاي يعني؟

ثم رويت لها كل ما سمعت من العجوز، فلم يكن

منها إلا أن وضعت يدها على فمها، وجحظت عيناها
لتقول بصوت خافت أشبه بالفحيح: «يا نهار أزرق!
ده ريم ممكن تروح فيها».

- لازم نهرب ونسيب البت دي.

- ماقدرش يا ماهر! دي صاحبتي وخيرها عليا.

- بس الكومباون كله عايز رقبته.

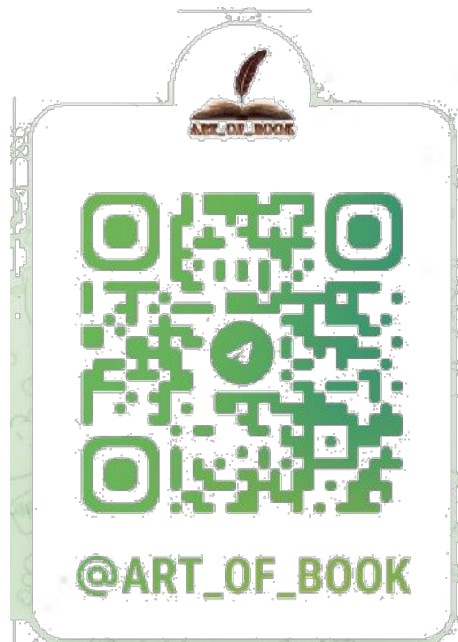
- أنا أفديها برقبتي.

- أنا ماليش غيرك يا نجاة.

- وهي مالهاش غيري.

هنا سمعت صوت ريم، على ما يبدو كانت قد
دخلت منذ وهلة لكن لم نلاحظها. كانت واقفة على
أعتاب الصالون، بشعرها الأشعث ووجهها الشاحب،
ثم قالت بصوت تهدج أنفاسه وتفككت أحرفه من
بعضها: «هو إيه اللي أنت قُلته ده؟».

وسقطت أرضًا.



الخدعة

-ريم-

أنا غبية، وهذا أكثر ما يؤلمني.

غبية لأنني توهمت أن بإمكانني إيجاد الحب من جديد بعد أن صرت بقايا بشرية. غبية كنت عندما تخليت عن كل دفاعاتي ولم أتعلم من خطئي الأول، غبية لأنني قفزت قفزة ثقة بدون أن أنظر مرة واحدة إلى الأسفل. أنا لا أصلح للحب، لا من الأم ولا الأب ولا الحبيب، ولم أكن أصلح له بعينين سلیمتين وحياة طبيعية، فكيف تصورت أنني سأحب وأحب في هذا الظلام؟ أنا حقًا غبية.

كان الإنكار حاضرًا من جانبي في البداية، رفضت ولم أصدق حكاية ماهر، ثم أتت الأدلة تباغًا متمثلة في رقم هاتفه وصورته، فجلست مكاني في صدمة تامة. عزائي الوحيد هو أن محمود -أو شريف الذي لن أتأقلم على تسميته باسمه الحقيقي أبدًا- كان مختلفًا تمامًا، يتلاعب بالجميع كما فتاة مراهقة في بيت الدمى، وله هدف أسمر في أن يدمر كل شيء ويحرقه عن بكرة أبيه. أكاد أسمع صوته الهادئ يقول لي: «آسف، الأمر ليس شخصيًا، لم أرد تدميرك وحدك لأنك قبيحة أو ضعيفة أو أي شيء، أنت فقط جزء من مخطط كبير».

لم أقو على القيام ولا الحركة، للحظات كنت
مخدرة ومتحللة من عظامي حتى أنهما أقاماني
بصعوبة وعلى الأريكة أجلساني، أطعماني طعامًا
أجهل كنهه وسقياني سوائل لم أتذوق طعمها. كنت
تائهة، سقطت في بئر عميقة بلا قرار، ما أبشع طعم
الأكاذيب! بلا وعي مني بدأت دموعي في السيلان،
ثم تحول ما بدأ كقطرات متقطعة إلى سيول
متواصلة مصحوبة بشفاة ترتعش ونهنية خافتة
أشبه بالتأوهات، وبالنهاية لم يتمكن من السيطرة
على صراخي الذي خرج من أكثر المناطق المظلمة
بروحي وأضرمت النيران في جسدي.

الجرح في قلبي عميق وحار؛ أحببته، أحببت ذلك
الذي تجاوز أستار الظلام التي يقف على أعتابها
الجميع واستقر في حضني ليدلني ويهتم بي كما
لم يفعل أحد. هل كان كل ذلك كذبة؟ لا أصدق، ولو
كان كذلك فأنا أرفض التصديق، لا أهتم لأي شيء
سوى الحصول على إجابة لهذا السؤال، ليحترق
العالم كله وتنهار أساساته ويقتل الجميع بعضهم
بعضًا، لكن ليس قبل أن أعرف إن كنت أعيش كذبة
خالصة أم لا.

تعالى صوت بكائي ونهنت عاليًا، وشعرت في
أثناء تمزق قلبي بأذرع نحيفة تحتضني وتضميني
ثم تنخرط معي في بكاء حار، رائحة نجاة المميزة،
كانت تربت على ظهري مرارًا وهي تهتز من البكاء،
جزء منها بكل تأكيد كان يشعر بالذنب لأنها كانت

عينني التي لم تره على حقيقته ولم تحذرني.

بعد البكاء، تحولت كل مشاعري إلى غضب أعمى،
لا صدمة ولا إنكار، كل مراحل الحزن الخمس
اختزلتها في واحدة: الغضب. لست حزينة، أنا
فقط غاضبة، غاضبة حد اللهب والزلازل والدم،
غضب صافٍ بلا قطرة حزن واحدة، فماذا تفعل
ضربات المطرقة بقلب مكسور أصلاً؟ لا شيء. لقد
تم استغلال عجزني الذي أكرهه أصلاً، وتم إيهامي
بمشاعر حلوة وصادقة، ليتضح أن كل شيء محض
كذبة.

لم أكرث لتوسلات نجاة ولا كلمات ماهر الملوقة،
بداخلي غضب صافٍ، خام، يبحث عما يأكله
ويغذيه، لا أريد الآن سوى الانتقام. تركت الأريكة
ووقفت ثم قلت ببرود: «أنا مش عايزة منكم غير
إنكم توصلوني لشريف ده، أنا لازم أروح له. لو مش
قادرين على ده i understand. ممكن تسيبونني».
فقلت نجاة يا شفاق: «لا يا حبيبتي والله ما أسيبك
أبداً».

وقال ماهر: «هتروحي له تعملي إيه؟».

- هاخذ حقي.

- إعقلي يا بنتي، مانتيش قد الكلمتين دول.

- أنا عارفة أنا بعمل إيه.

- شريف ضحك عليا زي ما ضحك عليك، أنا

عارف إنتي حاسة بإيه.

- خدك في حضنه؟ مسك إيديك وباسك؟

- ما تحترمي نفسك، إنتي شايفاني إزاي؟

- يبقى عمرك ما هتعرف اللي أنا حاسة بيه.

هدأتني نجاة بصوت خافت وأكدت لي أن ماهر لا يقصد الإهانة، ثم ربت له بيدها على صدرها عدة مرات بمعنى (من أجلي)، حتى قال ماهر: «ماشي يا ريم، ماتشيليش هم. هنوديكي لشريف».

تغيير في الاتجاه

-ماهر-

اللعة عليك يا نجاة وعلى رقة قلبك التي لم تجلب
سوى المشاكل حتى الآن.

لا تغيير في الخطة حتى بعد أن انكشفت الحقيقة،
سأذهب لشريف لأجل ريم أولاً، ولأجل تمثالي ثانياً،
هذا الوغد يستحق التأديب. وعلى كل حال فلا خيار
آمن الليلة والطرق كلها تنتهي بخسائر حتمية، ولكن
فقدان احترام نجاة وحبها هما الخسارة الأكبر لي
بكل تأكيد.

كانت الخطة في رأسي واضحة تمامًا لكن مبهمة
للغاية في الوقت ذاته. فقلت لريم بالسيجارة في
فمي ونحن جالسون على الأرض في صالون الدكتور
المعتوه، وأنا أُلْفُ قطعة من قماش -مزقتها من
الأنثريه- حول يدي المجروحة: «العيال بتوع الأمن
اللي بيحرسوه أكيد فيهم كام واحد من حبايبي اللي
ياما روقت عليهم. إحنا بس نوصل لهم».

- صعب نوصل لهم؟

- مانتيش شايفة الدنيا برة عاملة إزاي.

- إحنا فين بالظبط في الكومپاوند؟

- جنب البنزيمه الكبيره اللي عند الفودكورد.

- كويس، مش بعيد عنه أوي.

هناك خط سير يتكون في مخي لكنه لا زال يحتاج إلى تفاصيل، لذا تركتها واتجهت إلى النافذة من جديد أبحث بين خصاصها عن أي ما قد يساعدني. لن نستطيع الجري ولا المشي طويلاً، نحتاج إلى نقاط محددة نتوقف عندها بين الحين والآخر لنتخذ سائرًا حتى نضمن الأمان.

النقطة المنطقية الأولى في اتجاهنا حيث القطاع A هي محطة الوقود التي هربنا منها من قبل، يمكنني أن أراها من هنا، ولكن يبقى السؤال: كيف نخرج وريم معنا؟ وجهها وحده تهمة تجلب الإعدام رميًا بالرصاص، واصطحابها يضاعف من الخطر المحيط بنا. عدت مجددًا للأرض وجلست القرفصاء مفكرًا بجوار نجاة، ثم اختلج جسد الطبيب الواقع أرضًا على مسافة منا، بدأ وعيه في العودة ومعه واثني فكرة.

قلت لنجاة: «قلعها».

- اقلعها إيه إنت اتجننت؟ إخس يا ماهر لا ماتجيش منك إنت!

- إنتي فهمتي إيه؟ بقول لك خلعيها أي حاجة ماركة بيان عليها نضافة. قصي لها شعرها وغيري أي حاجة في خلقتها، لبسيها أي زبالة تلاقىها هنا بدل الهدمة النضيفة دي.

فهمت نجاة ما أرمي إليه وفورًا عملت بأقصى

سرعة لديها، فألقت نظارة ريم السوداء بعيدًا وألبستها منظار العجوز السميك، ثم أحضرت مقصًا وقصت شعرها الطويل حتى صار يلامس كتفها بالكاد. وبينما تعمل نجاة على تغيير شكل ريم سألتها أنا سؤالًا ألح عليّ منذ سأله العجوز لي: «قولي لي يا ريم، مين في اللي قاعدين هنا يستاهل يعيش؟»، فأجابتنى بلا أي تعبيرات وهي تدخن سيجارتها، مستندة بظهرها للأريكة: «كلنا زبالة، كلنا نستاهل الموت».

- طب الفقير يستاهل أكثر ولا الغني؟

- اللي ما بيسألش السؤال ده.

- تفتكري أنا أستاهل أعيش؟

- هو أنا أعرفك؟

- من اللي شفتيه.

- شفته؟! أنا طلعت بحب واحد ماعرفش حتى اسمه.

أسكتتنى إجابتها فلم أرد، وبعد دقائق كانت نجاة قد انتهت من عملها. قارنت بين صورة ريم في القائمة وشكلها الحالي، وكان الاختلاف واضحًا لكن بدرجة متوسطة الاحترافية، فمع بعض التدقيق وقوة الملاحظة سيتمكن الناظر من معرفتها، لكننا لم نكن نملك أفضل من هذا، وكانت لمستى الأخيرة هي أن أجلستها على الكرسي المتحرك الخاص

لم ننتظر، وبعد نظرة مطولة للشارع فتحت الباب وأخبرت نجاة أن تتبعني عبر الشوارع الميته وأنا أدفع ريم. من الفيلا عدنا لمحطة الوقود، أخذنا منها نقطة ارتكاز قبل تحديد الطريق ومواصلة سعيينا حتى القطاع A فاختبأنا خلف صف السيارات المركونة في هدوء، قبل أن ينقلب كل شيء.

كان هدوءًا خادعًا، فمن اليمين واليسار انقض علينا رجال الأمن الثلاثة الذين كادوا يمسكون بنا منذ قليل. صرخت كل من ريم ونجاة بعد أن أمسكوا بهما، وحاولت أنا المقاومة لكن قيدني أقواهم بذراعيه باحترافية شديدة كما لو كنت طفلًا صغيرًا، ثم لما خفتت مقاومتنا أخذ يسدد نظراته إلى وجوهنا ويبدل بينها وبين شاشة هاتفه.

بدأ بنجاة، قلب بصره في وجهها قليلًا قبل أن ينتقل إلى وجهي الذي تجاوزه بسرعة وكأنني أجرب، ثم نزل بنصف جسده العلوي ليصبح في مستوى وجه ريم على كرسيها المتحرك، فدق قلبي بعنف حتى كادت ضرباته تكسر أضلعي وأنا أراه ببطء يتأمل وجهها مزيحًا بعضًا من خصل شعرها، ثم أسمع ضحكة خافتة من خلف قناعه الأسود.

مقطوعة اللسان

-إسعاد-

هل تنتهي العبودية أبدًا؟ الإجابة هي لا. أعني تمامًا
أن النهايات السعيدة لا وجود لها في هذا العالم.

لا زلت أشعر بالطوق الحديدي يلف عنقي على
الرغم من خروجنا من مساكننا الشعبية، لا زلت
أتوهم أن الأصفاد تلف رسغي رغم الحرية التي نلتها
أخيرًا، بعد الهرب من هذا السجن العملاق.

اسمي سعاد، أنا عاهرة متمرسة، ولم أفعلها لأجل
أخ مريض أو أم مسجونة، فعلتها لأجل المال
الذي هو أهم من كليهما، فعلتها لأجل نفسي التي
استحقت حياة أفضل من شقاء الحوارى والعزب.
عندما فشل كل طريق آخر في أن يمنحني حياة
آدمية اكتشفت أن التجارة بجسدي هي تجارة
مربحة حقًا، ولا تسألني عن الشرف في دنيا أنا
فيها على الأرض وسط الكلاب والقطط، ويُنْتَهَك
جسدي من قبل الحشاشين وسائقي التوك توك كل
مساء.

بفضل جسد أنثوي بض وملامح دقيقة وشعر
أشقر طبيعي ارتقيت سلم الدعارة الوظيفي بسرعة،
تناقلتني الشقق والشبكات من عزبة النخل إلى
المهندسين ومدينة نصر ثم الشيخ زايد، وبعد العري

والأقدام الحافية امتلكت ملابس وأحذية، بعد أيام
الهروب من الأجرة والقفز من فوق الماكينات في
المترو امتلكت سيارة صغيرة. إنها الحياة أخيرًا،
أتتني متأخرة ولكنني سامحتها.

كل شيء كان يسير بصورة جيدة حتى أتت مدام
نيللي.

لم أرها من قبل لكنهم أخبروني أنها قوادة قديرة
تدير شبكة تخدم عليّة القوم، وأنها تريدني مع
طاقم من فتيات أخريات. أخبرونا أننا سنتقاضى
راتبًا ضخماً بالدولار وأن حياتنا ستنتقل إلى مستوى
مختلف كلياً بشرط السرية والكتمان، وكل هذا
أنا أجیده. وبعد أربعة أشهر من العمل في قصور
الأغنياء والتدثر بحياتهم الحريرية نقلونا إلى
الكومباوند هنا من أجل مهمة خاصة على حد
تعبيرهم، ثم انقلبت الدنيا. حُبسنا كالحيوانات وتم
انتهاكنا بأبشع الطرق.

كان لي طوق خاص وقفص مخصوص، اعتبروني
من القطع عالية الجودة التي تؤخذ بأولوية الحجز
ولا ينالها إلا الشخصيات الأهم، فلم أكن أغادر
القفص مثل البقية. لم يخلعوا عني طوقي لثلاثة
أشهر كاملة، وجهزوا قفصي بألوان وأصناف من
أدوات التعذيب. لا زال جسدي يتذكر جيدًا كل
لطمة ولسعة سوط في حديقة الحيوان، وبدقة
مؤلمة لا زلت أتذكر المقص الذي وضعت تلك الشابة
البدينة على لساني قبل أن تقطعه، وهي عارية أعلى

مني، عندما أخذت أسبها بعد وصلة من التعذيب.

طعم الدماء الصدئة لم يفارق حلقي منذ تلك الليلة، انحبست ملايين الكلمات على طرف لساني المقطوع، ولم يسمعها أحد أبدًا. كانت تحب أن تتلاعب بي، تزورني مرتين أو ثلاثًا كل أسبوع، ترغمني على إيلاج أي شيء داخل جسدي، عصا أو سلك كهرباء أو حتى حيوان ميت، ثم تجلس لتشاهدني في استمتاع.

قبل نهاية الصيف وعندما فرغوا منا كان بعضنا قد مات والبعض الآخر لا يصلح إلا لانتظار الموت، أما من استطاع النجاة بمعجزة فوضعه في هذا المتحف، حيث أجبرونا على تمثيلية الحارة السخيفة مدى الحياة مقابل المأكل والمشرب والعيش. عشت في رعب مكبلة بصدمات لم ولن أتخلص منها، يهيئ لي عقلي أن أي حركة بالقرب مني هي بغرض الأذى والتعذيب، فأجفل وأرتعد، وأحيانًا أصرخ وأبكي أو أتبول لا إراديًا في ملابسي كلما سمعت صوتًا غير مفسر أو كلما تحرك أحدهم بجواري بسرعة.

لا زلت أتحسس عنقي كل بضع دقائق رغم أن الطوق الجديدي لم يعد هناك، لكنها عادة لم أتخلص منها، حتى الآن وفي تلك اللحظة، بعدما خرجت من هذا السجن رفقة الجموع الغاضبة. كنت أتحسسها منكمشة، مذعورة، أرتعد من أي حركة في محيطي لأنها لن تعني إلا الأذى.

الوجوه من حولي غاضبة والكل ينتفضون في غل،
الكل ممسك بما طالته يده من سلاح أو ما يصلح
ليكون كواحد، النار والدمار والتكسير في كل مكان،
هذا هو شكل العدل إذا؟ هذا الصراخ البربري الذي
يملاً الأجواء، هو صوته؟

كنا كفيضان انكسر السد الذي يحتجزه، كالنمل
زحفنا ببطء لنتنشر في كل مكان ونتسلق كل شيء،
وهمت أنا بلا وجهة، مرعوبة غير مصدقة أن قيدي
قد انكسر. رأيت بعض الأثرياء هنا يتم إخراجهم من
منازلهم، يتم جرهم وذبحهم، ها هو فتحي الحلاق
يدق رقبة واحد على الأرض، وهناك محروس
الميكانيكي يقطع أطراف الممثل (مالك عز) ويبترها
قدماً تلو يد ثم يطلب منه الزحف. كان هذا هو
العامل المشترك، الزحف، كلهم على الأرض بطريقة
أو بأخرى، حتى أن البعض بدأ يقيم بينهم مسابقات:
من يتجاوز منكما هذا الخط أسرع بالزحف سيختار
كيف يموت الآخر.

ولأن كل ما يحدث كان أكبر من احتمالي،
عاودتني ذكريات الحديقة، وهجم الألم ذاته مجدداً
بتفاصيله، على ذراعي ولساني، فصرخت وتبولت
في ملابسي وأنا أمشي وسطهم، غير عالمة أين
أذهب ولا كيف أتوقف، غير عالمة كيف يتخلص
الإنسان من قيده؟ لا أستطيع التخلص من اليد
الخفية الملفوفة حول عنقي لتضغط حلقي، ولا
الصوت الذي لا يتوقف عن الهمس: هذا مكانك

والعبودية أبدية، لا يمكنك أن تكوني جزءًا من عالم
ما خارج القفص.

ثم تغير كل شيء، وأمسكت شرارة ما في حطبي
المبلول، عندما رأيته.

ذات وجه مميز، سمين لكنه جميل وبارد، شعرها
بني طويل وفي عينيها أحقر نظرة في العالم. اسمها
خديجة شيئًا ما، عارضة أزياء شهيرة جدًا رغم
سمنتها الشديدة، رأيته تجري وهي تعرج بعيدًا
عن طوفاننا، ومن إحدى قدميها كانت تسيل الدماء
ولكنها تقاوم ألمًا جليًا حتى تهرب.

هنا صرخت، انكسر الطوق الوهمي حول رقبتني
وبدون وعي مني جريت نحوها، لحقت بها بسهولة
ومن شعرها الطويل جذبتها لتسقط أرضًا، ثم
اعتليت بها بغضب، فقالت باكية: «سيبيني أرجو كي،
هديكي كل الفلوس اللي عايزاها إنتي وأي حد من
أهالينا الجمال».

سألته بلا كلمات، مُشيرة إلى وجهي عدة مرات
متتالية بما معناه (هل تتذكريني؟) فأجابت:
«ما عرفكيش». لكنني أتذكرك جيدًا، وهذا ما أثار
غضبي بشدة. بأظفري الطويلة القذرة رحت
أخربش وجهها وهي تصرخ صرخات عالية تتوه
في الضجيج من حولنا. رددت: «وشي لأ»، عشرات
المرات، فتناولت قطعة من شظايا الزجاج المتناثر
حولي على الأسفلت وأخذت أرسم خطوطًا على

وجهها.

أين الخوف؟ ماذا حدث للطوق؟

أخبرتها كم أكرهها وكم أحتقرها، لكن لم تخرج
الكلمات من على لساني المقطوع، فعرفت جيدًا
ما يتوجب عليّ فعله. أمسكت بوجهها المشوه،
ورغمًا عنها فتحت فمها بيدي، ثم ملت عليها لأضع
فمي في فمها، أسناني على لسانها، ثم أقضمه بقوة
وبقسوة وهي تنتفض تحتني كالمصعوقة. في فمي
تفجر طعم الدماء من جديد، لكنه تلك المرة كان حلو
المذاق، بطعم الانتقام.



رحلة البطل

-مالك عز-

لا يمكن أن تكون تلك هي النهاية، مستحيل تمامًا،
ولن أقبل بها.

مستحيل لأنني ببساطة الإمبراطور، أنا الجنرال
والملك، أنا كل تلك الألقاب القوية التي اكتسبتها من
أدواري وخلعتها عليّ وسائل الإعلام، أنا كل هؤلاء،
ملتحقًا بالعظمة، ماشيًا على الزعفران ومكلاً بالمجد
والغار.

الليلة تمددت أنا الإمبراطور، محاطًا بالهمج
والأوباش، في مهانة يلامس وجهي الأرض مع
بطني، ومع كل ذلك لم أشعر بأي ألم في أطرافي
المقطوعة، أنا أعظم من ذلك، أنا المخلوق الأعلى
هنا، أو في البلد، أو في العالم كله، وأثق تمام
الثقة أن تلك ليست النهاية، مثلما أتدخل في
كل سيناريوهات أفلامي وأفرض نهايات سعيدة
تناسبني. هذا عالمي وأنا أتحكم فيه كله.

طعم التراب في فمي، ليس حقيقياً بكل تأكيد.

ساعات وسيعود كل شيء إلى طبيعته، ستأتي
الشرطة والإسعاف وسيعود الكون إلى نظامه
الأصلي. خسرت أطرافي الأربعة، وماذا بعد؟ سمعت
أنهم يزرعون أطرافاً صناعية في ألمانيا تعمل

كالحقيقية تمامًا. ما دام وجهي بخير وطابع الحسن
سليماً أستطيع أن أحكم العالم وأمس الشمس،
أستطيع أن أغير مجاري الأنهار وحدود الدول، فقط
لو أردت.

يجبرونني أنا الجنرال على الاشتراك في سباق
وأنا مبتور الأطراف، أنزف، أزحف على بطني
وكأني إحدى الديدان، ولكنني اعتدت تلك المشاهد،
تلك المرحلة جزء إلزامي في رحلة البطل في أي
سيناريو، يطلقون عليها اسم (لقد فقد كل شيء)
حين يجتمع الرعاع حول الملك ويدفعون رأسه في
الوحد، قبل أن يولد من جديد.

بجواني سارة زوجتي على بطنها أيضاً، هي
خصمي في السباق الهزلي الذي يقيمونه، الأغبياء لا
يعرفون كم تحبني. أناديها (سارة.. سارة) لكن سارة
لا ترد. سارة لا تلتفت إليّ حتى، والنظرة على وجهها
تصيبني بالقشعريرة.

إشارة البدء كانت لطمة على قفائي بعد عد تنازلي
من الثلاثة للواحد، لم أملك بعدها إلا الزحف أنا أيضاً
عندما وجدت زوجتي العزيزة تزحف بكل ما أوتيت
من قوة وكأنها تتشوق كي تسبقني، ورغم أنني
زحفت بكل ما في وسعي لم يكن هناك أي نوع من
التكافؤ لأنها لم تكن مبتورة الأطراف مثلي.

سارة وصلت قبلي، بلا مجهود يذكر تجاوزت خط
النهاية، والرعاع يصفقون ويهللون، يبصقون على

الملك ويركلونه في جنبه ووجهه، أما الطعنة الأكبر للقيصر فكانت من أقرب حلفائه. سألوا زوجتي العزيزة: (كيف تريدينه أن يُقتل؟) فقالت بثقة وسرعة من يعلم الإجابة مسبقًا أن: (اتركوه لي). واقتربت مني مبتسمة.

تلك العاهرة الخائنة، لقد منحتها الفرصة لتكون نجمة وصرفت عليها عشرات الملايين، ورغم وجود مئات النساء الأجمل منها لم أتركها، رغم أنني أحظى مع الغربيات بجنس أفضل مما أحظى به معها لم أطلقها، أهذا جزاء الإحسان! أين الشرطة؟ أين السيناريست الفاشل الذي يكتب هذا الفيلم؟ من المفترض أن ينهض البطل الآن، أن يستعيد قواه ويدفنهم أحياء، كيف إذا تلف سارة هذا الحبل الغليظ حول رقبتني؟ كيف تربطه بالسيارة الواقفة بالقرب منا وهي تضحك كثيرًا، لماذا تسبني وتعيد ذكر تفاهات قديمة؟

هذا الفيلم فاشل، لن أشاهده ولا أشارك في إنتاجه، فلن يخرج أي من الجمهور راضيًا بمشهد النهاية الذي يركب فيه أحد الرعاع السيارة ويقودها بسرعة بينما يختنق البطل وينقطع عنه الهواء بالحبل القذر الذي تشده السيارة الخائنة، ويحترق جسده بفعل الاحتكاك القاسي مع الأسفلت، الذي يكحت الجلد، ويكشط اللحم، ويدميه.

يا لها من نهاية فاشلة.

المزاد

-ماهر-

سألني رجل الأمن الذي انحنى يحدق في وجه ريم: «مين دي؟». فقلت محاولاً أن أبدو بمظهر صادق تمامًا: «الخدمة بتاعتي».

قال: «أول مرة أشوفها».

- لسه جديدة، مابقالهاش أسبوع.

- وجايب خدمة مشلولة ليه؟

- بعيد عنك رجلها اتكسرت وإحنا بنجري يا.. اسمك إيه؟

لم يجبني، فقط تأمل وجهها قليلاً مضيقاً عينيه، شعرها القصير ومنظارها السميك والشامات التي أضافتها نجاة بقلم الكحل، وكل ما بذلته من جهد لتغيير ملامحها، بالإضافة للكرسي المتحرك. أخيراً قال بهدوء: «سيبوهم». ثم التفت إليّ قائلاً: «بتعمل إيه برة يا عم ماهر؟».

عم ماهر! هذا الثور إذاً من أفراد الأمن الذين أعطف عليهم.

سألته عن هويته فلم يفصح، لكنه حكى باقتضاب شديد ما يحدث: أفراد الأمن الثلاثة هؤلاء -مع آخرين- هم المؤسسون للشركة الناشئة التي تقوم

على اصطیاد الأسامي الأهم في قائمة شريف
وبيعها في المزاد الذي سيقام في البارک بعد قليل،
والشاب التعس الذي قتلوه منذ قليل كان قريب
الشبه من أحد العشرة الموضوعين على رأس
القائمة، وبعد مطاردة بائسة قصيرة اكتشفوا أنه
لا قيمة له. أخبرني أنهم سيطلقون سراحنا لأجل
خاطري، كما نصحني إما بالذهاب للمزاد الموشك
على البدء أو الاختباء.

كل شيء انقلب الليلة، ميزان القوة اختل بين العبد
والسيد، وصار البالم تاون غابة لا تعتمد إلا على
الذراع، وهذا أمر لم أعرف شعوري ناحيته، فأنا الآن
محسوب على السادة المذعورين ولكني طيلة عمري
كنت واحدًا من هؤلاء العبيد، وأستطيع بسهولة أن
أرجع إلى مصافهم وأن أتحدث بلسانهم، إذا خلعت
عني قناع الباشوية فقط.

عندما أفلتونا تنفست الصعداء، احتويت كلاً من
ريم ونجاة أسفل ذراعي وأنا أراقب أفراد الأمن
الثلاثة وهم يبتعدون على دراجاتهم النارية. شعرت
بالكيفية وهي ترتجف تحت يدي، على عكس نجاة
التي لم ترتجف لكنها تعلقت بذراعي بشدة وكأنني
طوق النجاة الوحيد في بحر الليلة، فأخذتني شفقة
كاسحة وشعور هائل بالمسئولية، بث في نفسي
طاقة لا نهاية لها. منذ دخول نجاة إلى حياتي
اختلفت نظرتي للنساء بشكل جذري، لم يعد الجسد
ومنحنياته هو ما يشغل بالي طوال الوقت بقدر

فكرة المرأة نفسها وما يقع خلفها من حنان ومشاعر،
من قوة ومن ضعف.

رحلوا جميعًا في اتجاه البارك ليتأكد لي ما قاله
الولد، والذي قد يعني هدنة من المطاردات بسبب
المزاد الموشك على البدء. واصلنا جرينا بعدما
رفضت ريم أن يتم دفعها على الكرسي المتحرك،
فتركته وصرنا نجري نحن الثلاثة في منطقة أهدأ
نسبيًا وخالية من أي جثث تقريبيًا، لأننا اقتربنا بشدة
من البارك والمزاد المقام فيه.

عندما وصلنا هناك أمرتهما بالاختباء خلف بعض
الشجيرات البعيدة، واقتربت أنا قليلًا لأسمع وأرى
أيًا مما يحدث، إلا أن ما رأيته كان مقبضًا بحق.

نيللي العزيزة، ذات الجاه والسلطة، مربوطة إلى
إحدى شاحنات إعداد الطعام، ويُقام المزاد عليها.



استراحة

-ريم-

آلمتني قدمي أخيرًا من الجري والمشي والتعثّر،
فأنا في غضون ساعات قليلة كنت قد تعرضت
لحادثة سيارة، وتم اختطافي وتخديري، واكتشافي
لأكبر خيانة في حياتي، والآن لا يستطيع جسدي
تجاهل الأمر أكثر من ذلك. وعلى الرغم من كل هذا،
كان هدفي في الوصول إلى شريف أقوى من أي ألم.

ما يزعجني أكثر من أي شيء آخر كان التفاصيل
القليلة التي كنت أحصل عليها في هروبنا الصامت،
أريد أن أعرف ما الذي يحدث؟ أين نحن؟ من مات
ومن عاش؟ هل يمكنني حتى أن أتحدث؟

كل ما استطعت تكوينه عن خط سيرنا كان بعض
المعلومات التي استنبطتها من الرائحة والإحساس،
فبعد الجري الحذر على الأسفلت الصلب ووسط
درجة الحرارة الأعلى نسبيًا، شعرت أسفل قدمي
باليونة المعتادة لحشائش البارك والحديقة
المشذبة، وتأكدت من أننا هناك بفضل روائح الزروع
والياسمين المزروع على أطراف الحديقة، والهواء
اللطيف الذي يمر عبرها.

هامسة سألت: «إحنا في البارك؟»، فأجابتنني نجاة
ونحن نمشي خطواتنا البطيئة المنحنية: «هناك

أيوة، تعبتي؟»، ولكني أنكرت بهزات عنيفة من رأسي. نجاة تعلم كل شيء عني، تحفظ قسّمات وجهي ولغة جسدي، وبالتأكيد تعلم الآن أنني حقًا متعبة وموجوعة. كم أكره كوني كتابًا مفتوحًا بينما العالم كله مسدود الأبواب أمامي.

توقفنا فجأة عندما سمعت ماهر يقول: «شششششش، وطوا»، فانحنيت فورًا حتى كدت أسقط على وجهي، ثم أكمل بهمس بالكاد وصل لي: «خليكم إنتم هنا، أنا هروح أشوف الجو وأجي طوالي».

على الحشائش وخلف مجموعة من الشجيرات جلست ألتقط أنفاسي، يستحضر جسدي كل آلامه مركزة مهما حاولت تجاهلها أو تشتيت نفسي بالتركيز في الأصوات التي تناهت إلى مسامعي من بعيد، خاصة في الهمهمات التي أخبرتني أن هناك تجمعًا من الناس يتحدثون ملأ في انتظار شيء ما. أجفلت عندما شعرت بيد نجاة تربت على ذراعي قائلة: «يقطعني يا حبيبتي، إن شالله أنا».

قلت: «مافيش حاجة، أنا تمام».

- امسكي طيب، ماهر جاب لنا بسكوت من الماركت بتاع البنزينة.

- بتحبيه؟

- البسكوت؟

- ماتستهبلش.

- باينلي كده بحبه.

- هو كمان شكله بيحبك. قولي لي بقى، شبه
رشي أباظة؟

- ده شبه جوز خالتي الله يجحمه، بس عبيط
واهبل زي العيال بالظبط.

- إمسكي فيه يا نجاة.

- ولو، مآمنش لراجل من هنا لآخر الشارع.

- متخافيش، اللي حصل معايا مش هيحصل
معاكي.

- ماتقوليش كده! إنتي مغلطتيش في حاجة.

- غلطت إني افكرت نفسي إنسانة طبيعية.

- إنتي ست الستات يا حبيبتتي، هو اللي مجنون
ابن ستين وس... إنتي حظك كده بس مابيقعش غير
في الحالات المستعصية.

كدت أجيبها ولكن اشتدت الأصوات وقاطعتنا
ونحن نتكلم، فطلبت منها أن تصمت لثوانٍ ثم أقيت
بشباك أذني علني أصطاد منها ما أستطيع تفسيره:
هناك ضحكات عصبية، صيحات، نداء، هناك تأوهات
وصرخات خافتة بثت في جسدي القشعريرة، هناك
بكاء توسلات من حناجر تبدو كما لو أنها لم تتوسل
من قبل.

رجع ماهر الذي شعرت به يلهث ويشع حرارة، ثم شرح كل شيء، بهمس كالعادة: في البارك الواسع حيث المزاد، أحضر رجال الأمن بعض شاحنات الطعام وطاولات الأكل وأرائك الجلوس الخشبية المنتشرة في الحدائق، وعليها وضعوا الجثث والرؤوس أو ربطوا الأحياء منهم، ثم انتظروا قدوم الزبائن.

أصابني الفكرة بالذعر، بل شعرتُ بذئب مفترس داخل معدتي ينهشها. الليلة لا أحد عاقل ولا أحد يسعى للسلام، وحتى القنوط بهم الحفاظ على الأمن يتربحون من الوضع ويجرون خلف المكسب الأكبر. لم يكن قايين قاتلاً ولا شريزاً على كل حال، كان فقط إنساناً، ولو وُضع أيُّ مئاً مكانه لصار هو الآخر قايين.

بعد رصاصة في الهواء كملت أفواه الحشد الصغير، سمعت صوتاً مألوفاً يقول: نبدأ المزاد.

آلا أونا، آلا دوي، آلا تراي

-نيللي-

لم أقتنع أبدًا بمفهوم الكارما. لطالما رأيتها مُسكَّنًا
ساذجًا من مسكنات الفقراء، ووعدًا من الوعود
الواهية التي تُرسم لهم ليطاردوها بطول العمر
ثم يكتشفوا في نهاية المطاف أنها السراب بعينه.
الكارما والعدالة والرضا والـ٢٤ قيراطًا، أساطير تامة.

الليلة فقط آمنت بالكارما، وأنا مربوطة إلى شاحنة
طهي البرجر في منتصف البارك، يشاهدني بعض
الجيران والغوغاء، كسلعة معروضة، كالعبيد في
الأسواق، أو التشبيه الأقرب والأدق الذي هربت من
التفكير فيه.. كما حدث في حديقة الحيوان.

الليلة آمنت بوجود الكارما، ولكني لست قانعة بها
ولا راضية، فما يحدث هذا ضد قوانين الطبيعة
والكون، لقد خُلِقنا سادة وعبيدًا، وعلى السادة أن
يمارسوا أدوارهم وعلى العبيد أن يقنعوا بها. أنا لا
أستحق العقاب على إجادتي دوري إلى هذا الحد
المذهل واستغلالي لكل ما تمتعت به من نفوذ،
بل أستحق جائزة على الأرجح! كم أود أن أمزق
تلك الأربطة، أن أصرخ في الواقفين وآكلهم كلهم
بأسناني على هذا المشهد المهين، على عكس نظام
الكون والإخلال بموازينه الطبيعية، هذا ليس مكاني

أبدًا!

تساقطت دموعي بغزارة رغم كل محاولاتي
لكنمها. لم أحب أبدًا الظهور بمظهر الضعيفة ولا
المستعطفة، ولكني لا أملك أمام كل هذا الإنزال
سوى الانكسار، فبجواني على الطاولات قبع رأس
جميل العناني وياسر الحسيني ورؤوس أخرى
مشوهة، وإلى المزيد من الطاولات وشاحنات الطعام
قُيد آخرون لا أذكر أسماءهم، كُمت أفواههم ولم
يظهر منهم سوى النظرات الجاحظة المرعوبة
والتشنجات اليائسة بين الحين والآخر.

عندما بدأ المزاد داهمني إحساس غريب، وكأنني
انسحبت لآلاف الكيلومترات بعيدًا عن هنا، أو أرى
المشهد من خلال تلسكوب أو فوهة زجاجة، فكان
المشهد في عقلي بعيدًا للغاية رغم النسيم الذي
داعب جلدي المتعرق، ورائحة الياسمين المزروع
بتلك المنطقة، وبرودة المعدن القاسي الذي رُبطت
إليه. كل الحواس كانت تقول وتؤكد أنني أباع
وأعرض في مزاد أمام وجوه مألوفة لطالما أحببت
بعضها واحتقرت معظمها.

القوادة التي تبيع البشر معروضة للبيع الآن، هل
هناك من هو ساخر أكثر من القدر؟

قال واحد من أفراد العصاة التي اختطفتني:
«مدام نيللي ثروتها فوق الـ ٢٥٠ مليار، هنبداً بيها
عشان لسه عايشة، وممكن تعمل فيها اللي إنت

عايزه».

انقبض قلبي وانكمش بشدة، حتى خيل إلي أنه سقط من قفصي الصدري إلى الأرض وضاع وسط الحشائش وأنا أسمع ما قيل، ثم أرى الأرقام والملايين التي كانت تتقاذف على الألسن بسرعة الصاروخ، هناك الشامت وهناك الخائف وهناك المزايد لغرض المزايدة. تصاعدت قيمتي من ٣٠ لـ ٥٩ مليون جنيه، ثم واحد اثنين وثلاثة، بسرعة رسى العطاء على واحد من رجال الأعمال الذين لا أذكر عنه سوى مجال عمله في البترول والطاقة، وأنه حاول أن يمارس معي الجنس من قبل لكنني رفضته بسبب قصر قامته.

بابتسامة عريضة تقدم من وسط الحضور بعد أن حوّل المبلغ لأحد المسؤولين عن المزاد عبر جهاز التحكم، ثم طلب منهم بفرقة من إبهامه تشغيل الشاحنة وغلاية الزيت، وعندما تشنجت أنا الأخرى ورحت أرفس وأحاول تحرير جسدي تلقيت ضربة بكعب سلاح على رأسي، ضربة أفقدتني جزءًا كبيرًا من وعيي، الذي أخذ يتداعى ببطء مؤلم.

أجفاني ثقيلة، أطرافي مخدرة، ورغم ذلك رحت أتشبث بالواقع بكل ما أمتلك من إرادة مكسورة. إلى سمعي الذي ثقل تسربت الأصوات مكتومة تقول (ما نفعتها لو كانت مشوهة يا باشا؟)، ويرد الباشا: (لدي ما يكفيني من الرؤوس، أنا لا أحتاجها للخروج). ماذا يريد مني؟

شعرت بالأيدي الفضة غير المبالية تتناقلني وأنا
أسقط في بئر اللاوعي، ثم أتمدّد على رخامة ما.
مرت ثوانٍ هادئة بسلام، ظننت أن شخصاً ما تدخل،
قبل أن يجذبني أحدهم من شعري بقسوة، ثم أشعر
بالصدمة الجحيمية الحارقة، للزيت المغلي الذي
غطس فيه رأسي.

كان بمثابة ألف لكمة من شيطان، ركلة إلى الروح
مباشرة تدفعها إلى الجحيم. استفقت في الحال من
إغمائي، استفقت على وجهي يتآكل ولحمه يحترق،
استفقت على الموت.



الأجساد تؤكل

- ماهر -

صرخات نيللي كانت أكثر ما أثار رعبي في تلك
الليلة بطولها، لا الدماء ولا الرصاص ولا أي شيء
آخر. لم أفهم من مكمني ما الذي حدث بالضبط،
ولكن كان صوتها كافيًا لإخباري أن الليلة قد انتقلت
لمستوى آخر من الجنون.

لم يكن من الحكمة أن نستمر في مشاهدة هذه
المسرحية المرعبة، ولم يكن من الحكمة أيضًا
أن نرحل ونخاطر باحتمالية أن يرونا، فلا يمكن
التخمين إن كنا سنعبر زبائن أم بضاعة بسبب
وجود ريم معنا. قبعنا مكاني مترددًا، أرسم خط
سير آمنًا للقطاع A بعيدًا عن هنا، بينما تحرك
المزاد من جديد ليعرض رأس آخر في أجواء عبثية
يعاملها الحضور بجدية شديدة: ألا أونا ألا دوي ألا
تري، بيع رأس الملياردير بمبلغ وقدره، ولفه أحدهم
للمشتري في أوراق تغليف الشاندوتشات ووضعه
في كيس بُني للتيك آواي.

لكن توقف المزاد بغتة عندما بدأت أصوات أخرى
في التعالي والاقتراب. من بعيد أقبل علينا ما يشبه
صيحات همجية غاضبة، شعرت معها بتنميل في
الأرض تحتنا كما لو أن جيشًا يقترب، وهو ما أيقنته

لما بعثت بصري للأفق فعاد يخبرني أن هناك بالفعل
مجموعة ضخمة من البشر وعليهم تظهر كل أمارات
الوحشية والغضب.

ومن السماعات المتناثرة في الحديقة انسابت
موسيقى الجاز والبيانو، ورافقها الصوت الهادئ
البارد الذي أحفظه جيدًا. كان هذا شريف الذي قال
في شريط تكرر عدة مرات:

«مساء الخير، للي لسه عايش منكم حابب أنه
إن فيه تغيير بسيط حصل، «أهالينا الجمال» بتوع
الجنينة هربوا من المساكن وكلهم جايين عليكم في
الپارك دلوقتى، بأسلحة وسكاكين، وإنتو عارفين
كويس هيعملوا فيكم إيه لما يشوفوكم.. أسيبكم مع
أغنية (blueberry hill)».

بصوت خافت متهدج أوشك على البكاء طلبت
مني نجاة الرحيل، وتساءلت ريم عشرات الأسئلة
المذعورة، لكنني قبعث مكاني خلف غابة الشجيرات
الكثيفة على أطراف الحديقة، رافضًا الخروج وسط
كل ذلك الجنون. ومن مخبئنا شاهدت موجة الفقراء
وهي تقبل مسرعة، حتمية، كما المد على شاطئ
البحر، تغرق الحديقة وتطبق على الواقفين فيها.

بأعين غير مصدقة وأفواه مفعورة تابعت ما
يحدث، ذابت أعصابي أمام المشاهد التي كانت
أكثر عبثًا وخبلاً مما يمكن أن أتخيل: الأجساد تؤكل،
تعلق على الأشجار حتى تُستخدم كأهداف للألعاب

التصويب، يتم تقطيعها وسلخها بالأيدي والأدوات
البدائية، وكل هذا وأصحابها أحياء.

مر الوقت ومعه ازداد العبث وتعاضم شللي،
فراقبت مباراة كرة قدم دائرة بجوار البحيرة تم
استبدال الكرة فيها برأس من رؤوس الفلاك في
الكومباون، مما جعلني أتحسس رقبتني لا إرادياً.
لا يمكننا المكوث هنا أكثر من ذلك، عاجلاً أم آجلاً
سيصلون إلى أطراف الحديقة حيث نقبع. لذا
قمت بصعوبة وأخذت يد نجاة وريم، وخلف ستار
الأشجار سرنا بأكبر قدر من الهدوء ننشد الاختفاء
عن الأعين، آخذين طريقنا للقطاع A.

أعي جيداً أن وجوهنا وملابسنا هي تهمة كبرى
الآن، وأن الثراء هو الخطيئة التي لا تغتفر في
الساعات القادمة. كيف سنخطو خطوة واحدة دون
أن يأكلنا هؤلاء أكلاً؟ بسرعة واثني فكرة لم أتردد
في تنفيذها عندما رأيت سيارة فضية سليمة بالقرب
منا، فخلعت قميصي ووضعت ساعتني الباهظة
في جيبني، وقفت بفانلتي الداخلية متسلخاً بحزام
سروالي الجينز ثم ناولت نجاة ماسورة معدنية،
وخرجنا نجري صوب السيارة.

كما أفهمتها فنحن لن نحارب إلا إذا اقتضى الأمر،
فمناظرنا الرثة وهيئاتنا البالية قد تمنحنا بعض
الأمان، ولن يلاحظنا أحد في خضم المعارك الدائرة،
ولو تعرض لنا أي منهم سيدافع كل منا عن نفسه
وعن ريم بسلاحه. بعد القليل من الركض

بلغنا التويوتا الفضية إياها، والتي كانت قابعة في جراج إحدى الفيلات البعيدة نسبيًا عن مركز اللوثة الجماعية والتمثيل بالجنث. لحسن الحظ لم يلاحظنا أي منهم، فوقفت ألّهت قبل أن أواصل خطتي المرتجلة.

أمام السيارة عملت بأقصى سرعة وطبقت الخطوات التي أحفظها عن ظهر قلب: فتحت غطاءها وعبثت بوصلة الأسلاك كما اعتدت الفعل في صغري. في البداية كنت خائفًا ألا أتذكر الطريقة والترتيب الذي توقفت عنه منذ زمن، لكن بعد القليل من العرق والكثير من التركيز سمعنا صوت الموتور يدور واهتزت السيارة هزة الحياة، فهمست نجاة مبهورة: «عملتها إزاي دي؟!»، وأجبتها مبتسما ونحن نركب السيارة: «حرامي قديم يا بت».

كنت بالفعل أعرف طريقي ورسمت خريطته على ثنايا عقلي بوضوح. التلفريك هو الحل لدخول المنطقة A متجاوزين الحراس والبوابات وربما الكاميرات والكلاب أيضًا.

بسرعة وتصميم قدت السيارة في طريقي غير عابئ بأي من العواقب ولا الحواجز أمامي، فكنت أصعد فوق الركاب والنار وحتى الجنث بأقصى سرعة ممكنة، وعندما لفتت السيارة انتباه البعض بدأوا يتكالبون حولها حتى أنني اضطررت لأن أبطئ قليلاً أو أتفاداهم بمناورات حادة إلى أن أصبح الأمر أشبه بالمستحيل، خصوصاً بعد أن راحوا يقذفوننا

بالحجارة وبقايا الأجسام المتفحمة أو المشتعلة.

وعند نقطة ما لم أستطع أن أتجنبهم، فأغمضت عيني ثم ضغطت دواسة الوقود لأقصى درجة من جديد وصرت أكلهم بمقدمة سيارتي، اصطدمت ببعض منهم فطار عاليًا أو فرمت آخرين تحت عجلات السيارة التي كانت ترتج وتميل كلما داست واحدًا وكأنها تشعر بالذنب هي الأخرى مثل يدي المرتعشة على المقود، ولكن ماذا عساي أن أفعل؟

كل ما يحدث يضغط على أعصابي إلى حد الاختناق، الأفكار تتجلط في رأسي مع أصوات الاصطدام وصراخ ريم ونجاة، ومع مشاهد الأجساد الطائرة وبقع الدماء التي تتناثر على زجاج السيارة الأمامي، حتى أصبحت الرؤية شبه مستحيلة، ولكنني قدت مستعينًا بالرؤية الضبابية حمراء اللون للزجاج وبالطريق الذي أحفظه بالفعل. بانحرافه حادة إلى اليمين نجحت في تفادي إطارًا مشتعلًا طار ناحيتنا، وبضغطة قوية على المكابح أبطأت في اللحظة المناسبة قبل أن ترتطم بنا سيارة خربة دفعوها لتقطع علينا الطريق بالعرض، ثم بعد المزيد من المناورات تمكنت أخيرًا من الابتعاد عن مركز تجمعهم.

للتفريك ٣ خطوط وكلهم يؤدون إلى القطاع A. خط من الخطوط تقبع محطته في منطقة نائية عند بوابة الشخصيات الهامة في خلفية الكومباون، ليدخل الواحد منهم ثم يستقل التفريك على الفور.

أوقفت السيارة بالقرب من المحطة الخالية وأخبرت
رفيقتي أن تنزلا، وبعد القليل من البحث اكتشفت
أن التلفريك موجود وأنه يعمل، وأن خطتي
المرتجلة ناجحة.



العد التنازلي

- شريف علام -

يحتل قصرنا موقعًا فريدًا في الكومپاوند المبني على شكل مثلث.

على رأس ذلك المثلث تقع هضبة عالية، هي القطاع A، ويقف القصر على قمة تلك الهضبة. تصميم مميز يمنح للسكان فيه أن يكشف كل شبر في الكومپاوند بعينه المجردة.

وقفت على سطح القصر أشاهد الخراب الذي حل في كل مكان، بالفعل يأكل هذا الجسد نفسه بسرعة فائقة، لقد صار كما تمنيت، محاكاة حية لجسدي والسرطان العاث به: لنفترض أن البارك هو رثتي على سبيل المثال، فهو يحترق مثلها بالضبط، فالألم في صدري حارق وحار كتلك النيران التي تمسك بالأشجار. وهؤلاء الفقراء، هم خلايا متمردة قررت ألا تطيع قوانين هذا الجسد، أن تنقسم وتثور بلا أوامر ولا احترام للتسلسل الهرمي البيولوجي، لا انصياع لعقل ولا حمض نووي ولا هرمون ما مهما كانت قوته.

سعلت. تحسست جسدي ببطء، كل جزء فيه يؤلمني، يحرقني، نهايتي موشكة لا ريب. لكني لا أريد أن أموت. أحببت الحياة بكل متعتها ولكنها لم

تحبني، لفظتني، لذا يجب على نهايتي أن تكون ذات معنى على الأقل. استندت على سور السطح في محاولة للتماسك، لا يمكنني أن أموت قبل أن أتأكد من تحقيق العدالة الكاملة، وأن كل من يعيش في هذا المستنقع الملون قد لقي عقابه المناسب. من قتل يُقتل ولو بعد حين، ومن عذب يُعذب، ومن اغتصب يُغتصب. هذا الصوت في أذني هو صوت الموازين التي تعتدل، هو آهات الظلم الذي يتألم على مشارف قبره قبل أن يحتضر.

هل أنا أموت حقًا؟ لا مزيد من دفء الشمس ولا الغوص في البحار الزاهية؟ ماذا عن لوعة الحب؟ اللون الأزرق؟ الطعم المميز للحم بالزبد؟ قهوة الصباح؟ ساعات الغروب الوردية والقبلات الجيدة الشغوف؟ يا لها من حياة جميلة لا تدركها إلا في النهاية. ما أقسى الموت وألعه!

على كل حال لن أموت قبل مواجهتي مع ريم، آخر معاني الحياة التي اختبرتها.

بالفعل سار الأمر كما خطت، ومنذ قليل رأيتها على الشاشات برفقة ماهر ونجاة متجهين للتلفريك، ولم تكن خطتهم صعبة التخمين. هل علمت بأمرى أم لا؟ قلبي يخبرني أنها أدركت، وفضولي يأكلني حتى أعرف ماذا ستقول وبما تشعر، فالاختيارات من بوفيه المشاعر مفتوحة ومتنوعة ولا أدري ما الذي ستملأ طبقها به: الانتقام ربما، الغضب بالتأكيد، شيء من الحزن وبعض الندم، ولكن هل هناك

مساحة للقليل من الحب؟

مشاعري مشوشة أنا أيضًا. حتى تلك النقطة أنا
لا أعرف هل أحببت ريم أم لا، بداخل صدري قلبان
متضادان يضح كل منهما دماء مختلفة ومعاكسة
للآخر، الأول متآكل رمادي يقول أنني لم أحبها قط
وإنما فقط استمتعت بتلاعبي بها، هي كانت طريقة
لتمضية الوقت ورؤية جسد آخر يموت بالبطيء
بورم الحب. والقلب الثاني كان يؤكد أنني أحببتها،
بل همت بها وعشقت كل لحظة قربتني فيها من
نفسها ومن عالمها الصغير الداكن، ولكني أحببت
العدل والانتقام أكثر.

حانت مني نظرة إلى كابل التلفزيون الذي امتد
لمسافة أبعد من بصري، كان يهتز معلنا عن حركة،
عن قدوم حمولة جديدة -وربما أخيرة- إلى الميدان
الصغير الذي يتوسط القطاع A حيث تقع محطة
التلفريك، وحيث سينزل ثلاثتهم. الآن بدأ العد
التنازلي لنهاية كل شيء، لنهاية العالم الكامن كله
داخل تلك الأسوار. وفي أذني سمعت النغمة المميزة
لأغنية the final countdown لفريق europe
ولا إراديا أخذت أدندنها مع ابتسامة خفيفة، بالفعل،
إنه العد التنازلي النهائي.

(٦٠)

قُبلة

-ريم-

نسيم الخريف الليلي كان له مفعول السحر في
ليلة جحيمية كتلك، وعلى ارتفاعنا داخل التلفريك
كان الهواء أنظف وأبرد، بعيدًا عن كل النار والدخان
بالأسفل، فسحبت نفسيًا عميقًا من أنفاس آخر
ساعات الليل ثم قلت: «الجو جميل».

شعرت بيد نجاة وهي تربت على يدي في صمت،
ثم قال ماهر: «إحنا فوق أوي على فكرة»، فقلت:
«عارفة، ركبته وأنا بشوف وعارفة». ربما شعر
بالإحراج بعدما أدرك سخف ما قاله، فسكت لبعض
الوقت قبل أن يواصل: «لسه ناوية على اللي في
دماغك؟».

- أكثر من الأول.

- وأنا مش هقاوِجك عشان فاهم اللي فيكي
كويس.. بس عليًا النعمة إنتي رايحة بنفسك للتهلكة.
- مابقتش فارقة.

- على العموم أنا كمان ليا عنده حق، وعايِز آخذ
منه أمانة ضروري.

اهتز التلفريك هزة خفيفة معلنا وصوله للمحطة،
ومعه مال جسدي ميلة بسيطة إلى الأمام ثم إلى

الخلف. ارتجفت قليلاً وازدردت لعابي بصعوبة وأنا أقف، ثم أمسكت نجاة بيدي لتعاونني على الخروج من باب كابينة التلفريك بعد أن نبهتني أن أخفض رأسي. لليل هنا في هذا القطاع أصوات وأجواء مختلفة، هواء ثقيل وغني، هواء أنقى، لا أعرف كيف تم عزله عن هواء الفوضى بالخارج، ولكنه كان يليق بالمكان وبالحدث.

في طريقنا للخروج من المحطة قلت:

- شكراً إنكم فضلتوا معايي لحد هنا.

قالت نجاة: «ماتقوليش كده يا حبيبتي».

- إنتي مالكيش ذنب تستحمليني يا نجاة، عارفة؟
إنتي الحاجة الوحيدة اللي أنا كنت محظوظة فيها.
شعرت بها تضم يدي أكثر وتضغط عليها. وبعد قليل حدث اضطراب ما.

نجاة تشهق، ماهر يسب، ثم خطوات إضافية تنضم لنا، لها الوقع المميز لأحذية ثقيلة تدب على الأرض، أحذية يبدو أن أصحابها كانوا ينتظروننا خلف بوابة المحطة، يعلمون بوصولنا. من الأصوات قدرت عددهم بثلاثة أو أربعة، ومن النبرة أيقنت أن لهم هدفاً لا يعتمد بالضرورة على العنف.

بدا أنهم يعرفون ماهر معرفة شخصية، فينادونه بـ(عم ماهر) وبنوع من أنواع الاحترام -حتى لو أن الموقف يظهر عكس ذلك- وكل طلبهم كان أن

يستسلم بلا مقاومة لأنهم لا يريدون أذيته ولا أذية
أحد، هم فقط يريدون الكفيفة. تعجبت من الطريقة
الواثقة التي يحدثهم ماهر بها، يعرفهم بالاسم هو
لا يأبه إلى تهديداتهم المبطنة، ويثق تمامًا من أنهم
لن يجروا على إيدائه، حتى قالها في النهاية:
«ماحدث هيلمسها منكم».

ولكن يبدو أن ثقته لم تكن في محلها، ففوجئت
بالأصوات وقد اضطربت من جديد، سمعت لكمات
تسدد وحركات تشق الهواء يتخللها سباب من ماهر
وحشجة غاضبة، قبل أن تأخذني يد قوية من
وسطي، وبسهولة حمل دمية وضعني صاحبها على
كتفه وسار بي. لم أقاوم، لم أتشنج ولم أنفعل، أنا
أعلم أنهم سيأخذونني إلى شريف حيث أود الذهاب
وحيث سأتم هدفني، ومن بعدها مرحبًا بالموت في
أي شكل وصورة.

صعد بي سالام في هواء طلق ثم عبر بوابة
واثنتين، ومع اختفاء الهواء والنسيم أدركت أننا
دخلنا مكانًا مغلقًا، على الأرجح قصر شريف - كما
اقترحت عليّ أصوات الصدى - وبعد سلم آخر
طويل انفتح باب خرجنا بعده لنسيم الليل مجددًا،
وسمعت صوتًا مجددًا يقول: «شكرًا يا إبراهيم.
سيبها وانزل».

إنه صوته.

غريب تمامًا ما أشعر به. بضع ساعات فقط مروا

على آخر قبلة بيننا، على آخر كلمة (حبيبي) همس
لي بها، لكن كل شيء انقلب والمشاعر أظهرت
وجهها القبيح، الحب صار سذاجة والأمان غباء
والاشتياق مرارة تامة. أين يذهب الحب؟ هل يفنى
تمامًا؟ هل يموت ما كان أبدًا بتلك البساطة، وفي
غضون ساعات؟

مرت دقائق صامتة تاه مني الكلام خلالها، غير
عالمة ماذا أقول وماذا أفعل، كل ما قاله هو:
- «إزيك؟».

سألني السؤال ببساطة وكأنه لم يهدم عالمي عن
بكرة أبيه ويفرم قلبي بقسوة، وكأنه لم يتسبب في
موت مئات الأشخاص الليلة، فما كان مني إلا أن
رفعت حاجبي في دهشة غير مصدقة استحقاقيته،
ثم قلت: «نعم؟».

- تبقي عرفتي أنا مين. إيه رأيك في المفاجأة؟
- زبالة زيك.

- وحشتيني.

- هو إنت عبيط ولا بتستعبط؟

- عبيط.

- يبقى تروح تتعالج بقى.

- إنتي مش عارفة إن عندي ورم في المخ؟ أنا
technically عبيط فعلاً.

ولم يمنحني فرصة للرد، استغل أقوى أسلحته
وأشهرها عندما أمسك بيدي وقربني منه، فدق قلبي
الخائن رغماً عني وهيج مشاعري. رغم محاولتي
للمقاومة تسارعت أنفاسي الغبية وأحسست
بالرعدة في يدي، فقلت: «عايز مني إيه؟».

- قلت لك وحشتيني.

- وحشتك إيه؟ هو أنا أعرفك أصلاً؟ i don't
even know your name

- اسمي شريف علام، بسيطة.

- وأنا اسمي go kill yourself.

- شكك حلو وإنتي متبهدة، الشعر القصير تحفة
عليكي.

- إنت بارد!

- بس بتحبينني.

- إنت مش عارف بكرهك قد إيه.

- كدابة.

- أنا اللي كدابة، ها؟ أنا اللي فهمتك إني حد ثاني
وعيشتك في الوهم؟

- ريم، كدبة الراجل حاجة وكدبة الست حاجة. أنا
عارف إنه كلام عنصري شوية بس دي الحقيقة، إحنا
بنكذب مع كل نفس، غالباً بنكذب عشان نكسب كل
حاجة، nothing personal.

- وإنت خسرت كل حاجة.

- كسبت نفسي، كسبت العدالة، غسلت نفسي
أخيرًا من القذارة.. إنتي ماتعرفيش حاجة.

- مش عايزة أعرف.

- بس أنا هحكي لك.

ثم انطلق يحكي حكاية غريبة ومقبضة رفضت
تصدق أي حرف منها. لم يكتف شريف بهدم
الكومباوند وعالمي، بل راح يكسر في كل ثوابتي
ويشوه صور كل من عرفتهم هنا تقريبًا. لقد كنت
أعيش وسط شياطين، وكل واحد ممن عرفتهم
تقريبًا كان يخبي كفاً مخيفاً من العفن. أردت أن
أتقياً بشدة، ولم يبخل عليّ هو بأي من التفاصيل،
فاستطرد واسترسل ووصف هذا الجحيم في
حديقة الحيوان بمشهدية يحسده عليها أورويل
وتولكين، الروائح زارت أنفي ومشى كل ملمس
ممكّن على جلدي، الساخن والبارد، الخشن والناعم،
وحتى الألم احتل خلاياي لبعض الوقت.

عندما انتهى، كنت ألّهت قليلاً وعانى ذهني من
نوع من التوهان، لقد أخل شريف بتوازني وتركتني
مشوشة غير ثابتة، وربما كان يعني هذا أو يخطط
له لأنه بأغتني على الفور بمسحة من يده على
شعري متبوعة بقوله: «صدقيني كل القرف ده كان
لازم يخلص، كل دول ماكنش ينفع يعيشوا أكثر من
كده».

تهدجت أنفاسي، لم أستطع الرد. أكمل: «كان
نفسي تشوفي المنظر دلوقتي، من الرووف هنا».

- عامل إزاي؟

- جميل، شاعري.. It looks like the end of
the world.

- دي حاجة حلوة؟

- حلوة للحظة زي دي.

ببطء وضع يده على عنقي، امتلكني، ثم شقت
شفتاه الطريق الذي يحفظه تمامًا إلى شفتي، فكان
الأمر بالفعل كما تقول الأغنية، يشبه نهاية العالم.
يوم القيامة يبدأ على شفاهنا، من قبلة صغيرة
أخذت تكبر حتى تتحول إلى عاصفة ستودي
بكل شيء مثل الانفجار العظيم الذي بدأ الكون.
وللحظات كنت أبصر.

لا أعرف كيف، لكن عقلي رأى كل شيء وكأنني
مبصرة حقًا، النجوم والليل والنيران والخراب،
الجثث المتراسة والجيش الفقيرة، القمر الحزين
الذي يظلل الكومباوند المتهدم، والأهم من كل ذلك
أنني كنت أرى وجه حبيبي، بحذافيره، أرى قبلتنا
متجسدة كما لو مشهدًا في فيلم، والكون من حولها
يحترق.

(٦١)

بداية النهاية

- ماهر -

ربطوني مع نجاة إلى إحدى الأشجار المتينة في
الميدان الصغير وتركونا، بفانلتي الداخلية وسروالي
الجينز.

بعدما خمدت ثورتي، رحت أراقب النجوم في تعب
وقد بدأت حرارة جسدي الآخذة في الانخفاض
تُظهر ما كانت تخفيه من أوجاع وكدمات، ولكنني
رغم كل شيء كنت أشعر براحة، فنجاة إلى جواري
وهذا ما يهم.

ولا أعلم لماذا في تلك اللحظة بالذات قلت ما قلته،
لكنها خرجت مني: «إنتي عارفة إن أنا حرامي،
صح؟».

- عادي.. كلهم حرامية هنا.

- مش فارق معاكي؟

- ما يهمنيش كنت إيه قبلي، يهمني اللي بعد كده.

- إنتي بتتكلمي جد؟

- ودي حاجة فيها هزار؟ أنا عارفة إنك حرامي
وبتريل عالستات ومابتعرفش تقول كلمتين
إنجليزي، بس نضيف من جوة وعامل زي العيال.

ابتسمت لا إرادياً. وقبل أن نكمل حديثنا رأيت
أفراد الأمن الثلاثة عائدين من حيث ذهبوا، ثم
وقفوا على مسافة أماننا في ملل يركلون الحصى
أو يتبادلون أحاديث جانبية، وكأنهم لا يعرفونني.
ناديت أحدهم معاتباً: «بقى تعمل في عمك ماهر
كده يا ض يا صابر؟».

لم يجبني في البداية، بل تجاهلني متصنعاً عدم
الاستماع والتفت ينظر بعيداً، فواصلت: «مين
اللي وقف معاك في العملية بتاعة أختك الصغيرة،
ها؟ مين كان بيتطمن بالتليفون كل يوم، أنا ولا
شريف؟».

اقترب مني صابر في ضيق وقال: «ماتصعبهاش
عليا والنبي يا عم ماهر». فقلت بهدوء: «ولع لي
سيجارة طيب»، وأتى الشاب مسرعاً ناحيتي، أخرج
من جيبه سيجارة ووضعها في فمي ثم أشعلها،
فأخذت نفساً بث بعض النشوة والدفع في جسدي،
وسألته: «هتعملوا فينا إيه؟».

- ماعرفش.

- تعالى لي سكة يا ض، عيب.

- هو بيقول الحكومة هتيجي تشيل اللي هيفضل
عايش عشان هيفضحكم.

- ووعدكم بإيه بقى عشان تعملوا ده كله؟

- ٢٠ مليون كل واحد.

فلتت مئي شجرة هازئة وأنا أضحك ثم قلت
بالسيجارة في فمي:

- وإنت صدقته؟

- صباعه تحت ضرسنا يا عم ماهر، مايقدرش
يخلف وعده. آخره رصاصة في نص قورته.

- وتبقى ريحته من السرطان يا عبيط؟ إنت عارف
إن شريف عنده ورم في المخ ومستني الموت؟
صمت.

- اسمع مني وسيبك منه، مانتاش هتطول حاجة.

- ماشوفتش منه حاجة وحشة.

= يا جدع إذا كان غدر بالناس اللي ياما كل معاهم
عيش وملح وسابهم يتهانوا ويتدبحوا واحد ورا
التاني، مش هيغدر بيبكم يا شوية عساكر شطرنج؟
سكت صابر مجددًا، وكان هذا موعد الضربة
القاضية.

- مد إيدك في جيبك اليمين، هتلاقي ساعة تعمل
لها كام مليون حلوين. حلال عليك.

مد يده في جيبه وأخذ الساعة.

- أنا عمري ما اتأخرت على واحد فيكم، وبعد ما
الليلة السودا دي تعدي ليكم حلاوة كبيرة.

- عايز مني إيه يا عم ماهر؟

- فكنا ووديني لشريف.

- ماقدرش.

قالها ومد خطواته بعيدًا عنا، واشترك مع زميله
في حوار هامس. اللعنة، (خيرًا تعمل شرًا تلقى)
بالفعل.

لكن قبل أن يتمكن مني الإحباط، فوجئت به
يخرج مسدسه ويدق بكعبه صدغ زميله فيتهاوى
الأخير في الحال، وبلا تردد عاد إلي وقال وهو يفك
أربطتنا: «ماحدث يضمن»، فقلت مبتسمًا: «تمر
فيك والله».

أمسكت بيد نجاة أتأكد من سلامتها، وقبل أن
ياخذنا صابر إلى حيث شريف، نظرت في عينيها
ثم عانقتها عناقًا قويًا، ولم آبه برأيه ولا كلامه.
عناق حمل أحاسيس لم أجربها من قبل ولا أعرف
بوجودها، بلمس الراحة، وطعم العائلة، ورائحة
البيوت الدافئة، عناق أخبرني أنني لم أعش من قبل
نجاة.

سألتها ونحن نجري عبر الميدان الصغير: «لو
خرجنا من هنا سلام، تتجوزيني؟». فسمعت شهقة
خفيفة تصدر عنها قبل أن تقول: «إحنا في إيه ولا
في إيه يا عم؟!»

- بتكلم جد، مش عايزة؟

- مالك حامي كده ليه يا ماهر؟!

- وما بقاش حامي ليه؟

- عشان إنت كبير وعاقل، الأمور مابتمشيش
بسرعة كده.

- أنا ماليش حد يا غيرك يا بت، وعایش طول
عمري لوحدي زي قرد قطع. يوم ما ألقاكي مش
عايزاني أبقي عيل شبطان؟

- بس بقى ما تقطعش قلبي.

- وحياة ربنا بحبك.

- وأنا كمان.

كانت تلك هي المرة الأولى على الإطلاق التي
يخبرني فيها أحدهم أنه يحبني. سألتها لاهئًا
والابتسامة تظلل كل وجهي بينما ندخل القصر
الفخم مع صابر: «ناوية تخلفي كام عيل؟ عايزة
نسميهم إيه؟».

- لا ده إنت عيل فعلاً بقى.

صعدنا السلالم الرخامية الطويلة جريًا ثم وصلنا
إلى السطح الخاص بالقصر، حيث ريم وشريف،
وحيث أجبرني المنظر على بتر كلامي.

العين بالعين

-ريم-

استمرت قبلتنا لنحو أبدية ونصف، عمراً كاملاً،
 بل قامت خلالها حضارات وتعثرت أخرى، وشعرت
 أثناءها بكل شعور ممكن أن تأتي به النفس البشرية،
 ثم راودني شعور غريب، مثل مفارقة الروح للجسد.
 انتهت القبلية، وبنهايتها أدركت فجأة أنني لم أعد
 أحب شريف، أنني أودعت فيها كل ما أحتفظ به من
 مشاعر له، وضعتها في سرة ورميتها عبر شفاهه،
 إلى داخله، وتخلصت منها.

أخيراً شعرت بالقوة الكافية لتنفيذ خطتي، لم تعد
 يدي ترتعش ولم يخفق قلبي مرتين، بل مددت يدي
 بهدوء إلى جيبي حيث السكين السويسري الذي
 منحه لي في عيد ميلادي، وببطء لففت يدي حول
 السكين، أخذت شهيقاً سحبتة من بين شفتيه، قبل
 أن أستجمع قواي وأطعنه في بطنه، طعنة، اثنتين،
 ثلاثاً، ثم أشعر بوزن يديه الموضوعتين على ظهري
 وهو يخف، ويفارق حضني قليلاً.

= «غبية.. ليه تبوظي لحظة زي دي؟».

قالها متأوهاً، ورغم الظلام لم أخف، لم أكثرث
 حتى لو أمسك برقبتني وألقاني من على هذا السطح
 حالاً. أجبته: «عشان إدتني سبب أعيش عشانه بعد

ما كنت مستنية أموت، وفي الآخر خدته مني ثاني..
عشان إنت أكثر واحد حسسني بالعجز، أكثر واحد
خلاني أندم إن عينيا راحت».

ومع كلماتي شعرت بشيء آخر يفارقني غير
حبي لشريف، كان الغضب، الثقل الدائم الذي كان
يصاحبني منذ إصابتي بالعمى، تبخر من مسامي
وخف وزنه الرابض على صدري.

بعد ثوان صامته، شعرت بيده تهوي على خدي
في صفة كانت من القوة أنها كومتني على الأرض،
وضربت أذني بصفير عال لم أستطع السماع من
بعده بوضوح، ومع تضرر أذني لم أعد أستطيع
الرؤية نهائيًا!

كل ما شعرت به من خلف الصغير كان اليد التي
جذبتني من شعري، الرذاذ الذي تطاير على وجهي
من كلمات صرخ بها لكني لم أسمع منها إلا اليسير،
إنها نهايتي بلا أي شك. التفت أصابعه الحانية حول
رقبتي وضغط بكل قوته ليمنع عني الهواء. شهقت،
صرخت صرخة مبحوحة وأنا أحاول بوهن انتزاع
يده من على رقبتي، ومن حلقي تخرج الأصوات
متحشجة، لقد جُن تمامًا.

على وجهي بصق، عض خدي وقضم لحمه حتى
كاد يدميه، وتدرجياً اعتصرني الألم وبدأ تيار
الحياة في الانقطاع عني، إنه الموت بالتأكيد، لماذا
إذاً توصف لحظات الاحتضار في الكتب

بأنها لحظات مسالمة، وبأن الموت يأتي في هدوء
وحميمية الأصدقاء القدامى؟ إنه ألم خالص، مخالب
شيطانية، المكون الأسوأ من كل شعور سلبي،
مدمجين معًا في جرعة واحدة مركزة.

لكن قبل أن أقفز في هوة الموت، ارتخت يداي من
حول عنقي قليلًا، قبل أن ينزعها. من فوق قام
بدون مبرر واضح، في حين رحت أنا أسعل بعنف
وأشهق سارقة ما استطعت من الهواء، ثم بدأت في
فهم ما الذي يحدث عندما استبدلت أذني الطنين
بالأصوات مجددًا. لقد أتت نجاة بصحبة ماهر
وشخص ثالث.

مطاردة على السطح، كر وفر لم يمكّني السعال
من رسم سيناريوهاتهم، ربما كل ما فهمته من صوت
إطلاق النار وصرخة نجاة والشهقة الرجولية أن
أحدهم أطلق رصاصًا أودى بحياة إنسان، أدركت
ذلك فضربني الذعر أكثر من أي وقت مضى. هل
مات شريف؟ هل قُتل ماهر؟ أم تلقت نجاة تلك
الرصاصات؟

يد رجولية أمسكت بيدي وشدتني ثم صوت ماهر
يخبرني أنه لا وقت لدينا، فأطعته بدون تفكير
متعثرة بخطوات وعقلي يعمل جاهدًا لمواكبة كل
ما يحدث ورؤية المشهد من حولي: أنا ونجاة وماهر
نجري، نهبط السلالم، وخلفنا ينزل شريف ببطء
نسبي، يلهث لكن يصرخ غضبًا، ويهددنا أن نتوقف
وإلا أطلق الرصاص لكنه لا يطلقه، لذا على الأرجح

فالرصاص في مسدسه شحيح ويحرص على
استخدامه بحكمة.

- «ماينفعش.. حد.. يعيش، كلنا لازم.. نموت».

الرخام على الأرض تحتي، ثم حشائش حديقة،
فبلاط حجري، وفي النهاية أسفلت، هكذا خرجنا
من حديقة القصر إلى الميدان بالخارج. نادى شريف
ماهر مرتين وناداني مرة، كان يحاول اللحاق بنا،
وتشي أصواته بأنه يعاني بسبب طعناتي، أستطيع
أن أراه الآن بعين عقلي وهو يضع يده على بطنه
حيث طعنته، يحاول إيقاف النزيف والألم لكن لا
تسعه يده المضرجة بالدماء.

تعثرت في درجتين لسلم ضيق وصغير خمنت
أنه سلم محطة التلفزيون، ثم تأكدت عندما سمعت
صوت باب المحطة المعدني يُغلق خلفي. على الباب
توالى خطبات شريف العنيفة في حين كنت أسمع
ضغوطات ماهر المتواصلة على زر تشغيل التلفزيون،
يسب ويلعن الآلة الغبية التي لا تستجيب، حتى
انفتح بابها أخيرًا، فدخلت أنا أولاً ثم تبعني نجاة
وبعدها ماهر.

وبعد دقيقة أو اثنتين من اللحظة التي انطلق فيها
التلفريك عائداً من حيث أتى، سمعت باب المحطة
المعدني ينفتح و....

رصاصه.

(٦٣)

نجاه

-ماهر-

لم يكن التلفريك الغبي يتحرك بالسرعة المطلوبة، فلم نقطع إلا بضعة أمتار قليلة قبل أن تصيب رصاصة شريف الوصلة المعدنية التي تربط بين كابينة التلفريك والكابل الذي يحملها، فيتوقف التلفريك تمامًا.

أكثر ما سبب الإحساس بالخطر في تلك اللحظة لم يكن الرصاصة، بل الهزة التي اهتزت بها الكابينة المعلقة في الهواء، فصرخت ريم وغرست نجاة أصابعها في ذراعي، وبالكاد تماكنت أنا أعصابي لكن تساقطت كل الأفكار من بين ثنايا عقلي كالماء، ماذا يمكن فعله وأنا معلق هنا في الهواء مع امرأتين؟ لا يوجد ما يُعمل.

ثم من المسافة بيننا، رأيت الشيطان يمسك بالكابل من الطرف الواقع في ناحيته ويهزه، ومعه تهتز الكابينة فازداد صراخ كل من نجاة وريم، وبمرور الوقت تزايد الاهتزاز وتحول إلى تأرجح عنيف حتى خلت أننا نسقط بالفعل، فلم يكن مني إلا أن أخذهما أسفل كلتا ذراعي كما تفعل الدجاجة مع أفراخها وأغمض عيني. فكرة السقوط من هذا الارتفاع وحدها مؤلمة، ولن يتحملا سقطة كتلك.

تدريجياً توقف التآرجح حتى تحول إلى هزات خفيفة مرة أخرى، ونحن لا نزال متجمعين متلاحمين في نفس الوضع، ولم أجرؤ على النظر من النافذة إلا بعد أن هدأ دوايري نوعاً ما وتوقفت مكنونات معدتي عن التراقص، فحانت مني التفاتة حذرة إلى النافذة لم أجد على أثرها شريف عند طرف الكابل، فزاد قلقي، ثم وصل ذروته عندما انفتح باب التلفريك من تلقاء نفسه. بالتأكيد تحكم به الوغد من المحطة. لكن أين ذهب؟

سرعان ما أشارت الأصوات إلى مكانه، حيث استقل التلفريك الآخر في الخط الموازي لنا، وببطء راح يقترب به. كدت أصاب بالهلع وأصرخ أنا الآخر، فهنا كنا مشلولين تماماً لا نملك إلا أن نشاهده وهو يدنو منا كما القضاء المستعجل. كل ما أمكنني فعله هو الالتفات حولي كالملدوغ والبحث عن أي زر سحري أو ذراع يمكن سحبه، فلم أجد إلا لوح تحكم صغيراً بيضعة أضرار لم يعمل أي منها مهما ضغطتها أو ضربتها بقبضتي. سألتني ريم من مرقدها على الأرض في حزن نجاة: «فيه إيه يا ماهر؟». ووصل شريف.

وقف بالتلفريك الذي يركبه أمام خاصتنا، الباب يوازي الباب، وللحظات تلاقت أعيننا كما البابين، بلا كلام، ومن خلف نظارته لمحت الحقيقة كاملة، في عينيه رأيتها عارية تماماً للمرة الأولى، من هو، وجوهر روحه، وكيف يفكر ولماذا يفعل كل

هذا. كانت لحظة جافة من الحقيقة الخام الباردة.
قلت في محاولة لإلهائه: «حلوة وملعوبة، تدوخني
حوالين نفسي زي الكلب الحيران والتمثال معاك
طول الوقت.. بس هموت وأعرف عرفت قصته
منين».

فأجاب بابتسامة بسيطة: «ماتبقاش تدوس على
أي لينك يجيلك بعد كده، حتى وإنك بتملى بياناتك
في أرقى كومباوند في العالم». ثم قال ببطء وهو
يشير بيد تسيل منها الدماء، مستندًا على حواف
باب كابينتته في تعب: «هات ريم يا ماهر».

- على جثتك وجثة أمك.

- هاتها ومش هعملك حاجة.

- لا يا راجل؟ شايفني بريالة قدامك ولا إيه؟

- ماتبقاش غبي بقى!

- الغبي ده اللي خلى الكومباوند خرابة وخلي الكل
ماشي يدبح في بعضه.

- المكان ده نجس وكان لازم يتباد.

- وإنك أول واحد كان لازم يغور في داهية.

- أنا! أنا أنصف واحد هنا، إيدي دي مافهاش نقطة
دم واحدة.

- وحياة أمك؟

- زي أي رسول أنا جيت برسالة ومعجزات قبل

دمار المدينة. سيب نفسك للحق يا ماهر وخلي
العدل يتحقق.

- ما تحلّك من شغل الدراويش ده عشان مش
هياكل معايا.

- إنت اللي اخترت.

وبدون مقدمات فوجئت به يقفز من كابينة
التلفريك خاصته إلى كابينتنا، لم يبال بالمسافة
وكانها لا توجد أصلاً، شق الطريق في الهواء وعبر
فتحة الباب ثم ارتطم بي فاختل توازني واصطدمنا
بالنافذة خلفي، التي انشрخت تحت وطأة وزننا
وعنف الضربة، وتراقص بنا التلفريك من جديد أقوى
من ذي قبل، وسط صرخات النسوة.

حاول أن يقوم قبلي، لكنني أمسكت برأسه ودفعتنه
بعيداً ليسقط أرضاً بجوار نجاة التي تحتضن ريم
في الركن، ثم وقفت بصعوبة في تلك الأرجوحة
مستنداً بيدي على حوائطه، التلفريك وسددت
لوجهه ركلة كسرت نظارته، ثم أخرى هشمت أسنانه،
وثالثة كادت تصيبه لكنه تفادها وأمسك بقدمي
في مفاجأة، ولم يكن سقوطي في وسط كل تلك
الفوضى صعباً.

قبل أن أتمكن من القيام مجدداً هوى الملعون
على رأسي بصندوق أدوات معدني ثقيل للطوارئ
فشعرت بوزني يتضاعف وبالدنيا من حولي تنقلب،
صارت الرؤية أصعب بكثير ولم يعد جسدي

يطيعني. أمامي وقف يلهث، غير عابئ بصرخات ريم ونجاة المنزويتين في الركن، ولما حاولت القيام فشلت، فكل شيء كان ثقيلاً يزن أطناناً، حتى جفناي انفتحتا بصعوبة. بعد أن انتظمت أنفاسه رأيته يمسك بنجاة من مرفقها ويجذبها بعنف، وقف معها على الباب وقال مواجهاً إياي بابتسامة بغیضة: «الخدمة الأول عشان خاطرك». سيلقي بنجاة من هنا، من هذا الارتفاع.

لم أشعر بنفسي في تلك اللحظة ولم أفكر مرتين، تخلّيت عن كل ثقل وتحرر جسدي من أعباء وأوزان الإغماء، وقفزت نصف قفزة ناحيته لأعانقه، أمسكت به من خصره واحتضنته لنسقط سوياً أنا وهو من الباب المفتوح، وعلى هذا الارتفاع.

كان سقوطاً أشبه بذلك الكابوس الذي يصيب الجميع قبل الاستيقاظ مباشرة، سقوط لم يستغرق الثلاث ثوانٍ، لكنه في عقلي كان دهرًا طويلاً أمطرت خلاله الذكريات على عقلي ولمحت صوراً لي وأنا طفل حافي القدمين، وأخرى وأنا أسرق الخزنة الأهم في حياتي، وأخر وأنا وحيد تماقاً، وصورة أخيرة لنجاة، ثم كان الارتطام.

ألم بشع لا يمكنني وصفه بكلمات، لكن أقرب ما تستطيع بلاغتي صياغته كان لساناً من البرق وقد شقني نصفين، أو محطة كهربائية تعانقني بكل عزمها، الكهرباء، نعم. ارتج جسدي واستقبل الصدمة القوية التي لم يخفف منها قليلاً سوى جسد شريف

أسفل مني، قبل أن أسقط من فوقه.

على الحشائش الرطبة، صرخ جسدي بكل لغات
الألم الممكنة، لفني الوجع بكل طريقة يستطيع أن
ينفذ بها إلى جسم الإنسان، وخدي الأيسر ملاصق
للأرض في طريقة تصعب من دخول الهواء إلى
رئتي. أريد الاطمئنان على نجاة.

بكل ما في من جهد حاولت الالتفات للأعلى كي
أراها، استجمعت بقايا إرادتي وعزمي للدوران إلا
أن جسدي كان متصلبًا غير مطيع كالجثث، فلم
يصدر عني إلا اختلاجة بسيطة في يدي اليمنى،
ثم سمعت صوتها يصرخ باسمي مرات ومرات،
بحرقة. أردت أن أناديها أنا أيضًا، أن أخبرها أنني
بخير وأسمعها وأنني لم أحب في حياتي سواها،
أيامي المعدودة معك يا نجاة كانت أثنى من كل
ما قضيته من حياة قبلك، هي النهاية المثالية التي
أعطت معنى لكل ما سبقها، الآن أنا راض عن حياتي
التي انتهت بك وبحضنك، التي انتهت بلا وحدة.
لم يخرج كل هذا الكلام مني ولم تسمعه نجاة التي
فصل بيني وبينها عشرات الأمتار، لم يخرج من
فمي سوى حشرة خفيفة.

كان الظلام يتسلل إلى رؤيتي ببطء، ربما هو
الموت قادم ولا ريب، أهلاً به إذاً بعد حياة لم تُختم
بالوحدة، حياة كللت نهايتها بالحب. رغم الوعي
الذي كان ينهار سريعًا، لمحت خيوط الفجر الأولى
التي لامست السماء وربتت على جسدي في حنان،

ولا أدري لماذا، سمعت في أذني النغمة المميزة
والكلمات التي لطالما أحببتها لكن لم أفهمها إلا الآن:
(اللي شُفته قبل ما تشوفك عينيا، عُمر ضايع
يحسبوه إزاي عليا؟).



نهاية الخريف في پالم تاون

-ريم-

انتهت الليلة العصيبة وحل الفجر. بطريقة ما
تمكنت أنا ونجاة من النجاة.

اقتحمت الشرطة الكومپاوند بقوات ضخمة،
أنزلونا من التلفريك بعد صرخاتي ونداءاتي، أنا
فقط، فلم تقو نجاة على الكلام من كثرة البكاء
والصراخ، بُح صوتها تمامًا.

كنا قد أمضينا الوقت الذي تلى وقوع ماهر في
البكاء، دفنتها في حضني وذرفنا الدموع المتواصلة،
مزق كلامها عنه قلبي وأدماه، فراحت تنهه وتلعثم
وهي تحكي عنه كلامًا بسيطًا لكن على بساطته
كان مؤلفًا، وضرب الندم معوله في صدري حتى
كدت أختنق، أنا السبب في كل ذلك، أنا من أصررت
على الرحلة اللعينة إلى شريف، معمية برغبتي في
الانتقام، والإحساس الدائم بكوني ضحية، والغضب
الدائم من مكانتي التي خسرتها، والكون الذي لم يعد
يدور حولي.

أول ما فعلته نجاة عندما أنزلونا كان الجري إلى
جسد ماهر واحتضانه، سمعتها تبكي من جديد قبل
أن يجذبوها من عليه برفق ويأخذونا بعيدًا، فلا
وقت للبكاء والرثاء لأننا كنا الشهود الوحيدين تقريبًا

على مذبحه وجريمة هي الأكبر والأثقل في تاريخ البلاد، صفوة القوم تم تصفيتهم كلهم، مما سيوجه ضربات عديدة إلى الاقتصاد والعلاقات وحتى الفن. بالطبع قامت الدنيا ولم تقعد، فما يربو على ألف جثة كانوا نتاج الليلة، خاصة بعدما أصاب السعار الفقراء أيضًا، وراحوا يقتلون بعضهم بعضًا بعد أن تمكنوا من الأثرياء كلهم.

دخلنا في دوامة من التحقيقات الرسمية وغير الرسمية، فكنا نخرج من مكتب إلى آخر، يتلقفنا لواء من مساعد وزير ثم يلقي بنا إلى مدير أمن. في البداية أشارت أصابع الاتهام لنا، ولم يتحسن موقفنا إلا بتفريغ الكاميرات والتسجيلات وهواتف الضحايا فاتضحت أجزاء عديدة من الصورة وانتشرت فضيحة حديقة حيوان پالم تاون في كل الجرائد والبرامج، الكل تهافت على معلومة أو اثنتين حول الشخصيات المرموقة التي غاصت في الوحل واتضح أن ظاهرها البراق يخفي قذارة فوق الوصف. بالطبع طلبونا في ألف برنامج وحوار ولم يتوقف هاتفنا عن الدق، حتى أغلقته تمامًا.

لم تتركني نجاة وحدي، بل ظلت معي في منزلي بالكومپاوند المُدمر ترعاني وتهتم بي كعادتها، كما ساعدتني على دفن أمي واسترداد جثتها، وإن كان الجزء الأكبر من أسباب بقائها هو ماهر نفسه الذي نقلوه إلى مستشفى الكومپاوند بعد دخوله في غيبوبة. لم يمِت، ولكن كما أخبرنا الأطباء فاحتمالية

نجاته لم تكن جيدة أيضًا، ولكنها احتمالية تظل قائمة، تشبثت بها نجاة ولم تفلتها.

بعد أيام من الزحام والعمل المتواصل، بدأت أخرج في تمشيات منفردة بالشوارع المتهدمة التي خلت أخيرًا من رجال الشرطة والدفاع المدني والصحافة، صار المكان كله ملكي تقريبًا. رائحة الحريق لا زالت معلقة في الأجواء، الرائحة المميزة للشواء التصقت بالمباني والأجسام وبدأ كما لو أنها لا تنوي المغادرة، ناهيك عن رائحة الدماء النفاذة وكل ما تحمله من موت بين طياتها، كل ما تحمله من ذكريات القتل والبكاء، هنا، في تلك الشوارع التي كانت منذ أيام ملونة ونظيفة وكل خطوة فيها تساوي أموالًا طائلة.

تلك الشوارع التي شهدت حكايتي مع شريف، قبلاتنا ولمسات أيادينا، والحب الجارف الذي كنت أكنه له، والذي انقلب ككل شيء في الأيام الماضية إلى نار ورماد. كيف يلعب الزمن لعبته بتلك الطريقة الفجة؟ بلا مقدمات ولا إشارات يغير كل شيء؟ ولماذا لا يتهاون قليلًا؟ لماذا يقفز من النقيض لأقصى النقيض دائمًا بلا تعقل؟

جلست على أحد الأرصفة نصف المحطمة، أخذت شهيقًا آخر برائحة الشواء، ثم رحت أتحسس حجر الرصيف المحترق بيدي بعدما سمعت مواء ضعيفًا. هناك، كانت قطعة صغيرة حديثة الولادة، تمشي بخطوات متعثرة ولها رائحة الخوخ المميزة لشوارع الكومباوند. رغم كل ما حدث وكل الدمار والدماء

وُلدت تلك القطة ولم تُمس بأذى. في نوع من
البلاهة ابتسمت ابتسامة مفاجئة، داعبتها بأناملي
عندما سمعت مواءها الخافت، ثم ضممتها لصدري
وفركتها كما اعتدت أن أفعل بشلبي، قبل أن أشم
رائحتها بملء صدري فتغطي على رائحة الشواء.

ورغم كل شيء زارني أمل غريب، نقطة من الضوء
بين أضلعي، راودني امتنان لكوني على قيد الحياة
حتى تلك اللحظة، حتى بعد كل ما أضعته من وقت
في رثاء بصري وماضي البائد.



خاتمة

-ريم-

بعد نحو الشهر من ليلة دمار الكومپاوند قررت أخيرًا الانتقال من المنزل، وسكنت شقة في مصر الجديدة بمنطقة تريومف، حيث الحياة الطبيعية غير المسورة، الأكشاك والسيارات والزحام الطبيعي الخالي من الاصطناعية والتكلف.

بطلب مني انتقلت نجاة للعيش معي، لم تعد خادمة وإنما رفيقة سكن ومعلمة بعد أن أخبرتها أنني سأواصل دراستي بطريقة برايل وأني أنتوي التعمق في الأدب بطريقة أكاديمية، وربما كتابة رواية أو كتاب عمًا واجهته في پالم تاون، فكانت تساعدني في كل ذلك مقابل شراكة في مشروعها الصغير المتمثل في مطعم ومقهى إيطالي للإفطار والعشاء تديره بنفسها.

أما ماهر، فمكث في غيبوبته العميقة حتى تلك اللحظة، مرة واحدة فقط فتح عينيه بدون كلام كما روت لي نجاة، ثم أغلقهما من جديد، وكما أخبرها الطبيب، فحتى لو عاش ماهر وبمعجزة استفاق سيعيش بشلل في نصفه السفلي، ولكنها -كما أخبرتني- لم يكن لديها مشكلة مع ذلك.

هكذا تغير شكل أيامي سريعًا، من الفيلا الواسعة

الباردة في پالم تاون إلى الشقة الحميمية بمصر
الجديدة، التي سرعان ما حفظتها وحفظت أركانها،
فأمضي النهار في القراءة الصوتية والمذاكرة
والكتابة مع قطتي الجديدة ليلى، ثم تعود نجاه
قبيل الغروب لتعد لنا غداءً لذيذاً نتناوله سوياً، ثم
نشرب شاي الغروب في الشرفة التي تطل على
ميدان سانت فاتيما ونحن نتبادل حديثاً دافئاً، لا
يخلو من الأمل.

النهاية

